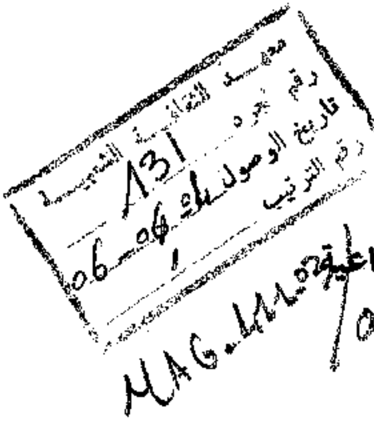
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية





المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية

دراسة صوتية - منطوق ندرومة نموذجا -

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اللهجات

إعداد الطالب :
جيلالي بن يشو

لجنة المناقشة:
أ.د. التيجيني بن عيسى : رئيسا
أ.د. عبد الجليل مرتاض : مشرفا
أ.د. عزوز أحمد : مناقشا
د. طاهر ميلة : مناقشا
د. منقور عبد الجليل : مناقشا
د. زريوح عبد الحق : مناقشا

السنة الجامعية 1425-1426هـ الموافق لـ 2005-2006م

الإهـــــــداء

إلـى والدي الكريمين، أطال الله في عـمـرهمـا.

إلـى رمـز الـوفاء والإخـلاص،

إلـى الـتي قـاسـمـتـنـي الـحـلـو والـمرّ في رحاب هـذه الـرحـلـة الـعـلـمـيـة،

زوجـتـي.

إلـى أولادي وقـرّة عـيـنـي :

محـمّـد الأمـين، إلـياس هـشام، وائـل.

إلـى اخـوتـي، و إلـى الأهـل والأحـبـاب.

إلـى هـؤلاء جـمـيعا أهـدي ثـمـرة جـهـدي في هـذا الـبـحـث.

جيلالي

شكر و تقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الجليل مرتاض الذي أمدّني بيد المساعدة لإنجاز هذا البحث، فإليه يعود الفضل في رعاية هذا العمل منذ أن كان فكرة إلى أن استوى على صورته هاته، فلم يبخل عليّ بتوجيهاته العلمية وارشاداته ومعارفه القيّمة.

إلى جميع الأيادي التي أحتفظ لها بالجميل الحسن لإسهامها المشكور على إمدادي بالمراجع و إعانتي بالتنقيح في تخريج هذا العمل.

المقدمة

مما لا شك فيه أن دراسة اللهجات تعد الميدان الأخصب للسانيات، وهي في نظرنا أول ما يجب القيام به قبل أية دراسة لغوية، لأن الإحاطة باللهجات العامية تبين الطريقة التي تتطور بها اللغة، و تمكننا من استخراج قوانين لغوية ثابتة نسبيا، تساعدنا على فهم مدى التغير الحاصل فيها.

ويكاد يتفق اللسانيون أنه يوجد بجانب كل فصحى مجموعة من اللهجات العامية المحلية تختلف فيما بينها تبعا لعدة عوامل، إلا أن لها صلة باللغة المشتركة. ووجود هذه العاميات أمر طبيعي مفروض و معروف، يشهد على ذلك التاريخ الإنساني القديم منه والحديث على سواء، فهناك في الوطن الواحد عشرات اللهجات العامية التي ينبئ عنها، ويؤكد وجودها اختلاف الألسن.

لا يخلو الوطن العربي من المحيط إلى الخليج من اللهجات العامية، ففي كل إقليم أو منطقة، بل وفي كل قرية – تقريبا – لهجة عامية تختلف قليلا أو كثيرا عما يجاورها. ومنه ندرك إلى أي حد بعيد تختلف لهجاتنا العامية في استعمال الفصحى سواء على مستوى القطر الواحد أو على مستوى الأقطار العربية.

من هنا تبقى مسألة الفصحى و لهجاتها العامية من صلب اهتمامات كل الناطقين بها، فهي وإن كانت مطروحة عند الدارسين كظاهرة لغوية جديرة بأن تبحث رغم تباين المواقف منها، فهي مطروحة عند كل متحدث باللغة العربية، ذلك أنه في انتقال إلزامي ودائم بين الفصحى و العامية. هذا التلازم يحتّم على الفرد المثقف أن يتقمص أو يتلبس شخصيتين لغويتين، فهو يستعمل الفصحى في وسطه العلمي بين النخبة المثقفة وفي المحافل الرسمية، أما عندما يترل إلى عامة الناس فيضطر إلى تغيـــير أسلوب التواصل فيستعمل بذلك العامية.

لعلنا لا نكون مبالغين حين نقرر أن المظهر المتطور للسانيات لم يتمثل في أي فرع من فروعه مثلما تمثل في علم الأصوات بمناهجه المتعددة ووسائل بحثه المختلفة، وهو السبب الذي من أجله اخترت الجانب الصوتي لمنطوق " **ندرومة** " في أقصى الشمال الغربي للجزائر، لأن الأصوات أكثر المستويات اللغوية عرضة للتغير و التبدل، وباعتباره أيضا أساس كل بحث لغوي تُبْنَى عليه باقي المستويات الأخرى. كما أن الجانب المنطوق يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية أكثر مما عليه جانبها المكتوب، ومن غير الممكن في الواقع الانطلاق من اللغة المكتوبة لوصف اللغة المحكية، لأن ذلك يؤدي بصورة أساسية إلى إهمال قضايا لغوية عديدة عائدة في مجملها إلى اللغة في شكلها المحكي، والمنطوق يتجلى بظواهر صوتية تظهر على مستوى الملفوظ دون المكتوب.

كما أن البحث في الظواهر التشكيلية الصوتية للعامية الجزائرية يكاد يكون قليلا إذا ما قورن بالدراسات اللغوية في الفصحى، من هنا آثرت أن يكون بحثي حول ظاهرتين صوتيتين، فاخترت لهذه الدراسة عنوان: " **المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية" دراسة صوتية – منطوق ندرومة نموذجا** – لتكون الدراسة تأصيلية من أجل الوقوف على ما وصلت إليه جهود علمائنا القدامى في استقراء واستنباط ظاهرتي المماثلة والمخالفة، ثم تطبيقاتها من خلال الأمثلة و الشواهد التي حفظها لنا التراث و التكلّمات التي تمثلها الممارسة اللغوية في عاميتنا، فتكون هذه الدراسة فرصة للوقوف على التطور الصوتي الذي عرفته هاتان الظاهرتان.

كما يمكن لهذا البحث إثبات أن المماثلة والمخالفة ليستا فقط ظاهرتين صوتيتين تحققان الانسجام بين الأصوات وتحافظان على مبدأ تيسير النطق، بل إنهما قد تكونان كذلك وسيلتين تعبيريتين في الفصحى وعامياتها، بوصفهما محتويتين على ظواهر تعاملية تفاعلية تتأثر فيها الأصوات بعضها ببعض، وتعبران عن الروابط الموجودة بين الأصوات

والتي تتسم بالتجاذب و التنافر مما يؤدي إلى التغير في المستوى الصوتي وباقي المستويات اللغويـــة الأخرى.

ولعل السعي لدراسة مستفيضة لهاتين الظاهرتين من قبل اللغويين – القدامى منهم والمحدثين – وتطبيقاها في الفصحى والعامية كان السبب وراء اختيار هذا الموضوع، في محاولة لتفسير ظواهر المماثلة والمخالفة في العامية، التي يجنح إليها المتكلم بغية التخلص من الثقل وإدراك أقصى ما يمكن من الخفة، وتذليل الأصوات العسيرة، وتيسير اللفظ المتعذر أو الثقيل لتوفر الجهد العضلي، كما يمكن لهذا البحث أن يبرز حقيقة جوهرية تتمثل في خضوع الفصحى ولهجاها العامية لقوانين صوتية دقيقة تحكم المنطوق من اللغة.

إنّ طبيعة الموضوع والتي تنطلق أساسا من تفسير ظاهرة المماثلة والمخالفة في عامية **ندرومة**، قد أفضت بنا إلى الاعتماد على مدونة لسانية تمثلت أساسا في الأمثال الشعبية، المتداولة في هذه اللهجة باعتبارها مدونة لغوية مهمة تمدنا بمعطيات علمية دقيقة، لما توفره من صور نطقية تساعدنا على فهم التطور الحاصل في الأصوات اللغوية.

ولما اكتمل تصور إشكالية الموضوع و النقاط المراد بحثها، سرنا في عرض قضايا هذه الرسالة و مسائلها وفق خطة تتكون من ستة فصول مسبوقة بمدخل و متبوعة بخاتمة.

تعرضنا في المدخل **لإشكالية الازدواجية اللغوية بين الفصحى ولهجاها العامية**، وبيّنا أن هذه الظاهرة موجودة في أغلب اللغات، وهي قديمة في اللغة العربية، ثم عرضنا لحجج أنصار الفصحى وأنصار العامية، ثم أوردنا الأسباب والدواعي التي تقف وراء دراسة اللهجات العامية، وكيف يمكن أن نقرب بينهما.

أما الفصل الأول المعنون ب : " **التغيرات الصوتية و العوامل المتحكمة فيها** "، بيّنا فيه أن اللغة نظام يتغير، ويتبدل، ثم عرضنا لأهم خصائص التغير الصوتي والعوامل المتحكمة فيه، و أثر القوانين الصوتية في هذا التبدل.

عالجنا في الفصل الثاني "**مصطلحات المماثلة وظواهرها في التراث اللساني العربي**"، فوقفنا بالشرح والتحليل على جهود أسلافنا في هذا الموضوع ممثلين بسيبويه والفراء والمبرد وابن السراج وابن جني وغيرهم، و عرضنا لأهم مصطلحات المماثلة عندهم مثل المضارعة والتقريب والمشاكلة والمجانسة وغيرها، كما وصفنا شواهدها ومظاهرها من أجل الوقوف على حقيقة مهمة جدا، وهي أن لغويينا خصصوا أكثر من مصطلح لهذه الظاهرة، و التي جاءت موزعة على أبواب متفرقة كالإبدال والقلب والامالة والاتباع...

تطرقنا في الفصل الثالث إلى " **مصطلحات المماثلة ومظاهرها وأنواعها في الدرس الصوتي الحديث** " و خصصنا جزءًا منه للمماثلة عند اللغويين الغربيين أمثال: "دانيال جونز" Daniel Jones و" برتيل مالمبرج" Bertil Malamberg و" فندريس Vendrys" وغيرهم، ثم وقفنا على حقيقة هذه الظاهرة عند علماء الأصوات العرب، وما جدّ في دراساتهم حول هذا الموضوع من حيث المصطلح والماهية فوقفنا على جهود إبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر وعبد الغفار حامد هلال و عبد القادر عبد الجليل، ثم ختمنا هذا الفصل بعرض لأنواع المماثلة.

يُعَدّ الفصل الرابع الذي تناول: " **ظواهر المماثلة في منطوق ندرومة** " حقلا تطبيقيا خصبا، وقفنا فيه على مظاهر وأشكال المماثلة الصوتية في هذا المنطوق، بدأناه ببيان الفضاء الجغرافي العام لمنطقة ندرومة ومحطاتها التاريخية، ثم سِرْنا في عرض مظاهر

المماثلة في هذا المنطوق بأنواعها المقبلة والمدبرة، وفي حالتيها الجزئية والتامة بالوصف و التحليل، مدعمين ذلك بشواهد من القرآن الكريم ومصادر التراث اللغوي، وغايتنا في ذلك تأصيل الظاهرة.

الفصل الخامس خصصناه **للمخالفة الصوتية**، بوصفها الوجه المقابل للماثلة، تعرضنا فيه إلى تعريف هذه الظاهرة، وبيان مصطلحاتها عند لغوينا- القدامى منهم والمحدثين - وعند اللسانيين الغربيين، مدعمين ذلك كلّه بشواهد مختلفة للوقوف على ماهيتها، ثم تناولنا أقسامها في ضوء ما مدنا به الدرس الصوتي الحديث.

تناولنا في الفصل السادس " **ظواهر المخالفة في منطوق ندرومة** "، تحدثنا فيه عن المخالفة المقبلة: الجزئية و التامة، ثم انتقلنا إلي بيان المخالفة المدبرة بنوعيها التي تجنح إليها العامية للتخلص من الثقل الناتج عن توالي الأمثال، كما شمل التطبيق أنواعا أخرى للمخالفة كالمخالفة بالتعويض و المخالفة بالحذف.

ولما كانت طبيعة الموضوع في فصولها الأولى تقتضي منا أن ندرس المماثلة والمخالفة دراسة وصفية، وتبيان أثر تجاور الأصوات فيما بينها، فقد استعنا بالمنهج الوصفي، باعتباره المنهج الأنسب لذلك. كما استعنا بالمنهج التاريخي عند عرضنا لمصطلحات المماثلة والمخالفة وظواهرهما في التراث.

أما المنهج الوصفي التحليلي فغلب استعماله في الفصلين التطبيقين الخاصين بعرض واستقراء نماذج المماثلة والمخالفة في منطوق **ندرومة**، نظرا إلى طبيعة الدراسة المتناولة التي استهدفت تحليل وشرح صور التأثير بين الأصوات المتجاورة في هذا المنطوق.

تنوعت مصادر البحث و مراجعه بين الدراسات النحوية و اللغوية القديمة مثل: **كتاب العين** للخليل، و **الكتاب** لسيبويه، و **معاني القرآن** للفراء، و **المقتضب** للمبرد، **والخصائص وسر صناعة الإعراب** لابن جني، وكتب القراءات مثل: **السبعة في القراءات** لابن مجاهد، **والحجة في القراءات السبع** للإمام ابن خالويه، **والنشر في القراءات العشر** لابن الجزري، وكتب اللحن مثل: **لحن العامة للزبيدي**، و **تثقيف اللسان** لابن مكي الصقلي.

و احتاجت الدراسة في شقها الحديث إلى الاستفادة من كتب بعض المستشرقين مثل كتاب **اللغة** لفندريس، و **دروس في علم الأصوات العربية** لجان كانتينو وغيرهما، بالإضافة إلى المراجع الصوتية المتخصصة **كالأصوات اللغوية** لإبراهيم أنيس، **والأصوات اللغوية** لعبد القادر عبد الجليل، و **دراسة الصوت اللغوي** لأحمد مختار عمر.

كما استعنا ببعض الدراسات في مجال اللهجات العربية مثل **اللهجات العربية في التراث** لأحمد علم الدين الجندي، **وفي اللهجات العربية** لإبراهيم أنيس، **ولهجة شمال المغرب – تطوان وما حولها–** لعبد المنعم سيد عبد العال، **ودراسة لسانية في الساميات واللهجات العربيـــة القديمـــة**، وكتاب **اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي** لعبد الجليل مرتاض.

وإن يكن من شيء يقال أخيرا، فجزيل الشكر لأستاذنا المشرف د. عبد الجليل مرتاض الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته العلمية وإرشاداته ومعارفه القيمة ومعاملته الحسنة، وإليه يعود الفضل في رعاية هذا البحث، الذي تعهده بعناية فائقة منذ أن كان فكرة إلى أن استوى على صورته هاته، فقد بذل جهدا مشكورا، فله على ما أسدى من نصائح كل عبارات التقدير والاحترام.

ختاما نسأل الله عز وجل أن يلهمنا السداد والتوفيق، آملين أن نكون قد استقصينا ضروب هذا الموضوع، واستجلينا فوائده وأغراضه، جامعين صنيع علمائنا القدامى إلى صنيع علمائنا المحدثين، وإننا لنرجو مخلصين أن يكون هذا العمل إضافة جديدة في حقل الدراسات اللغويــة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

جــيلالــي بـــن يــشـــو

مستغانم في: 17 شعبان 1426هـ الموافق ل 21 سبتمبر2005 م

الرموز المستخدمة في البحث:

استعنت ببعض الرموز التي شاع ذكرها عند أغلب الباحثين العرب المحدثين في حقل الدراسات اللسانية، سأفصح عن المقصود منها تسهيلا على القارئ ودفعا لكل تباين أو غموض وهذه الرموز هي:

ب = رمز الباء المهموسة، التي يرمز لها في الكتابة الأوروبية بالحرف **P**.

ق = يرمز إلى القاف المجهورة الشبيهة بالجيم القاهرية **g**.

ف = يرمز إلى الفاء المجهورة التي يرمز لها في الكتابة الأوروبية بالحرف **V**.

(ــــ) = علامة للكسرة الممالة نحو الضمة.

(ــــ) = علامة للفتحة الممالة نحو الكسرة.

(ــــ) = علامة للفتحة الممالة نحو الضمة.

ــــ = علامة لتفخيم الفتحة.

المدخل

بين الفصحى والعامية

1- ماهية الازدواجية اللغوية:

نحن اليوم في البلاد العربية على اختلاف أقاليمها الجغرافية بين لغة فصحى، رسمية بكل ما تحمله هذه اللفظة من معان وأبعاد، لا يعرفها إلا المثقفون، ولهجات عامية[1] يستعملها كل الناطقين في محادثاتهم وأي متلاغ باللغة العربية لن يلجأ في تعاطيه اليومي مع أفراد عائلته إلى استعمال العبارات الفصيحة، إنما ينساق بكل عفوية إلى استعمال عاميته التي اعتاد عليها، وارتاح إلى استعمالها في سائر حياته التي تبتعد عن الإطار العمومي.[2]

يعتبر العالم الفرنسي وليام مارسيه william marcais من بين الذين أطلقوا هذا المفهوم على وضع اللغة العربية عندما تحدث عن لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث[3].

يحدد فيرجسون ferguson **"الازدواجية اللغوية" diglossia** على النحو التالي: «حالة لغوية ثابتة نسبيا يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية لغة مشتركة متباينة ومعقدة، قواعدها عادة أكثر تعقيدا، تحمل مجموعة ضخمة من النصوص الأدبية، تدرس

1- العامية هي اللغة التي نتخاطب بها في كل يوم عما يعرف لنا من شؤون حياتنا مهما اختلفت أقدارنا و منازلنا، لسان المتعلمين منا وغير المتعلمين على اختلاف قاماتهم وحرفهم و المثقفين و غير المثقفين... يتقارب المتحدثون بهذه اللغة العامية على اختلاف أقدارهم و منازلهم فيتم التفاهم في يسر وسرعة في أكثر الأحيان : معجم تيمور الكبير، أحمد تيمور تحقيق، د. حسن نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1971ج1، ص: 5.

2- ينظر : دراسات في اللغة العربية الفصحى و طرائق تعليمها، د. أنطوان صياح، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى: 1995 ص :7

3 - La diglossie arabe dans l'enseignement public, william marcais,-paris vol97, 1930 p401

بشكل موسع بطرق التعليم الرسمية، وتستعمل لكتابة النصوص والخطابات، لكن لا تستعملها أبدا أية مجموعة في مجال التخاطب العادي» [1].

وفي معجم اللسانيات الحديثة يعني هذا المصطلح وجود أكثر من مستويين للغة، جنبا إلى جنب في مجتمع من المجتمعات بحيث يستخدم كل مستوى من مستويات اللغة في أغراض معينة ويسمى الوضع اللغوي في هذه الحالة " **الازدواجية اللغوية** " ويكون أحد هذه المستويات اللغوية عادة أعلى مركزا، ويسمى باللغة المعيارية أو الفصحى" Standard Language"، وتستعمل في المكاتبات الرسمية والتعليم والعبادة، أما المستوى الآخر فهو عادة يعتبر أقل رتبة، ويستعمله أفراد الأسرة في حياتهم اليومية في معاملاتهم الاجتماعية في مواقف الحوار المختلفة مثل موقف البيع والشراء و غير ذلك و يسمى باللغة الدارجة أو العامية Colloquial Language[2].

أما كمال بشر فيعرفها قائلا: « **الازدواجية** تعني وجود نمطين من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعين يتمثل النمط الأول فيما أشرنا إليه سابقا وأطلقنا عليه المصطلح: "اللغة النموذجية" والثاني ما جرى العرف على تسميته - على ضرب من التعميم- " **اللغة المحكية**"، وقد يسمى الأول أحيانا " **اللغة الرسمية**" "Formal" والثاني "**اللغة غير الرسمية**" Informal »[3].

إن ظاهرة **الازدواجية اللغوية** diglossie، فيما يتعلق بالفصحى واللهجات العامية، هي من بين المسائل المطروحة في محيط اللغة العربية، ذلك أن وجود لغتين اثنتين أو أكثر لأمة واحدة مشكلة صعبة ومعقدة وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه

1 - Diglossia ,Charles a. frgusson, 1959, in word n 2 tome 15 p :336

2 – معجم اللسانيات الحديثة انكليزي- عربي، د. سامي عياد حنا و آخرون، مكتبة لبنان،1997.د ط، ص: 39.

3- علم اللغة الاجتماعي- مدخل- د كمال بشر، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997، ص: 186.

في مستوى أضعف، فالعربي في جميع أنحاء العالم العربي يقرأ و يكتب و يؤلف بلغة ويتحادث ويغني بلغة ويَرْوِي النكات ويتشاجر و يداعب أطفاله بلغة ثانية [1]. وليس من شك أن هذه الظاهرة أصبحت من أهم القضايا التي تثير الجدل والمناقشة بين علماء العربية، بشيء كثير من الاهتمام، ومن بين المشاكل التي تؤرق بال المشتغلين باللغة والقائمين على أمرها: «إن مشكلة الازدواج اللغوي بالنسبة للمجتمعات التي تتكلم العربية أبعد مشكلاتها غورا، وأعنفها أثرا، لأنها تصيب هذه الأمم العربية جميعا بظاهرة الازدواج اللغوي التي تجعلها تحيا وتشعر وتتعامل، وتتواصل بلغة مرنة يومية نامية متطورة مطاوعة، ثم هي تتعلم وتتدين وتحكم بلغة مكتوبة محدودة غير أمية لا تطوع بها الألسنة، وتتعثر فيا الأقلام»[2].

هذه الازدواجية التي نلاحظها في حياتنا اليومية بين الفصحى والعامية هي ازدواجية طبيعية فرضها تكوين الإنسان ذاته، وهي على درجات متفاوتة في كل لغات العالم، وظاهرة تكاد تكون موجودة في أغلب اللغات الحية، باعتبار أن لكل أمة لغتين : واحدة يتحدث بها العامة في مخاطباتهم، ومعاملاتهم، وأخرى يتحلى بها الخاصة، وهي لغة التأليف والتدوين. ولا يظن أمرؤ أننا الشعب الوحيد الذي يعاني هذه المشكلة اللغوية، فإن هناك أمما حية معاصرة، وأمما من الماضي البعيد عاشت هذه الوضعية، وعانت ما نعانيه مثل: الإغريق والرومان والهنود، وغيرهم كثير [3].

إن كثرة العاميات وتعددها في البيئة اللغوية المعينة أمر طبيعي ومعروف، يشهد على ذلك التاريخ الإنساني القديم منه والحديث على سواء، فهناك في الوطن الواحد

1- الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، د. زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، ب.ت،ص: 124.

2- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية، المجلد 17، ج1، 1399هـ- 1979م، مقال بعنوان: الفصحى واللهجات: قراءة جديدة و ملاحظات للدكتور محمود عبد المولى، ص: 87.

3- اللغة الفصحى والعامية د: محمد عبد الله عطوات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003 م، ص: 60.

عشرات اللهجات العامية التي ينبئ عنها ويؤكد وجودها اختلاف الألسن، وتنوع طرق الأداء، ففي البلد الواحد تنتشر في جنباته لهجات محلية لها سماتها وصفاتها الخاصة [1]، فاللهجات العامية تسير مع الفصحى جنبا إلى جنب، وأن وجودها أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال، وحاجاته تبعا لحاجة الناطقين أنفسهم [2]، ووجودها ليس مضرا في ذاته، فهو عضوي، يُعبِّر عن جانب من جوانب الكائن الناطق [3].

تبقى مسألة اللغة العربية الفصحى، ولهجاتها العامية في صلب اهتمامات كل الناطقين بها، فإِنْ كانت مطروحة عند الدارسين كظاهرة لغوية جديرة بأَنْ تُبْحَث، رغم تباين المواقف فيها، فهي مطروحة عند كل متحدث باللغة العربية، ذلك لأنه في انتقال إلزامي ودائم بين الفصحى والعامية، هذا التلازم يكون أيضا في الحياة العامة للأفراد، حيث قد تتنوع بين الطبقات، كما قد يلزم على الفرد المثقف أن يستعمل الفصحى في وسطه العلمي بين النخبة المثقفة، وفي المحافل الرسمية، في حين أنه عندما يترل إلى عامة الناس يضطر إلى تغيير أسلوب التواصل فيستعمل بذلك العامية [4].

يرى أنيس فريحة أن مشكلتنا اللغوية هي مشكلة كل شعب مزدوج اللغة، فإننا نفكر ونتكلم ونغني ونُتَمْتِم في صلواتنا، ونُنَاغِي أطفالنا، ونهمس في آذان من نحبهم، ونتفاهم مع من نرغب في التفاهم معهم بلغة محكية سلسة، سيالة تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى الحروف المصوتة، وتتميز كذلك بمرونة في التركيب، وبسهولة في التعبير، ولا

1- اللغة العربية بين سوء الوهم و سوء الفهم، د. كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ب.ط، 1999، ص: 244.

2- ينظر المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و للشعر، د. محمد عيد، دار الثقافة العربية للطباعة، ص: 89.

3- ينظر : التعريب بين المبدأ و التطبيق : د. أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 1998 ص : 142.

4- ينظر: دراسات في اللغة العربية و طرائق تعليمها د. أنطوان صياح ص: 6.

تتطلب منا جهدا، ولكن في حياتنا الرسمية – في التعلم وفي القراءة والكتابة – علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية، فنتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير[1]، بل إننا« نجد كتابا كبارا معاصرين من العرب وغير العرب لا يتحرجون في استعمال خطابات لهجية عامية أو محلية على أفواه أبطال إنتاجاهم في مختلف الأجناس الأدبية» [2]، فسلطان العامية له السيطرة على الناطقين بالفصحى حتى المتخصصين منهم، ذلك أن العادات اللغوية المخزونة تخرج بطريقة لاواعية على غير إرادة من صاحبها[3].

2 – الازدواجية اللغوية ظاهرة قديمة في العربية:

إذا نظرنا إلى طبيعة العلاقة القائمة بين الفصحى واللهجات العامية فإننا نجدها في كل لغات العالم تقريبا علاقة قديمة منذ نشأة اللغات المكتوبة ، بل إن الفصحى كانت في إحدى مراحل تاريخها عبارة عن لغة عامية تطورت نتيجة لعوامل مختلفة، فالعامية – كما هو معلوم– ليست جديدة على العربية الفصحى، وهي ليست بنت اليوم أو الأمس، بل هي قديمة قدم التاريخ موصولة النسب بفصاحتنا، قوية الوشائج بلغة القرآن والأدب [4]، بدليل أن المجتمع اللغوي العربي كان على هذه الشاكلة التي نراها من حولنا، منذ العصر الجاهلي: لغة فصحى مشتركة، يكتب بها الشعراء، و يخطب بها الخطباء في المحافل العامة، كأيام الحج، ويتنافسون في الأسواق الأدبية التي كانت تقام، مثل سوق عكاظ، ولهجات عامية مختلفة يتحدث بها الناس في أسواقهم وبيوتهم وحياتهم اليومية العامة هنا، وهناك[5]: فـَ« نشأت هذه الازدواجية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بين اللغة الأدبية المشتركة

1 – ينظر: نحو عربية ميسرة ، أنيس فريحة، بيروت 1955، ص: 16 وما بعدها

2– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د. عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر و التوزيع، ب.ط، ب.ت، ص: 96.

3 – ينظر: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993 ص: 313.

4– ينظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس 1398– 1978 ص:132.

5– مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. أحمد محمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 86

ولهجات القبائل، إذ كانت الأولى لغة الأدب والعهود و المواثيق وكانت الثانية لغة التفاهم في الحياة اليومية، و لم يكن هناك فارق كبير بين هذين المستويين التعبيريين. لأن اللهجات ليست لغات مستقلة، وإنما هي اختلافات صوتية وصرفية بين القبائل، تتعلق بظواهر الامالة والفتح والإدغام والوقف والتصحيح والإعلال والقصر، وما إلى ذلك من أمور لم تكن عائقا أمام التواصل بين القبائل»[1].

ليست الازدواجية اللغوية ابنة الحاضر فهي قديمة قدم العربية، و إنْ كان القرآن الكريم قد أعطى للفصحى شخصيتها السوية الخالدة، ووُجُودَها العالمي، فإنّ النص القرآني لا يخلو من عشرات الأشكال اللهجية، وقد عمل على وقاية تراكيب لهجية عربية عديدة أكثر مما وقاه لسانيونا أنفسهم[2].

إن حياة المجتمع الإسلامي منذ القرن الأول الهجري شهدت بواكير لهجات محلية عامية شاع فيها اللحن، و الانحراف عن سنن الفصحى و أن اللفظ العامي ليس حديث الوضع في العربية، و إنما جرى عليه العرب في بدوهم، و حضرهم منذ القديم، لدرجة أن بعض اللغويين العرب القدماء كانوا أكثر نزعة إلى تكلمات لهجية محلية منهم إلي تكلمات أخرى، ويظهر ذلك حسب عبد الجليل مرتاض إما إلى عامل ذاتي أو إلى عامل جهوي أو إلى عامل لساني صرف [3].

وظهور العامي يعود إلى مخالطة الأعاجم، وتصرف الألسنة من لثغات وتحريف وتبديل: يقول ابن خلدون(ت808هـ): « هكذا تصيرت اللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم و الأطفال...ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم و سبب

---

1 – المشكلة اللغوية العربية، سمير روحي الفيصل ، لبنان، ط 1، 1992، ص: 24.

2 – مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث، د. عبد الجليل مرتاض، منشورات ثالة، الأبيار الجزائر، 2003، ب.ط ص: 10

3 – اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ص: 62.

فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب تعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضا، فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه و هذه فاستحدث ملكة و كانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي، ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاقم» [1]. وكان ظهور تلك اللهجات العامية من بين العوامل التي دفعت علماء العربية إلى جمع اللغة وتنقية الفصحى، والمحافظة على سلامتها[2].

لقد عرفت العامية حتى في العصر الجاهلي، والعصر الأموي فضلا عن العصر العباسي، وممن لمح إلى وجود اللهجات العامية بجانب الفصحى المشتركة أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وذلك حين سئل فيما يرويه ابن نوفل : إذ يقول : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال : أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات[3]. فهذا النص يعكس سعة أفق أبي عمرو بالعربية، و اعترافه باللغات، أو المستويات اللغوية وقد علّق عبد الجليل مرتاض على هذا القول قائلا: « إننا نكاد ندرك أو نقتنع بأن أبا عمرو لم يكن بعيدا من أن يقول مستويات، ما دام أنه عبر عن مصطلح اللهجات المعدوم عندهم بمصطلح اللغات»[4].

1- المقدمة : عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1956، ص: 1046.

2 - ينظر بجلة معهد البحوث و الدراسات العربية العدد الأول، مارس 1969، مقال بعنوان: مستقبل الفصحى، للأستاذ محمد خلف الله أحمد ص: 110.

3- طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، 1973، ص: 39

4 - اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ص: 137.

كما انتشرت العامية كل الانتشار في بلاد الأندلس، فلقد كان الأدب الشعبي، كالأزجال ينظم بالعامية، وكان الشعر والنثر الفني يصنعان بالفصحى. وتَعَوَّدَ العرب في ذلك العهد البعيد أن يتكلموا بلغة، ويكتبوا بلغة دون أن يضيقوا ذرعا بذلك الواقع اللغوي[1] بمعنى أنه كانت هناك لغتان: لغة للحياة التي يعيشها الناس جميعها لا فرق بين السادة و المُسَودين، وإنما هي لغة مشتركة بينهم جميعا، وهنالك لغة عالية وصل إلينا فيها هذا الشعر وتلك الخطب. وليس في هذا ازدواج يخشى منه أو تضطرب له الحياة، وبهذا الازدواج عاشت العربية في فجر حياتها الأول[2].

إن هذه العامية التي سيطرت على حياة الأمة العربية في شؤونها العامة تنبو على القيد، وتنفر من الصنعة، فهي تقبل من كل لسان، و تستمد من كل لغة، و تصوغ على كل قياس، وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة، والمقتبسة في المترل والحديقة والمتجر والورشة[3]، لكن بالرغم من ذلك يجب الاطمئنان إلى أن هذه العاميات التي نستعملها الآن في الوطن العربي ما هي إلا حصيلة التفاعل اللغوي بين اللهجات العربية الوافدة من الجزيرة العربية، ونتيجة التطور الذي طرأ على هذا التفاعل عبر القرون[4]، فنحن على اختلاف أقاليمنا العربية والمحلية يفهم بعضنا بعضا فيما لو تحدثنا بلهجاتنا العامية مع إحساسنا بالانتماء إلى لغة موحدة وهي العربية الفصحى الموحدة[5].

1- ينظر مجلة اللسان العربي، المجلد17 : الفصحى واللهجات:قراءة جديدة وملاحظات، د.محمود عبد المولى ص: 86

2- ينظر: دراسات في القرآن للدكتور أحمد خليل، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1996 ص: 73، 83.

3- ينظر مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، الجزء الأول، المجلد الثاني و الثلاثون، 1376- 1957، مقال لأحمد حسن الزيات بعنوان: مجمع اللغة العربية بين الفصحى و العامية ص: 172.

4- ينظر: اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث، سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1993، ص: 19.

5- اللغة الموحدة و لهجات القبائل، د. موسى مصطفى العبيدان: 05/08/10
http: //www.alsaha. Fares. Net /sahat @4.h2kwkuxvszy.@.1dd46684/38

3- بين دعاة الفصحى ودعاة العامية:

تعالت أصوات في السنوات الأخيرة، تدعو إلى دراسة الفصحى، ونبذ العاميات، بدعوى أن الفصحى هي التي تصلنا بالماضي البعيد وتربطنا به، كما تصلنا بالمستقبل، وتصل أحفادنا بنا وهي أهم عامل من عوامل الوحدة العربية، و أكبر عون على توحيد الأمة العربية، وهي فصيلة لسانية قائمة بذاتها، لها نظامها الصوتي والتركيبي، لها مفرداتها ولها أدها أيضا[1]، ذات مستوى لغوي أرقى، ثابتة الأركان والدعائم، استقر أمرها على قواعد ونظم، لا تسمح لها بالتغيير و التطور إلا في القليل من الأحيان، صلاحها شامل لكل غرض من أغراض الحياة، وللتعبير عن كل جليل و دقيق من المعاني الجليلة الشريفة الرفيعة إلى الحاجات العادية السوقية الوضيعة، يتخذها الناس مقياسا لحسن القول وإجادة الكلام، وسعت كل شيء، فيها القدرة على الاشتقاق و النحت تمكنها أن تستوعب كل جديد مع تطور الزمن، أطول اللغات عمرا وأقدرها على التعبير، ليست جامدة ولا مغلقة ولا عقيمة، تستخدم في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري والعلمي، تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عباراتها، تتوخى الإيضاح والأصالة، ويعد الإعراب إحدى وسائلها في تحقيق هذه الغاية، غاية الإيضاح والإفصاح عن صلات الكلمات بعضها ببعض، وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها، لغة بلغت الكمال منطقا وقواعد ودقة مفرداتها وغزارة مخزونها [2] إنها ملك الجميع، وأم الجميع لا يدعيها لأنفسهم قوم بأعينهم، ولا تنسب إلى بيئة معينة لذلك تكتسب الاحترام من الناس جميعا[3] ،لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث العربي، إنها مقوم رئيسي من مقومات وحدة الأمة

1- ينظر: اللغة الفصحى و العامية د. محمد عبد الله عطوات، ص: 72.

2- ينظر مجلة الأصالة ، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة التعليم و الشؤون الدينية مطبعة البعث قسنطينة، السنة الرابعة العدد 25 جمادي الثانية 1395 ،ماي – جـوان ،1975، مقال بعنوان : علاقة العامية بالفصحى و محاولة إحلال العاميات محل الفصحى في الوطن العربي ، د. تركي رابح ، جامعة الجزائر ص: 67.

3- ينظر : في اللهجات العربية إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 9، 1995 ص : 11.

العربية. يقول عنها علي عبد الواحد وافي: « إنها لغة القرآن والحديث والشعر والنثر والخطابة وسائر مجالات الإنتاج الفكري، وتعلم وحدها في المدارس، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في المعاهد والجامعات، وتؤلف بها سائر الكتب والصحف والمجلات، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها، وتستخدم في مختلف نواحي الوعظ، و تلقى بها الأوامر» [1]. فهي لغة فنية خالصة، تعلو بها من طبيعة مميزة على كل اللهجات، غير أنها إذ تجرى على ألسنة المتحدثين بهذه اللهجات، فإنها لم تخل من تأثير تلك اللهجات فيها باستمرار، ولعلها اختلفت من جهة لأخرى تبعا لذلك [2].

أما العامية، في نظر هؤلاء [3] ليست بلغات، ولا يجوز علميا تسميتها بهذا المصطلح، لأنها فقدت النظام النحوي و القاموس الأساسي الذي تستعيرهما من اللغة الأم، لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعاني الألفاظ، وهي راكدة خاملة [4].

تُستَخْدَم العامية في الشؤون العادية، فهي لغة الحديث، وُجِدَتْ لضرورة التعبير السريع اليومي العملي التلقائي، مرنة وسهلة، يفهمها كل الناس يجرى بها الحديث في البيت، والسوق، والشارع، فهي كلام العامة يستعمل في الأغراض المعاشية، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض، لا تخضع لأية قوانين لغوية ضابطة لأنها تلقائية، متغيرة تبعا لتغير الأجيال، وتغير الظروف المحيطة، غير مقيدة بالقيود الثابتة كالكتابة و القواعد العلمية،

---

1 - اللغة و المجتمع د. علي عبد الواحد وافي القاهرة، ط 2- 1370هـ 1951م ص: 142.

2 - ينظر : العربية : دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب : يوهان فك مع تعليقات المستشرق الألماني شبتالر، ترجمة و قدم و علق عليه ووضع فهارسه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1400 ـ 1980،ص : 9 .

3 - منهم على سبيل المثال لا الحصر: مصطفى صادق الرافعي، و عبد الله النديم، و أنور الجندي، و طه حسين، و عباس محمود العقاد، و عمر فروخ، و ساطع الحصري، و محمد رضا الشبيبي.

4 - ينظر مجلة اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية و نشاط الترجمة و التعريب، ج 1، المجلد السابع عشر، مقال للدكتور محمود عبد المولى بعنوان : الفصحى و اللهجات قراءة جديدة و ملاحظات ص : 85.

لهذا لا يمكن أن تكون هذه العاميات مستقرة على حالة واحدة في كل مصر من الأمصار من عهد نشأتها، بل لا بد من تغيرها في المصر الواحد جيلا بعد جيل.[1] كما لا يمكنها أن تكون لغات علم و أدب و ثقافة وليس في مقدورها أن تعيش مدة طويلة ولا أن يعم بعضها أوكلها الأقطار العربية كافة، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا في قطره قلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر و في ذلك تشويش و ضرر يبعد بعض الأقطار العربية عن بعض بدلا من أن تتوحد بلغتها الفصحى[2].

كما أن العامية سواء في البلاد العربية أو غيرها من البلدان الأخرى لغة قاصرة جدا في التعبير إلا في المجالات البسيطة، غير قادرة على أداء الدور الاجتماعي الذي يتطلبه الفرد في المجتمع، عاجزة عن مسايرة الجماعة اللغوية في مجالاتها النشيطة، كما أنها كذلك عاجزة عن علاج الأمور الثقافية و عن مسايرة الحياة في الجو العلمي الذي يعلو على مستواها التعبيري[3] فهي فقيرة فقرا شديدا في مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي فقط، وهي فوق ذلك لغة مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وأساليبها ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها[4]. ليست إلا انحطاطا من العربية الفصحى، فهي رديئة فاسدة تتميز باللحن والرطانة والعجمة :« من أخطر ما هو راسخ في أذهان الناشئة من دارسي اللغة عندنا تصور العامية، أو العاميات تصورا يكتنفه الخطأ، أو يلابسه الوهم، فالعامية عندنا منحطة أو صورة فاسدة من الكلام العربي الفصيح الصحيح، ولقد يشتد الوهم بجماعة منهم فيرى أنها لا تجري على قواعد أو أصول، و لا يسهل عليه أن يتصور أنها باعتبارها لغة كأية لغة يمكن الكشف عن

1- ينظر : تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، ط 4، بيروت، لبنان، 1974 ج1، ص : 259

2- ينظر مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، الجزء الثالث المجلد السادس و الثلاثون، 1381هـ- 1961م، مقال للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي بعنوان: خواطر في القومية العربية و اللغة الفصحى ص: 355.

3- ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران ص: 282، 283.

4- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر ، الطبعة الخامسة، 1972، ص : 150.

قواعدها، ووصف حقائقها، و أن في حيز الإمكان أن تصبح لهجة من اللهجات العامية لغة عامة مشتركة أو لغة أدبية فصيحة» [1].

وبالمقابل ذهب بعض أنصار العاميات[2] إلى تحدي الفصحى والمناداة بإحلالها، لا في الحياة اليومية والآداب الشعبية فحسب، لكن في نواحي من الآداب المكتوبة أيضا. يقول محمد خلف الله أحمد واصفا هذه الدعوة: « ارتفعت في بعض جنبات الوطن العربي، دعوة أجنبية المصدر تصم الفصحى بالعي، وتتهمها بالقصور والجمود، وتنسب إليها ما أصاب الشعوب العربية من تخلف، وتوسوس للعرب باصطناع ألسنتهم المحلية لغات قومية فيما يكتبون ويؤلفون ويسجلون من علومهم، وآدابهم، وسائر نشاطهم الفكري.»[3] ويستند هؤلاء في دعوتهم إلى ملاحظات عديدة ومتنوعة تحوم حول تشبيه العربية باللاتينية فهم يقولون: « إن حالة العربية الفصحى الآن لا تختلف عن حالة اللاتينية الكلاسيكية قديما، فمصيرها سيكون شبيها بمصير اللغة المذكورة حتما، من المعلوم أن اللاتينية ماتت بعد أن ولدت اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والرومانية التي تعرف الآن باسم اللغات اللاتينية، وهذه اللغات أصبحت منذ عدة قرون لغات علم وأدب بعد أن كانت بمثابة لغات عامية مدة غير قصيرة من الزمن... فلا بد أن يحدث مثل ذلك في اللغة العربية، فمن العبث أن تبذل الجهود لتأخير هذا المصير، بل من الخير لنا أن نؤمن بذلك من الآن، فنوجه جهودنا إلى جعل العامية لغة الكتابة والعلم والأدب بوجه عام...»[4].

1- علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1420- 1999، القاهرة، ص: 24 .

2- نذكر منهم: عبد العزيز فهمي، و سلامة موسى، و موسى جورج، و اسكندر المعلوف، و أمين شميل،و أنيس فريحة.

3- مجلة معهد البحوث و الدراسات العربية العدد الأول، مارس، 1969، مقال للأستاذ محمد خلف الله أحمد بعنوان مستقبل الفصحى ص: 111 .

4- مجلة المجمع العلمي، مجلد 32 ج: 1 مقال لساطع الحصري بعنوان: حول الفصحى و العامية ص: 241 ، 242.

وفي تصورهم أنه يستحيل على أية مجموعة بشرية تشغل مساحة شاسعة من الأرض أن تحتفظ في لهجات الخطاب بلغة موحدة، يقول أنيس فريحة : « إننا في حياتنا اليومية نتكلم لغة سلسة سيالة تتميز بفقدان الإعراب، و بغنى في الحروف المصوتة التي تضفي على النطق بها مسحة تخالف النطق بالفصحى، وكذلك تتميز بمرونة في التركيب، وبسهولة في التعبير، ولكن في حياتنا الرسمية علينا أن تتلبس شخصية لغوية ثانية» [1].

ويمكن أن نرصد في نقاط بعض خلاصات، و آراء أنصار العامية وحججهم بوجه عام في أنها:

- لغة مرنة ، سهلة يفهمها كل الناس .
- أكثر واقعية و قدرة على التعبير ، وتمكن مستعمليها من التصوير .
- لها دور ضروري في الحياة الاجتماعية.
- لغة تكتبها كما تلفظها، ولا تضطر لبذل مجهود في تعلمها كما هي حال اللغة الفصحى.
- تجسد الوظيفة الاجتماعية للغة.
- يمكن ضبطها، ووضع القواعد لها و تطويرها، فتصبح لغة علم و عمل تمكن من تحقيق التطور السريع في جميع المجالات.

1- اللهجات و أسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، ص: 25.

- ليست مسخا مجردا للفصحى، وإنما لغة قائمة بذاتها، لها قواعدها و أصولها، فإذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريقة مقررة [1]. وأن الفروق اللغوية الموجودة بينها وبين الفصحى، والتي ننظر إليها نحن على أنها فروق جزئية وبسيطة وإنحراف بسيط عن الفصحى هي من وجهة نظر اللسانيات فروق أساسية و جوهرية سواء أكان هذا في النظام الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي، وكُلُّهَا فروق تبرر إعتبار العامية لغة قائمة بذاتها [2].

4 - لماذا ندرس اللهجات العامية ؟

ليست اللهجات العامية شكلا تقهقريا من أشكال العربية الفصحى، ولا تستلزم تبعا لهذا الموقف كل مطاردة لتنقية اللغة العربية من آثارها، فدراستها والاهتمام بها لا يُعَدُّ إضعافا للفصحى وإهمالا لها، فخلافا لما يذهب إليه البعض من أن الاعتناء بدراسة العامية خطر على العربية الفصحى نقول أن الاهتمام بها خدمة للعربية الفصحى، وذلك لعدة اعتبارات نذكر منها :

1- إن الاستعانة باللهجات العامية تمكننا من تحسين طرق تلقين العربية الفصحى للأطفال، وذلك بمقارنة هياكل الفصحى بهياكل العامية، ولفت نظر الطلاب إلى أوجه الائتلاف، وأوجه الاختلاف، بهدف تبيان الصلات بينهما، لأن هذا الواقع المزدوج الذي نعيشه يملي علينا أن نتجند لوصفه من باب الاعتراف بغنى الميدان اللغوي العربي، فلا ينبغي أن يستهان بالمادة اللغوية التي تشترك فيها جميع اللهجات العامية الحالية لكونها محلولة في صورها عن الأصل الفصيح، فكل ما هو مشترك وأصيل في نفس الوقت هو من

1- ينظر مجلة المجمع العلمي، مجلد 32 ج: 1 مقال لأحمد حسن الزيات بعنوان: مجمع اللغة العربية بين الفصحى و العامية ص: 173.

2 - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، د. الطيب البكوش، ط 2، 1987 ص: 13.

التراث اللغوي الذي يجب الاحتفاظ به بل الحث على استعماله قبل غيره، شرط أن يوافق النطق الفصيح ويتفق مع مقاييس الفصحى: « يملي هذا الموقف المتفهم للواقع المزدوج الذي يعيشه كل متحدث باللغة العربية أن نقلع عن الابتعاد عن دراسة اللهجات العربية، وأن نتجند لوصفها من باب الاعتراف بغنى الميدان اللغوي العربي» [1].

2ـ إن وجود اللهجات العامية في نظر الكثير من اللغويين أحد وجوه تطور وتطوير، وتحديث للغة العربية الفصحى، وهو تكلم متغير تختلف مميزاته الصوتية والصرفية، وكذا خصوصياته النحوية عن اللغة المهيمنة – أي الفصحى– ولكن هذا التغير عموما ليس مختلفا إلى درجة انعدام التفاهم بين متكلمين يتكلمون الفصحى، وآخرين اللهجات المحلية[2].

ويملي هذا الموقف على المشتغلين باللغة الفصحى والعامية أن يتفهموا الازدواجية اللغوية القائمة في نفس كل متحدث باللغة العربية، فهو في الوقت نفسه متحدث عامي، وفصيح، و أن يعملوا على توجيهها، ويحسنوا استثمار الزخم الموجود فيها إغناء للعربية الفصحى وتبقى المسؤولية ملقاة على عاتق مدرسي اللغة العربية و آدابها في تقبل هذا الواقع، والعمل على فهمه واستيعابه وتسخيره في خدمة فهم طلابنا اللغة العربية الفصحى وإتقانها، لان السبب الأساسي الذي يستدعي منا اليوم أن نعير اللهجات العامية جانبا مهما من اهتماماتنا اللغوية، يتمثل في أمر بسيط غفل عنه الأكثرون، وذلك أنه لا يمكننا من الناحية البيداغوجية أن نُعَلّمَ أطفالنا لغة من اللغات بدون أن نراعي المتاع اللغوي الذي يجيئوننا به إلى المدرسة، يقول الطيب البكوش : «مَثَل المُعَلم يُعَلّم تلميذه لغة بدون اعتبار المادة اللغوية الأولى– أي اللهجة – التي يحملها كَمَثَلِ المهندس يبني جسرا على نهر

1– دراسات في اللغة العربية الفصحى و طرائق تعليمها ص : 9.

2 – ينظر: اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د. عبد الجليل مرتاض، ص: 19.

بدون دراسة طبيعة الأرض التي يبني عليها، فما دراسة اللهجات العربية إذن ووصف هياكلها الصوتية والصرفية و التركيبية و المعجمية وصفا ألسنيا إلا مرحلة أولى تُعِينُنا عن طريق المقارنة و المكافحة على تحسين طرق تدريس اللغات الأخرى من عربية فصحى و غيرها التي نريد تعليمها لتلاميذنا» [1].

ينبغي أن نؤكد أن الاستفادة من المخزون اللغوي الذي اكتسبه أطفالنا من بيئاتهم لا تعني أبدا محاولة النزول بالفصحى إلى مستوى العامية، و لكنها على العكس من ذلك إنّها تعني محاولة الصعود التدريجي بالطفل من لغة الكلام إلى لغة الكتابة، و هو تَدَرّج لا بد أن يترك أثره على الصعود بلغة الكلام ذاتها شيئا والإقتراب بالعامية إلى مستوى الفصحى، و لو أننا أخذنا في الاعتبار أن معظم المفردات التي يستعملها الطفل في حياته اليومية فصيحة، وأَزَلْنا اللبس القائم في كثير من الأذهان من أن كل مألوف هو غير فصيح، و اخترنا له في مراحل دراسته الأولى معجما قريبا مما يألفه و تراكيب قريبة مما يعرفه، و تدرجنا به من لغة الكلام إلى لغة الكتابة فنكون بذلك قد خففنا عليه تلك الرهبة التي يبدأ في الإحساس بها مع بداية دروسه الأولى في تعلم العربية، و لا تفارقه حتى المرحلة الجامعية و ما بعدها[2].

3 ــ من الأسباب التي تستدعي منا اليوم أن نعير اللهجات العامية جانبا هاما من الاهتمامات، وتوجيه العناية لها، أنها تمكننا من تحسين طرق تعليم اللغات، وهنا نشير إلى أنّ اللسانيين في فرنسا قد اهتدوا بفضل دراساتهم أنه لا يمكن تعميم تعليم اللغة الفرنسية للطفل الفرنسي، أو الطفل العربي، أوالطفل السينيغالي باستعمال الكتب نفسها، والطريقة نفسها، وإنما ينبغي مراعاة الطبقة اللغوية السفلى أي العامية التي تعلمها الطفل[3]. إنّ هذا

1- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ص : 12.

2 – ينظر: ثقافتنا في عصر العولمة، د. أحمد درويش، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الطبعة الأولى، 2003، ص: 82 .

3 – التصريف العربي من خلال علم الأصوات الطيب البكوش ص: 12.

المستوى جدير بالبحث والنظر باعتباره نشاطا اجتماعيا للناطقين به، إذ تؤدي دراسة كل من الفصحى وعامياتها إلى فوائد محققة بالنسبة للآخر. إن بين العامية و الفصحى ستارا موهوما، علينا أن نَجْلُو غشاوته عن العيون، فليس من خير الفصحى أن يقوم بينها وبين العامية هذه العزلة الموحشة [1].

4 ـــ لعل الناظر إلى أمر اللهجات العامية المختلفة في البلاد العربية يجد أنها لا تشكل لغات مستقلة بالمعنى الاصطلاحي و العلمي لكلمة لغة، لكنها تتفاعل مع اللغة الفصحى الأم، إذْ لم تبتعد عنها ابتعادا ملحوظا، فهي مرتبطة بها، ليست مستقلة عنها تبقى محتفظة في بنيتها العميقة ببعدها العربي الأصيل، فهي تأخذ من الفصحى المفردات المختلفة وتحررها عن القواعد، والنطق السليم:« والحقيقة أنّ ما دَرَجنا على تسميته باللهجة العامية لا يمثل كيانا قائما بذاته له قواعده وأركانه المعلومة، و إنما يمثل إهمالا لقواعد اللغة الفصحى و ابتعادا عن أصولها ليس إلّا»[2]، هذا الإهمال ناشئ عن حاجة المتكلم إلى التعبير عن أفكاره بسهولة.

ليست مسافة الخلف بين اللغة الفصحى والعامية بالمسافة التي بعدت شقتها، فكثيرا ما تستعمل العامة كلمة عامية – إذا استثنينا الألفاظ الأجنبية الدخيلة– ذات أصل في اللغة الفصحى أبعدها عن أصلها خطأ في لفظها، أوتحريف في بنيتها، فكثير من الألفاظ تستعملها العامة في حديثها نحسبها دارجة دخيلة أو لقيطة لا أصل لها في العربية مع أنها أصيلة أو تمت إلى الأصالة بسبب و لكن عفى عليها طول الأمد و عدم الاستعمال في ألسنة و أقلام المثقفين بين أساتذة وطلاب يقول عبد المالك مرتاض : «إنْ كُنّا نُؤْثر لا يَرْبأ الكُتّاب عن استخدام ألفاظ فصيحة مستعملة في العامية للتقريب بينها وبين

1- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية ، د. عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1391 - 1971، ص : 8.

2- التعريب بين المبدأ و التطبيق، د. أحمد بن نعمان، ص : 146.

الفصحى، فإن معظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة إنما أفسدتها العامّة بألسنتها»[1]، وأن كثيرا من الألفاظ التي قد نعدها عامية ومذمومة مُطَرّحَة ما هي إلا ألفاظ أفصح مما قد نتصور، مما يجعلنا نطمئن ونقول إن العامية الجزائرية ضاربة بجذورها في عمق الفصحى البعيد [2].

إن بين الفصحى والعامية تآنس وتآلف وتجانس، فهما فصيلتان من لغة واحدة، هذه الثنائية تخلق نوعا من التوازن يقول كمال يوسف الحاج: «إن العامية فصيلة لسانية قائمة بذاتها هي لنوع خاص من حياة الوجدان لها نظامها الصوتي و التركيبي، هما فصيلتان من لغة واحدة مثلهما مثل ثنائية الجنس و العقل من الإنسان الواحد، هذه الثنائية تخلق نوعا من التوازن في اللطيفة هكذا العامية و الفصحى»[3].

5 ـــ إن بعد العاميات العربية عن الفصحى شيء مبالغ فيه ، فالفرق لا يزال ضئيلا وأن الكثير من الألفاظ العامية ليست إلا ألفاظا فصيحة طرأت عليها تغيرات عديدة من نحت وإبدال وقلب وزيادة وحذف، فما نراه من تغيير في نطق بعض الأصوات وفي تراكيب بعض الصيغ والمفردات وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والوصف والنسب، وغيرها ما هي إلا فروق ضئيلة نتجت عن حاجة الناس إلى التعبير عن أفكارهم بسهولة ووضوح، ومن نزوعهم إلى الاقتصاد في الكلام، إن التمييز بين هذين الوجهين، الوجه الفصيح، والوجه العامي، لا يعني أن هناك هوة بينهما، فالوضع اللغوي بين هذين الوجهين هو وضع تمازج، وتفاعل مستمرين يؤدي في العديد من الأحيان إلى استعمالات لغوية تمزج الفصحى بالعامية، والعامية بالفصحى في مستوى

1- العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، د. عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1981، ص: 6.

2- ينظر: مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد العاشر، خريف 2004، مقال للدكتور عبد الجليل مرتاض بعنوان: تجارب علمية في تفصيح العامية ص: 33.

3- فلسفة اللغة ، د. كمال يوسف الحاج، دار النشر للجامعيين ، بيروت، 1956، ص : 257.

الأصوات والمفردات، والعبارات والجمل، وفي ذلك يكون المتحدث باللغة العربية أكثر قربا إلى التعبيرية، وأكثر صدقا في وصف ما يفكر، أو ما يجول في خاطره من مشاعر، وأحاسيس وأفكار [1].

5 – كيف يمكن أن نقرب بين الفصحى و العامية ؟

إن الحل لمشكلة الازدواجية اللغوية المستفحلة في مجتمعاتنا العربية يكون عن طريق تقريب الهوة بين الفصحى والعامية ، وهذا الحل ممكن بالنسبة لعربيتنا وذلك من خلال :

1- نشر التعليم وتعميم الفصحى كلغة الحديث، ودفع الطبقات المثقفة من معلمين وأساتذة وجامعيين وباحثين إلى استعمال ألفاظ فصيحة في حياتهم اليومية وتقويم ألسنتهم، يقول عبد المالك مرتاض: « وقد قمت بتجربة في الحي الذي أقطنه، فرأيت في الأمر عجبا، فاقتنعت بأن لو كان في كل حي خمسة عشر مثقفا أو أكثر، وأصبح كل واحد منهم يتكلم عبارات و ألفاظا فصيحة في أحاديثه مع جيرانه ومعارفه، لطمعنا في أن قومنا لا تتعرب لهجاتهم و تتحسن لغاتهم فحسب، ولكن لعلهم أن يصبحوا ممن يستعملون في أحاديثهم اليومية كثيرا من الألفاظ الفصيحة العالية »[2].

2- يجب أن تكون هذه الألفاظ المستعملة على الأقل بين المثقفين في مختلف المؤسسات الإعلامية والتربوية مبسطة وسهلة وواضحة، يفهمها العامة من الناس بعيدة عن الإبداع اللفظي والبياني يقول أحمد بن نعمان: « و قد أثبتت السنوات الأخيرة أن أبناء العالم العربي على استعداد لتقبل هذا الأسلوب إذا تعودوه لمدة كافية، وخير مثال لذلك هو لغة الفصحى المستعملة يوميا في المدارس والجامعات مع المتعلمين ولغة

1- ينظر : دراسات في اللغة العربية الفصحى و طرائق تعليمها، ص: 7.

2- العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، ص: 6 .

الأحاديث والنشرات الإخبارية والبرامج الإذاعية التي تتوخى البساطة إلى حد كبير، والتي بإمكانها أن تكون صلة وصل ناجحة بين لغة الجامعة والجامع و لغـة المعمـل والشارع، وبذلك نسير في طريق التوحيد أو التقرب بين الفصحى والعامية والقضاء على الثنائية المستفحلة» [1].

3- حسن استغلال واستثمار الرصيد اللغوي الذي يرافق الطفل وهو يأتي إلى المدرسة، لقد أثبتت لنا معطيات الواقع اللغوي في البلاد العربية أننا أمام مستويين لغويين متمايزين هما مستوى الفصحى ومستوى العامية، التي تمثل المنشأ الذي يكتسب فيه الطفل وسيلة الاتصال بشكل عفوي وتلقائي عن طريق الاحتكاك بأفراد عائلته، لِيَشِيع استعمالها بعد ذلك في المحيط الاجتماعي، فيأتي إلى المدرسة بهذا الرصيد اللغوي الهائل، وأثناء التعلم يحدث تداخل بين هذين المستويين، فيكون التأثير للمستوى الأكثر استعمالا، حيث أن العادات اللغوية التي اكتسبها الطفل في مرحلة ما قبل التمدرس تؤثر على ما يُعْرض عليه في المدرسة من بُنى لغوية فصيحة تجعله يشعر بغرابة الاستعمال و القهر اللساني و التعسف التربوي[2].

لكن بإمكان كُتُبِنا المدرسية أن تلعب دورها الناجح في تقريب العامية من الفصحى من خلال تفصيح الرصيد اللغوي الذي اكتسبه الطفل خارج المدرسة، وتركه يُفْصِح و يُعَبرّ بأي كلمة يشاء، ويكون دور المُعَلّم الإشراف على التصحيح الصوتي، وإبدال ما هو أجنبي عن الفصحى[3] فَيَقِف موقف المتفهم من تفاعل المستويين (الفصيح والعامي)، فلا يحق له أن يهمل هذا التفاعل، حتى يتسنّى له الربط بين ما هو عامي وما

---

1 - التعريب بين المبدأ و التطبيق، ص: 148.

2- ينظر: مجلة اللغة العربية، العدد العاشر، مقال للدكتور عبد الجليل مرتاض بعنوان: تجارب علمية في تفصيح العامية، ص: 33.

3- مجلة اللغة العربية، تجارب علمية في تفصيح العامية، د. عبد الجليل مرتاض ص: 33.

هو فصيح في مستوى المفردات والجمل، ويجعل الطفل يدرك بسرعة الخطأ ويتجنب الوقوع فيه، فيشارك بطريقة غير مباشرة في عملية تفصيح العامية.

4- استيعاب الألفاظ المستعملة في لغة التخاطب اليومية، وجمعها في قاموس و ذلك بعد أن ترد إلى أوضاعها الأصلية الفصيحة، وإدخال الإعراب على سبيل التدريج، وإصلاح المنحرف واستبدال الدخيل بقدر المستطاع، آنذاك لا يجب أن يقال عنها غريبة أو عامية على أن يُنْشر ذلك القاموس بين الفئات المتعلمة مثل :

- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية لعبد المنعم سيد عبد العال.
- رد العامي إلى الفصيح لأحمد رضا العاملي .
- معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية (تفسير معانيها) لأنيس فريحة .
- ألفاظ عامية فصيحة لمحمد تنير.

5- الاستمرار على خطى علمائنا القدماء والمحدثين في تهذيب العامية وتقريبها من الفصحى من أجل خلق لغة وسطى تفهمها وتتواصل بها طبقات العامة والخاصة من المجتمع، هذه اللغة الوسطى في نظر أحد الباحثين تعني استعمال مستوى مُيَسّر مزيج من الفصحى، وهي هَذْب وفصْح من الكلمات العامية القريبة من أمّها الفصحى التي بعدت أو انحرفت عنها لظروف قاهرة لم تكن ترغب فيها إراديا أيما رغبة [1].

إن الهدف الرئيس من معالجة مشكلة الازدواجية اللغوية هو النهوض بالفصحى والإعلاء من شأنها، ذلك أنّ القاعدة التي رسّخَها التاريخ اللغوي تنص على أنه كلّما تألّقت الفصحى زادت العاميات قربا منها.

1- السابق، ص: 37.

الفصل الأول

التغيرات الصوتية والعوامل المتحكمة فيها

1- اللغة نظام متغير:

اللغة كسائر الظواهر الاجتماعية خاضعة للتغير، فلا تتوقف عن التطور إلا إذا انقطعت عن الاستعمال فتغدو لغة ميتة[1]. و يرتبط تغيرها بتطور المجتمع الذي يتكلمها، ذلك أنها ظاهرة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها [2]، وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فهي كائن حي تحيا في أحضان المجتمع و تستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما تتطور بتطوره، وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه [3].

يعود هذا التغير في اللغة إلى طبيعتها الاجتماعية، حيث إنها تحيا على ألسنة متكلميها، ومن ثم فهي تخضع لسنة التغير التي يخضع لها الكائن الحي سواء في نشأته أو في نموه[4]. وهذه التغيرات التي تطرأ عليها لا يمكن شرحها و تفسيرها إلا في إطار التحولات التي يعرفها المجتمع. وقد أكد ذلك لسانيون منهم، **فَرْدِينَانْد دِي سُوسِير**(Ferdinand de saussure) الذي ركّز في مقالاته على العلاقة القائمة بين التغير اللغوي والتطور المجتمعي[5]، و**أَنْطْوَان مَايِيه**(Antoine meillet) الذي يَعْتبر أن اللغة انعكاس للثقافة المجتمعية، فتبدو اللغة من هذه الزاوية بالذات تمظهرا لثقافة المجتمع الذي يتكلمها [6].

1- ينظر: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، ب. ط 2002، ص: 194.

2 - ينظر: اللغة و التواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي و الكتابي)، د. عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر، ب.ط، ب.ت، ص: 51.

3- ينظر: التطور اللغوي: مظاهره و علله و قوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، دارالرفاعي الرياض ط1 هـ1404هـ - 1983م، ص: 5 .

4 - ينظر: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425هـ - 2004م، ص:174.

5- ينظر: محاضرات في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د.ت، د.ط ص: 96 - 97 .

6- ينظر الألسنية : المبادئ و الأعلام، د ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1304 هـ 1983م، ص: 113.

إن التطور اللغوي وثيق الصلة بتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية، ذلك أن كل تطور يصيب ميدانا من هذه الميادين يتردد صداه في اللغة وينعكس على استعمالاتها .

ليست اللغة هامدة أو ساكنة، فهي كبقية الظواهر الاجتماعية تخضع لسنة التطور مهما حرصنا على خصائصها، فهي في اندفاع مستمر لا قدرة لأحد على إيقافه أو مخالفته أو الخروج عن مقتضى التوافق معه، و« مِنْ هذا يظهر أنه ليس في قدرة الأفراد والجماعات أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يحُولوا دون تطورها على الطريقة التي ترسمها قوانين علم اللغة، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط قواعدها وأصواتها وكتابتها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة، وكتابة ونطقا،و في وضع طريقة ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، و مهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم الأغلال، و تفلت من هذه القيود و تسير في السبيل الذي تريدها على السير فيها سنن التطور و الارتقاء التي ترسمها قوانين علم اللغة » [1].

لا تبقى عناصر اللغة من أصوات و تراكيب و ألفاظ و معان ثابتة على حالاتها الأولى فهي معرضة للتغير، فاللغة من شأنها الحركة، و لا يمكن بحال من الأحوال أن تثبت في مكانها بلا حراك ذلك أن اتجاهها الطبيعي و بخاصة في صورتها المنطوقة وهو اتجاه يبعدها عن المركز. فاللغة تميل إلى التغيير سواء عبر الزمان أو المكان إلى الحد الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز. هذه الخاصية العالمية للغة هامة لعالم اللغة التاريخي حيث أنها تشكل الأساس في كل تغير لغوي [2].

1- علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، ط6، 1387 هـ - 1967م ص: 18.

2 -ينظر: أسس علم اللغة ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط3، 1408هـ - 1987م ص: 71.

تختلف نسبة التغير من فترة زمنية لأخرى، فقد يكون هذا التغير المستمر في اللغة بطيئا، كما قد يكون في فترات زمنية سريعا، كما يكون شاملا لساحات واسعة من اللغة أو مقصورا على نواح دون الأخرى، كما أنه قد يكون بطيئا لا يحصل إلا في الآماد الطويلة أو سريعا تبدو نتائجه في زمن قصير لا يعدو العشرات من السنين. فاللغة العربية لم تتغير مثلا أصواتها (حروفها) منذ مدة تزيد على خمسة عشر قرنا، وكذلك صيغها وأصول موادها، على حين أننا نرى اللغة الفرنسية مثلا قد تبدل منذ خمسة قرون الكثير من عناصرها كالأصوات و تصاريف الأفعال و بعض التراكيب ومعاني أكثر ألفاظها[1].

ومادامت اللغة أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، والأغراض لا تنتهي والمعاني لا تنفذ والحضارة تهدي الناس كل يوم بمخترع جديد و العلوم تطالبهم بمصطلحات جديدة، فإن اللغة لا يمكنها أن تثبت ثبوت الدين ولا أن تستقل استقلال الحي، فكل نبأة وهمسة في حياة الجماعة التي تتكلم لغة تترك أثرها فيها، وتغير حالها وتترك أثرا في تطورها [3]. كما أن الصور المتعددة للظاهرة اللغوية ليست جميعها وليدة فترة زمنية واحدة، بل إن إحداها فقط وهي التي تمثل مرحلة البداية، أما بقية صور الظاهرة فقد جاءت بسبب التغير الذي يصيب الظواهر اللغوية على فترات حياتها [4].

نستطيع أن نقرر أن التغير المستمر في اللغة لا يوصف بأنه اتجاه نحو الأحسن، وأنه تطور إلى الارتفاع أو الصحة، بمعنى ليست عربية القرن الأول الهجري أصح منها في القرن الحالي، ولا ينسب إلى لهجات العصر الجاهلي من التفضيل و التمييز ما تحرم منه

1 - فقه اللغة و خصائص العربية – دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية و عرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد و التوليد– محمد مبارك ، دار الفكر، ط 5، 1392هـ – 1972م، ص: 32.

2 -ينظر: الخصائص أبو الفتح ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية مصر، ب.ط، ب.ت، ج1 ص: 33

3- ينظر: عوامل تنمية اللغة العربية، د. توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1400هـ – 1980م، ص: 177.

4 -ينظر: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، ص: 177.

اللهجات التي تنطق الآن في البلاد العربية، و العكس أيضا غير صحيح فكل اللغات عرضة للتغير، وهي حقيقة ثابتة، وعلى عالم اللغة أن يبني نظرية تفسيرية للتغير اللغوي تسهم في فهمنا لطبيعة اللغة [1]. يقول إبراهيم السمَرَّائي: « وهكذا يكون سَيْر التطور سلبا كما يكون إيجابا، فربما لا تتطور اللغة نحو مستوى متقدم رفيع، بل تنزل إلى دَرَك من التغير و التبدل، تبعا للمستوى الحضاري والثقافي الذي عليه الأمة، ومن أجل ذلك نستطيع أن نقرر أن ما يُسَمَّى في كتب اللغة والنحو "لغة " من الاستعمالات غير المألوفة، أو غير الصحيحة، تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هُذيل، أو عقيل، أو طيئ، أو غير هؤلاء، لم يكن إلاّ من قبيل هذا التطور في اللغة، ثم نسبت اعتباطا لفئة معينة من الناس، و ما من اللغات العامية الحديثة، أو ما نسميه باللهجات العربية الحديثة إلا نتيجة لهذا التطور في العربية الفصيحة »[2].

كما يجب أن نقرّر أن التغير اللغوي مفهوم حيادي لا يحمل شحنة معيارية ولا يمثل موقفا من الظاهرة اللغوية لها أو عليها، وإنما معناه أن اللغة تطرأ عليها تغييرات نسبية في الأصوات والتراكيب والدلالة، فهي كسائر مجالات الحياة لا يتجه تطورها دَومًا نحو التهذيب و الكمال، ولا يكون دائما بمعنى التقدم و الارتقاء، فقد يكون ترديا و انتكاسا، وإن موازنة بين حالة الكلمات في اللغة العربية الفصحى وما آلت إليه في اللغات العامية لَأكبر دليل على ما نقول، وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد جرى مثله في كثير من اللغات، فالتطور اللغوي لم يتجه نحو التهذيب، ولم يحقق زيادة، بل أدى في معظم مظاهره إلى اللبس و جرد مما بها من دقة، وسمو وأنزلها منزلة وضيعة في التعبير [3].

---

1 - ينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، ب ط، 1987، ص:287.

2 - التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السمَرَّائي، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط 2، 1983، ص: 29.

3- ينظر: علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 263.

تتغير اللغة بصورة دائمة، فأصواتها وتراكيبها، وعناصرها النحوية وصيغ كَلمَاتها على سواء في سرعة قبول هذا التغير، واللغة في تطورها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والنحو والمفردات والأساليب، كما أن النطق في أي لغة من اللغات لا يبقى دائما على حالة واحدة، فعلى مر الزمان تعتريه تغيرات [1]. ومَرَدّ ذلك إلى أن الجانب المنطوق في اللغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية، ويتغير أكثر مما يتغير الشكل المكتوب، وأن دراسة هذا التطور تفتح آفاقا جديدة في مجال فهم اللغة الإنسانية بصورة عامة[2].

وحين يحاول الباحث تعليل ذلك يخلص إلى أن اللغة بطبيعة أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النمو، والاتساع الذي يكون في حدود ضيقة في الصيغ والتراكيب والمفردات، كما أن الصوت يمتلك ظلالا وتَلَوُنَات تجد في مسرح النطق حرية أوسع لممارسة أنشطتها[3]، وهو ما يؤكده أحمد مختار عمر الذي يقول: « إن الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب بالإضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته و يتطور دونه » [4].

1- ينظر: الصوتيات برتيل مالبرج، ترجمة د. محمد هليل، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1994 ص: 197.

2- ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ و الأعلام، ميشال زكريا، ص: 154.

3- ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 1998م- 1418هـ ص: 261 .

4 -دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط3، 1405هـ 1985م، ص:317 .

2- خصائص التغير الصوتي :

أشرنا فيما سبق أن اللغة ليست هامدة، فهي كبقية الظواهر الاجتماعية تخضع لسُنّة التغير،و أن المستوى الصوتي أكثر عرضة للتبدل، ذلك أن الجانب المنطوق في أي لغة يمارس حرية أكثر مما تمارسه باقي المستويات الأخرى.

بناء على ذلك يتسم التغير الصوتي بمجموعة من الخصائص أهمها :

أ- أنه مقيد بزمان ومكان معينين : يرتبط التغير الصوتي بمكان وزمان معينين: ف « معظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة، وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة (**قُلْت: أُلْت**) لم يظهر إلا في بعض المناطق الناطقة باللغة العربية، ومنذ عهد غير بعيد، وتحول صوت "**a**" في بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت "**e**" لم يظهر إلاّ عند الفرنسيين و لم يبدأ أثره لديهم إلاّ في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن و أوائل الرابع عشر» [1]. لقد كان تبادل عكسي بين العربية و الآرامية بالنسبة للسين و الشين، ف" **السَارِيَة** " في العربية معربة من الآرامية "ŝaritā" و كلمة " **السَاع** " العربية، و تعني الكلس معربة هي الأخرى من الآرامية "ŝyāā" وكلمة "**دمشق**" معربة هي الأخرى من الآرامية "Dammesek"[2]. وقد حدّد **برجشتراسر** Berajstrarser ذلك التطور ببداية القرن الخامس قبل الميلاد، و هو الوقت الذي جاور فيه العرب الآراميين [3].

1- علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص: 262.

2- ينظر: التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، 1402هـ- 1982م ص: 25.

3- السابق ص: 26.

ب- يتسم التغير الصوتي بأنه بطيء في سيره و تدرجه، لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يحصل إلاّ في الآماد الطويلة، وتظهر آثاره بعد أجيال، و التطور المُعيّن لا يشمل كل الصيغ اللغوية، فقد يحدث في صيغة، ولا يحدث في أخرى[1]، فَتَغيُّر الأصوات لا يحدث فجأة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال [2]. يقول علي عبد الواحد وافي: « فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغَة آبائنا المباشرين ولكنها تختلف اختلافا بينا في هذه الناحية عَمّا كانت عليه في ألسنة أجدادنا في العصور الوسطى أو في صدر العصور الحديثة » [3]. هذا الاختلاف لا يَتَبيَّنه إلاّ الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ويظهر بصورة جلية إلاّ إذا وازنّا حالتيها في جيلين تفصلهما مئات السنين [4].

ج- التغير الصوتي تغير تلقائي: يحدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للإرادة الإنسانية يقول **فندريس vendrys** : « فالطفل يعتقد أنه يقوم بنفس الحركات الصوتية التي يقوم بها أبواه مع أنه يخالفهما، فعدم شعورية التغير هو الذي يفسر لنا استمراره، لأن الطفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه لَوْ أنه شعر به » [5]. فتحول صوت الثاء في بعض اللهجات العربية العامة إلى تاء، وصوت الذال إلى دال، والظاء إلى ضاد، وانقراض الأصوات التي كانت تلحق في أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها، ووظائفها في الجمل كل ذلك حدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للتواضع أو إرادة المتكلمين[6].

1 - ينظر: المدخل إلى علم الأصوات- دراسة مقارنة- د. صلاح الدين صالح حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة، الطبعة الأولى، 1981 ص: 71.

2- ينظر: التطور اللغوي: علله و مظاهره و قوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 16.

3 - علم اللغة، ص: 261.

4 - ينظر: السابق ص: 261.

5- ينظر: اللغة لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجان البيان العربي، 1950 ص: 65

6- ينظر: علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص: 262.

د- يتسم التغير الصوتي بأنه مطَّرِد، فما يصيب الصوت من تغير في بيئة معينة، يَسْري عليه في جميع أحواله، ويظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد التي تكتنفهم تلك البيئة : فـَ « إذا لاحظنا مَثَلا أن القاف الفصحى قد اختفت من لهجة القاهرة وحلَّت محلّها الهمزة، فهذا قانون صوتي مطَّرِد لا يعرف الشذوذ أو الاستثناء»[1] و ذلك أنه لمّا كما كان التغير لا ينحصر في كلمة منعزلة ، بل في آلية النطق نفسها، فإن جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق تتغير بالصورة نفسها [2].

ه- من خصائص التغير الصوتي أنه تعبير اجتماعي، و ليس تعبيرا فرديا كما كان يسود الاعتقاد لفترة طويلة من الوقت يقول **فندريس** vendrys: « سادَ شَطرا طويلا من الزمن، الاعتقاد بأن كل تغير صوتي، إنما يَصدر عن الفرد، وأنه لم يكن إلاّ تغييرا فرديا ثم عُمّم، وهذا إدراك غير صحيح فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقا تَنبو عنه فطرهم، وليس هناك من قسر جدير بتعميم تغير صوتي، فلأجل أن يصير تغير ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي من تلقاء أنفسهم، بل إن سلطان المحاكاة نفسه لا يقدر هنا على شيء، فإن النطق الشاذ لا يجلب اتباعا لصاحبه، بل لا يجلب له بوجه عام إلا السخرية منه » [3].

1- علم اللغة العربية- مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث و اللغات السامية- د. محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 65.

2- اللغة لفندريس ص: 69.

3- السابق ص: 69.

3- التأثير و التأثر بين الأصوات:

لا تحتفظ الأصوات في الكلام المتصل بخصائصها التي تعرف بها حين تكون أصواتا مستقلة، بل تكتسب خصائص جديدة، وذلك كأن تتصف الباء بالشفوية والجهر والشدّة، فإذا حدث أن فقدت إحدى هذه الصفات كان هذا استجابة لمقتضيات السياق. يقول محمود السعران : « إن للأصوات فيما بينها نحوا خاصا، إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد أن هذا الصوت ينقلب صوتا جديدا إذا وقع في سياق صوتي معين، ونجد أن صوتا ثالثـــا يحـــذف إذا توافـــر فيه و فيما يجـــاوره شروط معينـــة »[1]، ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، مُكونة بذلك نظاما متجانسا تنسجم عناصر هياكلها فيما بينها[2].

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فمن الأصوات ما يقع عليه التأثير بشكل سريع، مما يؤدي إلى الاندماج في غيره، والبعض الآخر لا يمتلك خاصية الاستجابة الفورية لهذا التطور. يقول عبد الصبور شاهين: « و من البين أن التأثر قد يكون جزئيا ، بمعنى أن يفقد الصوت صفة من صفاته كالجهر والهمس، ويتحقق الصوت حينئذ ببعض صفاته الأخرى، و قد يكون كليا بمعنى أن يفقد الصوت و جوده كلّه و يصبح صوتا آخر» [3].

ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السر فيما قد يصيبها من تأثر ف« تتغير مخارج بعض الأصوات، أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع

1- علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي، ص: 200.

2- ينظر: اللغة لفندريس ص: 62.

3-أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي - أبو عمرو بن العلاء- تأليف د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 1408هـ - 1987م، ص: 232.

الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ذلك أنّ أصوات اللغة تختلف فيما بينها كما نعرف في المخارج وفي الشدّة والرخاوة والجهر والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الأخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها أو في بعضها »[1]، ومن هنا تنشأ عملية التأثير و التأثّر بين الأصوات، وهي ظاهرة شائعة في كل لغات العالم.

والأصوات في تأثرها تهدف إلى تحقيق نوع من التشابه، أو التماثل بغية التقارب في الصفة و المخرج، وخلق نوع من التوافق بينهما، و« يمكن أن نسمي هذه الدرجة من التأثر بإمكانية التكيف و الانسجام الصوتي اللغوي»[2]. والانسجام الصوتي من الظواهر البارزة في اللغات، فإذا ما اشتملت كلمة على بعض الأصوات المتباينة نراها تتغير وفي أثناء هذا التغير تحاول تقريب تلك الأصوات فيما بينها، ومن هنا تقع عملية التأثير والتأثر بين الأصوات اللغوية، والتي هي مصدر التغيرات الصوتية.

نعني بمصطلح التغييرات الصوتية تلك الاختلافات والفروق التي يدركها السامع في أثناء سماعه للصوت الواحد في عدة مواقع من الكلمة، أو منطوقا من قبل عدّة أشخاص[3]، فالعربية في مستواها الفصيح لأصواتها سمات خاصة من حيث المخرج

1- التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 22 .

2- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 283.

3- ينظر: مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي(دراسة و تقويم) رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في فقه اللغة د. آمنة بن مالك حامعة الجزائر معهد اللغة و الأدب العربي، 1987 ص: 413.

والوظيفة، هذه الأصوات قد يعتريها إبدال في العامية[1]. وقد قسّم علماء الأصوات هذه التغييرات إلى قسمين أساسيين : مطلقة ومقيدة.

فالتغييرات المطلقة تشمل التَبَدُلات التي تحصل عن طريق التحول في النظام الصوتي من جراء تعاقب الأجيال في تعاملهم مع اللغة، أوكما عرّفها رمضان عبد التواب: « تلك التغييرات التي تحدث مع التحوّل في النظام الصوتي للغة بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتا آخر »[2].

إن التغييرات التاريخية غير مشروطة، تحدث مع تطور الكلام بغض النظر عن السياق الصوتي[3]، بمعنى أنها إذا أصابت صوتا ما فإنها لا تصيبه في تركيب دون آخر، بل تصيبه في كل تركيب من تراكيب اللغة، من ذلك أن الأصوات اللثوية (**ث، ذ، ظ**) أبدلت في كثير من اللهجات العربية العامة **بالتاء والدال والضاد** أو **الزاي** المفخمة، فهذه الأصوات لم تبدل في تركيب وبقيت في آخر بل اختفت كليا من جميع تراكيب اللهجات العربية[4] .

ويُعَدّ صوت **القاف** في العربية ولهجاتها العامية مثالا حيا لهذا النوع من التغير الصوتي فقد عدّه اللغويون القدامى من الأصوات المجهورة[5]، فإنْ صدق وصفُهم هذا نقول ربما وصفوا قافا أخرى غير هذه التي نسمعها من مجيدي القرّاء هذه الأيام، وكان

1- دراسات في الدلالة و المعجم، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ب.ط، ص: 67.

2- التطور اللغوي علله و مظاهره و قوانينه، ص: 17.

3- ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1987 ص: 48.

4- ينظر: الوجيز في فقه اللغة، د. محمد الأنطاكي مكتبة دار الشرق،بيروت، ط3 1389-1969، ص: 276 وكذلك: فقه اللغة و خصائص العربية د. محمد مبارك ص: 54.

5 - ينظر: كتاب سيبويه، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1991م، ج 4 ص: 478.

ذلك النطق من التغيرات التاريخية المطلقة في العربية القديمة [1]. ولقد تعرضت "**القاف**" إلى تغييرات في اللهجات العامية في مختلف أنحاء الوطن العربي مثل :

أ- تحول هذا الصوت إلى همزة في الحواضر العربية في مصر وبلاد الشام عامّة و في مدينة تلمسان[2] بالجزائر ف" **قَالَ** " تنطق عند سكان هذه المناطق "**آلَ**" و" **قَلْب**" تنطق " **أَلْب** " ومن العبارات المشهورة في العامية التلمسانية قولهم :" **الْفَارْ مْأَلْأْ مَزْهَرْ لْأَطْ**. " في: **الفَارْ مقلق مَزْهَر القَط.**

وتطور القاف إلى همزة هو قانون عام في لهجات معظم الحواضر العربية في مصر وبلاد الشام، ففي القاهرة كما في الإسكندرية كما في القدس والخليل واللّد والرَمْلة كما في دمشق وبيروت، جميع السكان الأصليين في هذه المدن ينطقون القاف همزة، ويبدو أن هذا النوع من التطور في القاف قديم في اللغات السامية[3].

وتطور القاف إلى همزة كان معروفا لدى العرب قديما، فقد روى أبو الطيب (ت351هـ) قولهم: « **القَفز و الأَفز** »[4]، والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة أن القاف تأخر مخرجها إلى الخلف باحثا عن أقرب الأصوات شبهها من الناحية الصوتية ولا يوجد في أصوات الحلق ما يشبه القاف إلاّ الهمزة وذلك لوجود صفة الانفجار في كلّ منهما [5].

1 - ينظر: التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، د رمضان عبد التواب ص: 17 .

2- حول تحول صوت الهمزة إلى قاف، ينظر: لهجة تلمسان وعلاقتها بالعربية الفصحى، د. التيجيني بن عيسى، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1990- 1991.

3 -ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، الطبعة الأولى، 1425هـ 2004م، ص: 55.

4 - الإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ج 2، ص: 562

5- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، ص: 55.

ب- تطور صوت القاف إلى كاف وهذا النطق شائع على نطاق واسع لدى كثير من الفلسطينيين [1] وعند سكان جيجل وسكان السواحيلية[2] فالسواحليون يقولون مثلا :

- كَرْدَحْ مَرْدَحْ كْلِيلْ انِيَّه مَا يَرْبَحْ

بإبدال القاف كاف في: "قَرْدَح" و "قْلِيلْ" [3].

وهذا التطور موصول الأسباب بلهجات عربية قديمة فهو امتداد لها فقد نسبت هذه الظاهرة إلى بني تميم وعلى لهجتهم قول الشاعر[4] :

وَ لاَ أكُولُ لِكَدْرِ الكَوْمِ كَدْ نَضَجَتْ وَ لاَ أكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولُ

وهذا التطور ناشئ عن تقدم مخرج القاف إلى الأمام قليلا مع ترقيقها واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها، فالقاف والكاف متقاربتان في المخرج متماثلتان في صفتي الشدّة والهمس، فالقاف صوت لهوي شديد مهموس، والكاف من أصوات أقصى الحنك شديد مهموس فلا فرق بين القاف والكاف إلاّ أنّ القاف أعمق قليلا في مخرجها [5]. قال ابن خالوية(ت370هـ): « والعرب تبدل القاف كافا، والكاف قافا لقرب مخرجيهما»[6].

1 - ينظر: التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 21.

2- السواحلية تقع في أقصى الشمال الغربي للجزائر، تعرف حاليا ب تونان مقر الدائرة، إضافة إلى مزاورو، بوقدامة، بيدر، الغزوات وباب خروفة، الصخرة...

3- ينظر: الخطابات اللهجية في منطقة ترارة دراسة صوتية ومورفولوجية، جيلالي بن يشو رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات، كلية الآداب والعلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1999- 2000، ص:50.

4- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص:54.

5- المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب، ص: 55.

6- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ت، د.ط، ص: 122.

وقد عقد أبو الطيب اللغوي بابا في كتاب الإبدال ذكر فيه عددا كبيرا من الكلمات التي أبدلت فيها القاف كافا نحو: **الأَقْهب والأَكْهب، والقسْط و الكسْط، و قَشطَت وكَشطَت، وقَهَرته وكَهَرْته**[1].

كما ذكر الزبيدي (ت 379هـ) أنّ العامة في عهده كانت تقول : **اسْتَكْتَلَ** في الأمر بدلا من **اسْتَقْتَلَ**[2] وذكر ابن مكي الصقلي(ت501هـ) أن العامة كانت تقول للقميص الذي لا كمي له **بَكِيرة** بدلا من **بَقِيرة**، ويقولون لبعض الأوعية: **حَكّة** بدلا من **حَقة**، ويقولون **تَرَكُوه** بدلا من **تَرَقُوه**[3].

ج- كما تطور صوت القاف إلى كاف طبقية مجهورة أي إلى جيم قاهرية **(g)** وهذا عند أغلب سكان البدو بالجزائر وبفلسطين، وفي اللهجة الأردنية الدارجة وفي اللهجة الليبية[4]، كما يشيع في لهجات الصعيد المصري [5].

د- هناك تغييرات مطلقة أخرى طرأت على هذا الصوت، فهو في كلام أهل السودان و جنوب العراق غينا، فنسمعهم يتحدثون عن " **الاسْتِغْلال** " و هم يقصدون بذلك " **الاسْتِقْلال** "[6]. ينطق بعض الناس في بلاد فارس الغين قافا، والقاف غينا، فقد قِيل لرجل من مازندران[7]، لماذا تلفظون الغين قافا والقاف غينا ؟ فقال **اسْتَقْفِرُ** اللّه من

1 - ينظر: الإبدال، ج 2 ص: 353 و ما بعدها.

2 - ينظر لحن العامة تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1981، ص: 200.

3 - ينظر: تثقيف اللسان و تلقيح الجنان، تحقيق د. عبد العزيز مطر، القاهرة، 1425هـ- 2004م، ص: 94.

4- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة د. فوزي حسن الشايب، ص: 57.

5- ينظر: علم اللغة العام – الأصوات- د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، 1980، ص: 110.

6 - ينظر: التطور اللغوي، علله ومظاهره وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 21.

7- منطقة ببلد فارس.

يَغُولُ هذا ؟ [1] والتفسير الصوتي لهذا التطور يرجع إلى ضياع الإنفجار من صوت القاف و إلى تقدم مخرجها إلى الأمام قليلا [2].

ه- كما تطورت القاف إلى صوت مزدوج كالجيم الفصيحة، و ينتشر هذا النطق في بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، إذ يقولون **الجَبْلة** بدلا من **القبْلة**[3]. كما ينتشر هذا النطق بين البدو في جنوب الأردن فيقولون في **اقْعُد** : **اجْعُد**، و يوم **القِيَامة**: يوم **الجِيَامة**، وفي أشعارهم يقولون :

و لَكَ يا غراب حَيِّد عَن طيريجِي

و أريد أشرب مَيَّه بالبَريجِي .

أي طريقي و الابريق [4]

و- ومن مظاهر تطور صوت القاف أنه ينطق صوتا مزدوجًا من الدال والزاي، عند سكان مدينة الرياض في مثل " **دْزِبْلَة** " في "**قِبْلَة**"، و" **المَدْزِيبرَة** " في **المقْبَرة**، و" **دْزِلِيب** " في "**قْلِيب**" بمعنى البئر [5].

وتطور صوت القاف إلى صوت مزدوج يرجع إلى قانون الأصوات الحنكية، حيث تنزع الأصوات الطبقية إلى تقديم مخارجها إلى الأمام قليلا، فيُصَيِّرُها صوتا مزدوجا الطريقة

1- القواعد و النصوص الفارسية، الصياد فؤاد عبد المعطي، بيروت، ط2، 1970 ص: 27.

2 - ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، ص: 59.

3 - ينظر: التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 21.

4 - ينظر: مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد 287، مقال لأبي الرب توفيق بعنوان: أصالة لغوية في اللهجات الأردنية ص: 159

5 - التطور اللغوي، علله ومظاهره وقوانينه، د.رمضان عبد التواب، ص: 21.

نفسها التي تمَّ بها تحول الكاف "g" السامية إلى صوت مزدوج في العربية هو صوت الجيم "dz" والدليل على ذلك أن القاف لا تعاني من هذا القلب إلاّ إذا وليتها كسرة [1].

فالملاحظ أن التطور الذي أصاب القاف هنا بأنواعه كان بتغيير مخرجها، إمّا بانتقال المخرج إلي الوراء أو إلى الأمام، فتعمق القاف في الحلق لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف في الحلق إلا الهمزة، فليس من أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة، أما الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية و الكاف.[2] هذا التطور الذي أصاب صوت القاف له ما يبرره من الناحية الصوتية.

أمّا التغييرات التركيبة (المقيّدة) فهي التي تحصل للأصوات مشروطة بتجاورها في سياقات صوتية معينة فيحصل بينها تفاعل وتبادل في التأثير والتأثر، يعرّفها رمضان عبد التواب بأنها: « تلك التغييرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة ».[3] و تمتاز هذه التبدلات بأنها سريعة تحدث للصوت بمجرد أن يدخل تركيبا وبين أحد أصواته تنافر مثال عن ذلك أن السين المهموسة تتأثر بالراء المجهورة قبلها فتقلب إلى نظيرها المجهور، وهو الزاي كما في كلمة **مهْرَاس** التي تنطق **مهْرَاز**. كما أنها مشروطة بالتركيب و محدودة به، بمعنى أن هذا النوع يحدده السياق و تأتي بطريقة طارئة فتصيب الأصوات من ناحية الصلة التي تربط الصوت بالآخر في الكلمة الواحدة: « فهي لذلك مشروطة بتجمع صوتي معيّن، و ليست عامّة في

---

1 – بحوث و مقالات في اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي الرياض، 1982 ص: 11.

2 – ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ- 1997م، ص: 80- 81.

3 – التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 22.

الصوت في كل ظروفه و سياقاته اللغوية»[1] ومن ذلك أن الباء إذا تلت نونًا ساكنة تتحول هذه الأخيرة إلى ميم في مثل :

انْبَعَث ← امْبَعَث

مِنْ بَعْد ← مِمْبَعْد

هذه التغييرات هي التي آثر المشتغلون بعلم اللغة الحديث تسميتها بالقوانين الصوتية، مثل تلك التي توضح المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات العربية[2] .

4- أثر القوانين الصوتية في التغيرات الصوتية :

إن التغييرات والتطورات التي تتعرض لها الأصوات اللغوية تخضع لقوانين تتحكم فيها وتسيرها، ولا تقل في صرامتها وثباتها عن القوانين الأخرى، وقد اتجهت عناية الباحثين في أواخر القرن التاسع عشر إلى كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية في مختلف أشكالها ومناحيها، فاهتدوا إلى طائفة كبيرة من القوانين، منها ما يتعلق بحياة اللغة، ومنها ما يتعلق بوظائفها، ومنها ما يتعلق بالدلالات والأصوات، كل هذه الظواهر اللغوية كما يقول علي عبد الواحد وافي تسير وفقا لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطّرادها عن النواميس الخاضعة لظواهر الفلك والطبيعة و الرياضيات و الفيزياء والكيمياء[3].

1- - التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 22.

2 - ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص: 49.

3- علم اللغة ص: 49

يرجع الفضل في توكيد هذا الاتجاه إلى مدرسة نحوية ألمانية الأصل أطلق على أفرادها [1] اسم المحدثين من علماء القواعد New grammairiens أو The Young grammairiens، التي قررت أن الظواهر اللغوية لا تسير وفقا لإرادة الأفراد وتبعا للأهواء والمصادفات، وإنما تسير وفقا لقوانين يقول وِلْهِلْم شيرَر Wilhelm sherer : « إن تغيرات الصوت التي يمكن أن نلاحظها في تاريخ لغوي موثق قد نشأت طبقا لقوانين ثابتة لا تعرف استثناء إلاّ وفقا لقوانين أخرى »[2].

تتعرض الأصوات من خلال تجاورها في السياق إلى تطورات وتغيرات تحصل بفعل قوانين صوتية، ليس للإنسان سبيل عليها، ولا دخل لإرادته في توجيهها، وقد لاحظ علماء الأصوات أن التغير في الهيكل الصوتي يطّرد في كثير من الأمثلة و هي نتيجة قوانين صوتية. فالفونيم الواحد في سياق صوتي معين، وفي لغة معينة وفترة زمنية محددة لا بد أن يلحقه نفس التغيير في كل كلمات اللغة المعينة، ومن ثم أطلقوا على هذه التغييرات مصطلح "**القوانين الصوتية** " وقد تبلورت الفرضية العلمية لطبيعة القوانين الصوتية لأوّل مرّة على يد اللغوي الألماني" **لِسْكِين** Leskien" عام 1876 م[3].

ويعد اللغوي السويدي " **أكْسَال كُوكْ** Axel kock" من الأوائل الذين أطلقوا مصطلح "**القوانين الصوتية**" حيث نشر عام 1896م دراسة جذب فيها الانتباه إلى سلسلة من العوامل التي تقلل من فاعلية القوانين الصوتية [4].

1- من أبرز و أشهر أفراد هذه المدرسة: هرمان بول، لسكين، و برجمان، وأستوف، و ولهلم شيرر.

2-In introduction to the theorical linguistics- lyons jones combridge university press p 228.

3 - ينظر: الصوتيات برتيل مالمبرج، ص: 182.

4- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: 318.

كما وضع "**مُورِيس قْرَامُون** Maurice grammont" في مؤلفه التحالف dissimilation قوانين تطبق على جميع اللغات[1]. ونشر العالم الألماني "**جْرِيم** Grimm"(1785-1863) كتابه "**قواعد الألمانية**" سنة 1848، وقرر فيه أن تطور الحركات في الألمانية Laut verchiebung نتيجة لتطور الدلالة، وقد سمى القواعد التي سار عليها هذا التطور في الأصوات باسم القوانين الصوتية و عرفت فيما بعد باسم : " **قوانين جريم Grimm Law** ".[2]: و« يستند القانون إلى المبدأ القائل بأن تغييرًا عظيمًا حدث على أصوات اللغات الهندوأوربية، فشهدت اللغة الإنكليزية تغييرًا منتظمًا في صوامتها حدث مرّة واحدة في تاريخها وطبقا لهذا القانون فأن الصوامت المصحوبة بنفثة هواء Unaspirated في اللغات الكلاسيكية القديمة من المجموعة الهندوأوربية (السنسكريتية واليونانية واللاتينية) تغيرت وأصبحت صوامت مصحوبة بنفثة هواء Unpirated، وفي الوقت نفسه تغيرت الصوامت المجهورة غير المصحوبة بنفثة هواء وهي: **g. d. b.** فأصبحت صوامت مهموسة أي **(k.t.p)** كما تحول لفظ الصوامت**[K]**،**[t]**،**[P]**إلى**[x]**،**[a]**،**[f]**»[3]

نوضح ذلك من خلال الجدول التالي:

الألمانية	الهندوأوربية
b	b^h
d	d^h
g	g^h

الألمانية	الهندوأوربية
F	P
A	T
H ←X	K

الألمانية	الهندوأوربية
P	B
T	d
K	g

1 - ينظر: اللسانيات، جان بيرو ،ترجمة الحواس مسعودي و مفتاح بن عروس، دار الآفاق الجزائر ،2001م ص: 132.

2 - ينظر: اللغة لفندريس، ص: 71

3- مقدمة في اللغويات المعاصرة، تأليف شحادة فارع و آخرون، دار وائل للنشر، الأردن، ط 1، 2000م، ص: 279.

هذا الجدول يمثل "**قانون جريم Grimm law**"، وهو يعالج التحولات التي حصلت في وقت من الأوقات في الصامتات الهندوأوربية ويشير إلى أنه ينجم على العموم تطور بنياني للتنظيم ككل، بسبب تغير عنصر واحد في هذا التنظيم [1].

ومن ذلك يستطيع القارئ أن يكوّن فكرة عن المعنى والقيمة التي يجب أن تعطى لمصطلح القانون الصوتي هاهنا. و« إذا حدث لأي تغير صوتي أن صار فعّالاً في منطقة معينة وزمن معين فإنه يتوقع له أن يكون تأثيره عاما إلاّ إذا تداخلت عوامل أخرى أجنبية»[2]. ويجب أن نؤكد أنه ليس بالضرورة أن تقوم هذه القوانين بالعمل على سائر اللغات أو اللهجات، فقد نجد تطورا صوتيا في إحدى اللهجات في حين لا نجد مثله في لهجة أخرى، إنها قوانين تطبق على أنواع النشاط اللغوي الإنساني، أو هي علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين.

وحين قبل اللغويون مصطلح "**القوانين الصوتية**" تحدثوا عنها في صورة اتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية. و« أغلب ما يطلق عليه اللغويون " **قوانين** " لغوية ليس في جوهره إلاّ خلاصات مُرَكَّزَة تصف ما كان أو ما هو كائن في جانب من الجوانب، ولا يتضمن مُقدمًا الحكم على نفس الظاهرة لو توافرت فيها نفس الشروط مستقبلا، و هذا أصدق ما يكون يعرف في الدراسات اللغوية بالقوانين الصوتية» [3].

إن أصحاب الدراسة الصوتية لا يقصدون من وراء القوانين الصوتية سوى رصد ظاهرة صوتية معينة وتسجيلها ليس غير. فقد لاحظوا كثرة الأمثلة التي تتحقق فيها تلك الظاهرة فوضعوها في صيغة من الصيغ، أو في معادلة من المعادلات، أو في قانون من

1 – ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ و الأعلام، ميشال زكريا، ص: 112.

2 – أسس علم اللغة، ماريو باي، ص: 140.

3 – علم اللغة– مقدمة للقارئ العربي– محمود السعران، ص: 20.

القوانين دون أن يضمنوا قانونهم هذه الحتمية التي يتضمنها القانون في علم الفيزياء والكيمياء أو الرياضيات. و« يجب أن نؤكد أن مصطلح القانون الصوتي هذا لا يقصد به المعنى المستعمل في العلوم الفيزيائية والطبيعية والرياضية مثلا فالقانون الصوتي لا يساعدنا على ضبط الأحداث اللغوية كما هو الحال بالنسبة إلى القانون الكيماوي، ولهذا لا نستطيع استعمال القوانين الصوتية على نطاق واسع لأن بطبيعتها غير دقيقة » [1].

ولذلك نجد بعض اللغويين يفضل استخدام مصطلح "**ميول**"، أو "**اتجاهات صوتية**" phonetic tendencies بدل مصطلح قانون. و هو ما يؤكده "**مَالَمبرج** Malmberg " الذي يقول:« نتحدث في يومنا هذا عن الميل الصوتي phonetic tendency لا القانون الصوتي، فكل نظام صوتي تحكمه ميول نطقية وبنيوية معينة ويصدق هذا على أغلب الحالات إلا أن بعض الكلمات ولأسباب عديدة تظل بمنأى عن أثر هذه الميول التي نحن بصددها»[2].

وحتى من يقبل الآن مصطلح " **القوانين الصوتية** " يشترط عدم مقارنتها بالقوانين الطبيعية أو الكيميائية، لأن ثمة فرقا بين القوانين في العلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة والحياة والقوانين في العلوم الإنسانية و الاجتماعية. « فمن المعروف مثلا أن القوانين في العلوم الطبيعية، تصدق دائما بقطع النظر عن المكان و الزمان، فالتيار الكهربائي إذا وقع تحت ظروف معينة سوف يحلل الماء إلى أكسجين و هيدروجين في أي مكان، و في أي زمان، و سوف يكون في استطاعتنا أيضا أن نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حد معين. أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط على قدر معين من الاطراد في التطورات السابقة في حدود معينة، من حيث الزمان و المكان، أي أنها تشير إلى أن صوتا

1- المدخل إلى علم الأصوات – دراسة مقارنة – د.صلاح الدين صالح حسنين، ص: 72.

2- الصوتيات، برتيل مالمبرج، ص: 173، 174 .

معينا قد تطور إلى صوت آخر بذاته، في فترة كذا، وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة محددة تحديدا دقيقا» [1].

والغاية من عمل هذه القوانين في اللغة هو تيسير النطق وتسهيله عن طريق تشذيب الصيغ وتهذيبها وتخليصها من كل الشوائب النطقية التي قد تفرزها بعض السياقات الصوتية والصياغات القالبية، والذي يترتب عليه تشويه لعملية النطق وإجهاد لأعضائها بسبب تتابع مجموعات صوتية يكره ويستثقل تتابعها، فعمل القوانين الصوتية لا يزيد على كونه عملية تجميل لغوية [2].

4- العوامل المتحكمة في التغير الصوتي :

تتحكم في التغير الصوتي مجموعة من العوامل منها ما يتعلق بالجانب البيئي أو الجغرافي ومنها ما يتعلق بالحالة النفسية للمتكلم، كما تتدخل عوامل أخرى كنظرية السهولة و نظرية الجهد الأقوى.

أ - أثر البيئة الجغرافية في التغير الصوتي:

للظروف الجغرافية والمناخية تأثير كبير على أصوات اللغة ، فشدّة الطبيعة أو ليونتها تنعكس على الناس فتطبعهم بطباعها، ويظهر ذلك في الأصوات المنطوقة[3]، وممن نادى بهذه النظرية اللغوي "**كُولِيتْس Collitz**": « فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إى نظائرها الرخوة للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، وقد أكد في مقالاته أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال **b.d.g** فتهمس أوّلا و تصبح

1 - دور الكلمة في اللغة أولمان،، ترجمة كمال بشر، شركة مطابع الطناني، الطبعة الثانية، 1996م، ص: 187- 188.

2- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة د. فوزي حسن الشايب، ص: 63.

3 - ينظر: علم اللغة بين التراث و المعاصرة د. عاطف مدكور، ص: 279.

على الترتيب **p.t.k** ثم تُقْلب إلى نظائرها الرخوة ، **الفاء ،الثاء ،الهاء** على الترتيب » [1].
وتفسير ذلك مردّه إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطًا في عملية التنفس ما يتبع في ذلك ميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة [2]. ويسوق بعضهم تفسيرًا لهذه الفوارق النطقية التي تبدو على ألسنة المتكلمين المنحدرين من منشأ جبلي أو مدني، ذلك أن بيئة الجبال أنقى وأكثر هواء من بيئة السهول، ولذلك كانت رئتا سكان الجبل أكبر حجما من رئتي ساكن السهل مما يجعله قادرا على استيعاب قدر أكبر من الهواء، وعندما يتكلم فإنه يندفع من رئتيه كمية من الهواء تفوق ما تزفره رئتا ساكن المدينة، فينعكس ذلك على عملية النطق حيث تبدو الخشونة التي ترمز إلى خشونة الطبيعة و قساوتها، وتتجلى الرقة التي تمثل رقة الحضارة ونعومتها، فالجَبَلي مضطر إلى أن يعتمد على جهورة صوته و قوته ومداه البعيد، لأنه الوسيلة الوحيدة عندما ينادي على إنتاجه وحيواناته وحين يتبادل أطراف الحديث مع أقرانه في الحقول والوديان والجبال، فكما أن عضلات أطرافه قوية كذلك عضلات فكيه و أوتار صوته، إذ يُدَرِّبُها منذ الطفولة على المَوَاويل والأغاني الشعبية الصداحة، أما ساكن المدينة فليس مضطرا إلى الصوت البعيد المَدَى لأن جاره بقربه ووسائل الاتصال الحديثة تغنيه عن الصوت المجهور، فبديهي أن طبيعة البيئة السهلة في المدن و السهول والسواحل تنتج إنسانا رقيقًا في تكوينه و طبعه [3].

وقد تصدى لهذه النظرية علماء منهم " **يَسْبَرسَن** Jesperson" الذي اعتبر أن هذا التفسير لا يُؤازره العلم، ذلك أن التطور الذي أشار إليه "**كُولِيتْس** Collitz " قد حدث مثله في البيئات السهلية [4]. وليس أدلّ على ذلك من أننا نجد الأصوات المفخمة

1 – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الرابعة، 1971، ص: 234.
2 – ينظر الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: 278.
3 – ينظر الأخطاء الشائعة و أثرها في تطور اللغة العربية، ماجد الصايغ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1990،ص: 56.
4– ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 235.

في جبال لبنان و صحراء جزيرة العرب مثلما نجدها في سهل وادي النيل [1]، فمن الصعب الحكم عَلَى أثر الطبيعة الجبلية في أصوات اللغة و تغيرها [2].

ب- الحالة النفسية و أثرها في التغير الصوتي :

يرجع بعض اللغويين التغيرات الصوتية التي أصابت لغات كثيرة إلى أسباب نفسية، فالاستنفار الدائم الذي يعيشه مجتمع معين يولّد قَلقًا و توترا نفسيين، يحدد أن نوع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، واعتزاز الشعب بقوته، وعُنْفُوَانه يؤديان إلى أسلوب خاص من التراكيب اللفظية التي تميل إلى الشدّة، وكذلك الرخاء و الاستقرار يُوَلِدَان حالة الاسترخاء والميل إلى الدعة، وبالتالي تميل أصوات اللغة إلى الانتقال من الشدّة إلى الرخاوة.

ويلتمس أصحاب هذه النظرية أدلّتهم من التطور التاريخي الذي مرّ به الشعب الألماني [3]. ومن هؤلاء اللغوي الألماني " **جْرِيم Grimm** "الذي « عزا التغييرات الصوتية في اللغة الألمانية إلى النزعة التقدمية التي يمتاز بها الشعب الألماني، فهو شعب تَوَّاق إلى الحرية، و لذا فهو لا يعرف الثبات، ومن ثم فقد تغيرت أصواتهم اللغوية.» [4] فإذا مال الشعب إلى الدِعَة و الاستقرار مالت أصوات لسانه إلى الشدّة.

ويرى **وِلْهِلْم شِيرَرْ Wilhelm sherer** أن تاريخ الأصوات عند الألمان هو انعكاس لتاريخ تطور الذوق العام عندهم. ويذهب إلى أن تحول الألمان عن الأصوات

---

1 – علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مدكور، ص: 280.

2 – ينظر : الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص: 235.

3 – ينظر: السابق ص:235.

4 – علم اللغة بين التراث و المعاصرة د. عاطف مدكور، ص: 280.

الانفجارية **p.t.k** إلى الأصوات الاحتكاكية **b.p.g** ما هو إلاّ رد فعل لشغف الشعب الألماني حينئذ بالأصوات اللينة[1].

ومن اللغويين العرب الذين يتفقون مع هذا الطرح إبراهيم أنيس يقول: « غير أنه يستأنس لهذا الرأي بما نعرفه عن اللهجات العربية القديمة، وميل البيئات المتحضرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة في حين أن البيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشديدة» [2].

وفي بعض البيئات العربية تكون التغيرات الصوتية منوطة بالحالة النفسية، والحالة الاجتماعية والطبيعة اللغوية، فَخذْ مثلا أن أهل مدينة الخليل بفلسطين وبعض أهل الجزائر بحواضر تلمسان وندرومة يحرصون على إخراج التَاء مشربة بالسين فيقولون في " **تْمَرْ** " " **تْسمَر** Tsmar"، وفي رأي أحد الباحثين أن إشراب التاء سينا أصْلاً كان يُلَبّي حاجة نفسية فالتاء الساكنة صوت انفجاري عرضة للخفاء، و كان السبيل إلى إظهاره تركيبه مع السين، فتكون السين بهذا سبيلا أكثر وضوحًا لإظهار التاء الساكنة، ثم اطَّرَدت القاعدة بإكساب التاء قَدْرا من الهمس في كلّ أحوالها في هذه البيئة الجغرافية استجابة منهم لذلك الحس النفسي الذي بالغت فيه هذه البيئة [3].

---

1 - ينظر اللغة و التطور، عبد الرحمان أيوب، معهد الدراسات العربية، ص:35.

2- الأصوات اللغوية، ص: 235.

3 - ينظر: تطبيقات في المناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار وائل للطباعة و النشر، ط 1، 2000، ص: 201.

ج- اختلاف أعضاء النطق من جيل إلى جيل باختلاف البيئات و الأجيال :

يكاد علماء اللغة يجمعون أن أعضاء النطق تختلف بعض الشيء في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب، وباختلاف الظروف المحيطة بكل شعب فحَنَاجِرُنا، وأَوْتارنا الصوتية وألسنتنا وحُلُوقنا تختلف عمّا كانت عليه عند آبائنا الأولين من حيث بنيتها الطبيعية واستعدادها للنطق، غير أن هذا الاختلاف لا يبدو أثره بشكل واضح إلاّ بعد زمن طويل باعتبار أنّ التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق يسير ببطء وتدرج[1]. وأن تغير الأصوات من جيل إلى جيل ليس إلاّ نتيجة تطور عضلي في أعضاء النطق، فقد تبع الاختلاف في تكون أعضاء النطق تغير في الأصوات[2].

ويرجع الفضل في توجيه الأنظار إلى أثر التغيرات الجسمية الخاصة بأعضاء النطق في تطور أصوات اللغة من ناحيتها الصوتية إلى العالم اللغوي التجريبي "**رُوسُلو Rousselot**"، وكان ذلك عام 1890 [3]. ثم اهتدى لهذا الكشف عدد كبير من الباحثين نخص بالذكر اللغوي "**هَارْمَان بُولْ Herman Paul** "[4]. ومن ذلك ما حدث لصوت الجيم الذي تحول في معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة)، وفي معظم المناطق السورية والمغربية إلى جيم معطشة (J)، إذ يتلاءم هذا الصوت مع الاستعدادات النطقية للأجهزة الصوتية في البيئة المصرية والسورية والمغربية، يقول علي عبد الواحد وافي: « تختلف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف

---

1 – ينظر: علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 265.

2 – ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 232.

3 - ينظر: علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 41 و ما بعدها.

4- السابق، ص: 266.

الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزاود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف »[1].

ومن الأدلّة التي تثبت هذا التوجه تشعب اللغة اللاتينية إلى عدّة لهجات تحمل صفات الشعوب الأوربية الناطقة بها وخصائصها، وكذلك اللغة العربية التي تبرز فيها اليوم عدّة لهجات تنسب إلى البلاد الشامية والعراقية والحجازية والمغربية، لما في هذه اللهجات من خصائص البيئة والشعب التي تنتسب إليهما. و« مبلغ اختلاف هذه اللهجات بعضها عن بعض في أصواقما يتبع إلى حد كبير مبلغ اختلاف الناطقين بها بعضهم عن بعض في أصولهم الشعبية، فكلما كان هؤلاء متجانسين في أصولهم ضاقت مسافة الخلف بين لهجاهم في ناحيتها الصوتية، وكلما تعددت الأصول الشعبية التي يتمون إليها اتسعت هذه المسافة »[2]

ونجد مثل هذا التغير في اللهجات العربية كتحول الذال إلى زاي في البيئة المصرية فيقال: **زِئْب، زِهْن، زَكِي** في: **ذِئْب، و ذِهْن، و ذَكِي**.

وتطور القاف إلى همزة في اللهجة التلمسانية في قولنا: **أُلْت،نْطَأ في قُلْت و انْطَق**[3].

إن أي تغيير على جهاز النطق ينعكس على مخارج الأصوات، و يظهر ذلك جليا على الشعوب التي تبتر جزءًا من الشفتين، والأعضاء قصد التجميل لدى الفرد [4]. إلاّ أنّ إبراهيم أنيس يعارض هذا الطرح قائلاً: « ومثل هذه النظرية على ما بِهَا من جاذبية وطرافة لم يستطع أحد من علماء التشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن معظمهم على أنّ

1- السابق، ص: 268.

2- السابق ص: 271.

3- يراجع: لهجة تلمسان و علاقتها بالفصحى، د. تيجيني بن عيسى.

4 - ينظر: الأخطاء اللغوية الشائعة و أثرها في تطور اللغة العربية ماجد الصايغ ص: 56.

أعضاء النطق عند الإنسان تتّحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح ... فالأمر إذن ليس مرجعه في الحقيقة إلا إلى الناحية العقلية أو السيكولوجية »[1].

د- نظرية الجهد الأقوى و تأثيرها في التغير الصوتي:

يذهب أنصار هذا القانون إلى القول إن الصوت الذي يمتلك هيمنة، وقوّة في صفاته وخصائصه الصوتية يؤثر في الصوت المجاور له [2]. وقد صاغ اللغوي الفرنسي "**مُوريس غْرَامون**" **Maurice grammont** في كتابه: "**رسالة في الصوتيات**" Traité de phonétique القواعد التي بمقتضاها تعمل هذه الظواهر المختلفة للصوتيات التجميعية، و يعتبرها المؤلِف قواعد عامّة في كل اللغات، وسجل ملاحظاته في الاقتصاد الصوتي و صَاغها في قانون سمّاه : **قانون الغلبة للأقوى** [3] **The law of the stronger**، ويقضي هذا القانون بأنه إذا أثّر فونيم في آخر بطريقة، أو بأخرى فإن أضْعَفَها بحكم موقعه في المقطع أو شدّة النطق به هو الذي يقع تحت تأثير الآخر[4]. وقد تحدث عن الصفات التي تجعل صوتا معيّنًا أقوى من غيره، فجعلها منحصرة في القوّة، رافضا بذلك التفسير النفسي مستبعدا أن تكون لنفسية المتكلم دَخْل في إحداث عملية التأثير بين الأصوات، بل يرجع ذلك إلى صفات يمتاز بها الصوت المؤثر دون غيره[5]. فقد تحدث عن تأثير الأصوات الصامتة بعضها في بعض، فضرب لذلك مثلاً كلمة (**bec**) التي تنتهي بكاف انفجارية مهموسة، ولكن حين تلاها صوت الدال في عبارة: **bec de lièvre** تأثر صوت الكاف بالدال في الجهر.

---

1 – الأصوات اللغوية ص: 232، 233.

2– ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص: 268. و كذلك علم الصرف الصوتي، دار أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص: 145.

3– ينظر: الصوتيات، برتيل مالمبرج، ص: 181.

4 – السابق ص: 181.

5 – أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي – أبو عمرو بن العلاء– تأليف عبد الصبور شاهين ص: 233.

ويُفَسِّر "غْرَامُون" **Grammont** هذا التأثير بأن صوت الدال أكثر قوّة من صوت الكاف لا بطبيعته، ولكن بحكم وضعه فهو - أي الدال- في موقع قَوِي لأنه يشكل بداية مقطع، بالإضافة إلى أنه مَحْمِي بالكاف من تأثير الحركة السابقة عليه، في حين أن صوت الكاف في وضع ضعيف، لأنه يشكل نهاية مقطع، بالإضافة إلى أنه مسبوق بحركة غير منبورة voyelle inaccentuée[1].فقد اهتمت عضلات النطق بإصدار الدال، ولَمْ تَهْتم بإصدار الكاف، فنتج عن ذلك أنّ إحدى الحركات النطقية التي أعدت من أجل الدال **(d)** و هي ذبذبة الحنجرة قد احتلت مجال الكاف **(c)**[2]. ويضرب مثالا آخر عن تحول كلمة **Jusque** في الفرنسية إلى **zysk** فإن [**s**] تكون قد تماثلت لتصبح ساكنا شينيا و ليس العكس، لأن في هذه الحالة انفجاري داخلي implosive في نهاية مقطع، وعلى ذلك فهي أضعف من الساكن الأوّل في الكلمة [3].

وإذا عدنا إلى تراثنا اللغوي، فإننا نجد أن النحويين العرب أشاروا إلى نظرية الأقوى، وبالضبط في سياق حديثهم عن مقاييس الإدغام حيث جعلوا التأثير الإدغامي دائما للصوت القوي. فقد نص **أبو محمّد البَطْليوسي** (ت521 هـ) على أن الصوت الأضعف يقلب إلى الأقوى و لا يقلب الأقوى إلى الأضعف، يقول : « وقد أجاز النحويون في كل سين وقعت بعدها عين أو خاء معجمتان، أوقاف، أو طاء أن تبدل صادا، فإذا كانت صادا في الأصل لم يجز أن تقلب سينا، نحو سخرت منه، وصخرت **(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ)** [4] وأصبغ و**(وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)** [5] وبصطة،

1- السابق، ص: 234.

2 -السابق، ص: 234.

3 - الصوتيات، برتيل مالمبرج، ص: 181.

4 - سورة لقمان الآية 20.

5- سورة الأعراف الآية 69.

فمتى رأيت من هذا النوع ما يقال بالصاد والسين، فاعلم أن السين هي الأصل، لأن الأضعف يرد إلى الأقوى، ولا يرد الأقوى إلى الأضعف »[1].

ولتوضيح هذا القانون نأخذ وضع تاء الافتعال مع الأصوات المطبقة، فعندما نبني صيغة: " **اتْفَعَلَ** " من **صَبَرَ، وضَرَبَ، وطَرَدَ،** فإن الصيغة الأصلية تكون: **اتْصَبَرَ واتْضَرَبَ ، واتْطَرَدَ** وهنا اتصلت التاء اتصالا مباشرا بالصوت المطبق لمجاورتها فهي مرققة مستفلة و تلك مفخمة و مطبقة، و وضع اللسان معها مناقض لوضعه معهن بالإضافة إلى مجاورة التاء والصاد والطاء والضاد، يجعل الانتقال من التاء إلى المطبق أثرا صعبا مُجْهِدًا، غاية في الثقل. ولتسوية هذا الوضع يتدخل قانون الأقوى للتخلص من هذا الثقل الناشئ عن تَتابع هذه الأصوات فيحدث التفاعل بينها، فيحسم الصراع لصالح الأقوى، و هو المطبق، فتطبق التاء لأنها الأضعف، و من ثَمَّ تصبح الصيغ: **اطْصبَرَ - اطْطَرَدَ - اطْضَرْبَ** [2] لأن الإطباق كطاقة إضافية يمنح الصوت المطبق قوّة نطقية تجعله الأقوى بالنسبة لمقاربة غير المطبق، ومن ثمَّ يكون من السهل أن يتغلّب المطبق عليه و يبسط عليه نفوذه يقول أحمد مختار عمر : « إن أصوات الأطباق تمد نفوذها إلى ما يَسْبقها و يتبعها من الأصوات »[3] فالأطباق أحد معايير القوّة التي تحدد قوّة الصوت بالنسبة لغيره.

ولكن عبد القادر عبد الجليل يعارض هذا الرأي قائلاً : « ويبدو جليا أن هذا المذهب يمتلك بطاقة دخول ضيقة المتجه إلى ميدان القوانين التي تحكم الظواهر الصوتية وعليها إجماع غالبية العلماء، إذ أن بعض الأصوات المشهود لها بالقوة و السطوة التأثيرية

1- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا و حامد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981، ج 2، ص: 197.

2- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، ص: 65.

3- دراسة الصوت اللغوي، ص: 329.

تخضع للأضعف من الأصوات بسبب أو بآخر»[1]. ولذلك فإن قانون **مُورِيس غْرامون Maurice grammont** و إن سُجِّل ضمن قوانين الاقتصاد الصوتي إلاّ أنه يجب أن يوجه بشكل أمثل [2].ويبقى الصوت القَوِي بحكم موقعه وصفاته يملك الهيمنة، ويؤثر على الصوت الضعيف المجاور له.

هـ- نظرية السهولة و أثرها في التغير الصوتي :

يميل الإنسان بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي عند التعبير فيتلمس أيسر السبل وأسهلها محاولا التخلص من الأصوات العسيرة، للوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدّثين معه[3] .فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لسانه بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكثر، ومَثَل الإنسان في هذا مثله في كل الظواهر الاجتماعية، فهو يحاول الوصول إلى غرضه في أقصر الطرق كلما أمكن ذلك [4].

وممن نادى بهذه النظرية **وِيتْنِي Curtius Whithney** الذي يرى أن كل ما نكتشفه من تطور اللغة، ليس إلاّ أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق، وأن هناك استعدادًا للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالتها [5].

وقد أشار النحويّون العرب القدامى إلى مثل هذه النظرية عندما صنفوا الحركات إلى خفيفة كالفتحة وثقيلة كالضمة والكسرة، وعندما وصفوا الحرف بالخفة كالحروف

1 - الأصوات اللغوية، ص: 268.

2 - علم الصرف الصوتي، ص: 145.

3- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،ص: 235.

4- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: 280.

5- التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 47.

الشفوية، وجعلوا الحروف تتدرج في الصعوبة كلما أوغلت عمقا في جهاز النطق.يقول ابن دريد(ت321هـ):« واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقل ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم الظاء ثم الذال ثم التاء ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم، فأخف هذه الحروف كلّها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى»[1]، فالثقيلة كالهمزة والهاء والعين أعمق الحروف، وأكثرها جهْدًا في النطق، لأنّها تخرج من الحلقوم، وتزفر منها كمية من الهواء، وقد استثقلوا توالي المتحرّكات في الكلمات الواحدة أو توالي الأصوات المتماثلة [2].

وقد انقسم الباحثون إزاء هذه النظرية بين مؤيد ومعارض، فالمؤيدون فهموا أن التطور الصوتي غير إرادي دون أن يشعر به المتكلم، « فالمرء في الحقيقة حين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب، يخيل إليه دائما أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه، فالعملية إذن لا شعورية، وهي لهذا بعد تكررها تترك أثرا في تطور كثير من أصوات اللغات، كما أنّها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تمر في أطوار من اللغة حتى يظهر أثرها واضحا جليا بعد أجيال»[3].

أمّا المعارضون فقد ردّوا على هذه النظرية من عدّة وجوه :

- أوّلها: أنه لا يمكن بالضبط معرفة ما هو سهل و ما هو صعب [4].

1- جمهرة اللغة، ، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص: 12.

2 – الأخطاء الشائعة و أثرها في تطور اللغة العربية، ماجد الصايغ، ص: 58.

3 -الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 236.

4- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: 281.

- ثانيها: أن أمر الصعوبة و السهولة أمر نسبي، فما هو صعب عند هؤلاء القوم سهل عند غيرهم، ألا ترى أن العين و الحاء من أصعب الأصوات على الأعاجم، في حين أنها من أسهل الأصوات عند أبناء العربية [1].

- ثالثها: إن التطور الصوتي لو كان يجري في اتجاه السهولة لَوَجَبَ أن تكون أصوات اللغات اليوم كلها من نوع الميم و النون والفاء فقط، لأنها أسهل الأصوات [2].

- رابعها: ليس معنى هذا أن هذه النظرية تنطبق على كل الحالات، وإنّما يمكن تطبيقها على كثير من التطوّرات الصوتية في اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسيّا أي من السهل إلى الصعب - كما وُجِد فعلا في بعض الحالات- فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرز هذا التطور. و هو بلا شك سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور. فليس ينقص هذه النظرية أن نجد أحيانا أصواتا سهلة، تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات[3].

ومِنْ صور هذا القانون في العربية الفصيحة و لهجاتها العامية نذكر ما يلي:

أ- **اندثار الأصوات الأسنانية:** يعد اندثارها من آثار قانون السهولة والتيسير، حيث تحولت أصوات **الثاء** و**الذال** و**الظاء** إلى أصوات أخرى قريبة من مخرج الأسنان، وذلك نظرا للجهد العضلي الذي يصاحب نطقها، حيث يتطلب تحقيقها إخراج طرف اللسان، ووضعه بين الأسنان، وأن هذا بلا شك جهد عضلي تخلصت منه لغة العامة فينتقل المخرج إلى الداخل، حيث تحولت الثاء إلى تاء، كما هو الحال في كلمات: **ثلَاثة - ثوْم - ثقِيل - ثَوب** التي تنطق على ألسنة العوام **ثلاتَة- توم - تقِيل - تَوب**

1 - السابق، ص: 281.

2 - السابق، ص: 281.

3 - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 236.

بالتاء بدلا من الثاء. ويؤكد رمضان عبد التواب هذه الظاهرة قائلا: «صوت الثاء من الأصوات التي فقدت في اللهجة العامية واستعيض عنه فيها بالتاء نحو ثْقِيل (تْقيل)[1] وهذا الإبدال بين **الثاء** و **التاء** هو سائد في مختلف اللهجات العربية العامية أو المتفصحة، وأصبح متفشيا اليوم على نطاق واسع في مختلف البلدان العربية [2].

كما تحولت الذال إلي دال كما هو الحال في : **ذئوب** - **ذِئْب** - **ذَهَب** حيث تحولت إلى: **دئوب**- **دِيب** - **دَهَب**.يقول كمال محمد بشر: « وقد تطور هذا الصوت في اللغة العامية إلى دال كما في دَهَب » [3] كما تحولت الذال إلى زاي في العامية المصرية كما في: يَزَّاكَر بدلا من يَذاكر و زِهْن بدلا من ذِهْن[4] و تحولت الظاء إلى ضاد كما في: ظِل - ظهَر اللتين تحولتا إلى: ضِل- ضهَر على ألسنة العوام. كما تحولت إلى زاي مفخمة (الظاء العامية) في مثل: يَحْفظ، يَنْظر، يَلْحَظ، ظاهِر التي تحولت إلى: يحفَزْ، يَنْزُرْ، يَلْحَزْ، زَاهِرْ [5].

إن هذه الأصوات أصبحت ثقيلة على اللسان في كثير من اللهجات العامية العربية، والإنسان بطبعه يسلك أيسر السبل في القوانين الصوتية، فيميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، والتخفيف في النطق، فأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا و مجهودا إراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج. ولعدم ملاءمتها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها [6].

1- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ص: 45.

2- ينظر: اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د. عبد الجليل مرتاض، ص: 93.

3 - علم اللغة العام - الأصوات- ص: 119.

4- لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، 1981، ص: 46.

5 - ينظر: السابق، ص: 47

6- فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، ط 8 ،ص: 135.

ب- **تخفيف الهمزة:** تعد الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجا بسبب ما يتطلبه نطقها من جهد عضلي يسببه شد الوترين الصوتيين و انطباقهما على بعضهما بإحكام. و قد لَمَّح السلف هذه الخاصة، و أحَسُّوا بذلك الجهد العضلي الذي يتطلبه نطقها، فوصفوها بأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد[1]. فَلَمَّا كانت الهمزة تحتاج إلى جهد عضلي يزيد على ما يحتاج إليه صوت آخر، مالت اللهجات العربية إلى تخفيفها و الفرار من نُطْقها مُحَقَقة لما تحتاج إليه من جهد عضلي[2].

وتخفيف الهمزة وتسهيلها أمر شائع في اللهجات العربية، لا سيما في أول الكلمة[3] وهو ظاهرة من ظواهر الاقتصاد في الجهد، فالذين مالوا إلى ذلك كانت غايتهم طلب الخفة وإيثارا للسهولة في النطق لا غير، وتخفيفها إنما يكون بوقوعها في الوسط أو في الطرف مثال ذلك أنها تسقط ويعوض عنها بمد حركة الصامت السابق لها في مثل :

رَأْسْ رَاسْ - فَــأْس فَاس - كَأْس كَاس - رَأْي رَاي - بِئْر بِير

وهكذا، يقول المبرد (ت 285هـــ): « وأعلم أن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب - إذا أردت تخفيفها- على مقدار حركة ما قبلها و ذلك في قولك رَأْس وجُؤْنة، ذِئْب إذا أردت التخفيف رَاس و جُونة، ذِيب »[4]، ومن مظاهر السهولة و التيسير في الهمزة أنها تتحول إلى واو مثل: **وِينْ** في **أَيْن**، **وْدَن** في **أُذُن**، كما تتحول إلى ياء في: **يَنَ** في **أَنَا** **ويَامَس** في **أَمْس**.

1 - كتاب سيبويه ج 3 ص: 548.

2- ينظر: الهمزة: مشكلاتها و علاجها د. شوقي النجار، منشورات دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، ط1، 1404هـ 1984م ص: 17.

3- دراسة لسانية في الساميات و اللهجات العربية القديمة، د.عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2003ص:163.

4 - المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، د.ت، د.ط، ج 1، ص: 157.

ج- **تلاشي علامات الإعراب:** إن وقوع الحركات القصيرة في آخر الكلمة جعلها في الغالب عرضة للسقوط و حل محلها السكون، وفي ذلك تيسير واقتصاد، وهذه الظاهرة تمس جميع اللهجات العامية المتشعبة عن الفصحى:« انقرضت هذه الأصوات جميعها سواء في ذلك ما كان علامة إعراب و ما كان منها حركة بناء فينطق الآن في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر فيقال: **رْجَعْ عُمَرْ لَلْمَدْرَسَة بَعْدْ مَا خَفْ عْيَاهْ**، بدلا من رَجَعَ عُمَرُ إلى المدرسة بعدما خَفَّ مِن أَعيَائِهِ» [1].

إن تلاشي علامات الإعراب و الوقوف بالحرف مسكنا فيه تيسير، و قد أدرك علماء اللغة أهمية الساكن فوقفوا به على نهاية الألفاظ ووَقَفُوا به على نهاية الفعل في حالة الأمر والنهي. فالنطق بالساكن قد ساعد المتحدث على سرعة تعبيره بطريقة من طرق الاختصار في الجهد العضلي قصد إظهار المعاني وسرعة النطق بها [2].

إن هذه القوانين الصوتية التي تَحَدَّثَ عنها علماء اللغة ما هي إِلَّا مُيُول أو اتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية،فهم لا يقصدون من وراء هذه القوانين سوى رصد ظاهرة صوتية معينة وتسجيلها ورصدها في صيغة من الصيغ دون أن يُضمِنوا قانونهم هذه الحتمية التي يتضمنها القانون في العلوم الدقيقة.

1- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 138.

2- ينظر: لهجة شمال المغرب: تطوان و ما حولها د. عبد المنعم سيد عبد العال دار الكتاب العربي للطباعة و النشر القاهرة 1968 ص: 66.

الفصل الثاني

مصطلحات المماثلة وظواهرها

في التراث اللساني العربي

المُمَاثَلة Assimilation من الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها العلماء العرب النحاة والصرفيون وأهل القراءات المختلفة، فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة، ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد، إلا أنهم لم يعالجوها معالجة شاملة مستقرة، بل كانت جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة منها ما كان مبثوثا ضمن بحوثهم لظواهر الإدغام الإبدال والإعلال والإمالة وغيرها من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية، كما أنهم لم يستقروا على مصطلح مقيد لهذه الظاهرة، بل راحوا ينعتوها بجملة من التسميات منها :

1- المماثلة بمعنى المضارعة[1]:

عَقَد **سيبويه** (ت 180 هـ ؟) عنوانا تَضَمَّن هذا المصطلح سَمَّاه :« هذا باب الحرف الذي **يُضَارِع** به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه » [2]، وهو يعني بالحرف الذي من موضعه الصاد الساكنة، إذا كانت بعد دال، فإن تحركت الصاد لم تبدل لأنه قد وقع بينهما شيء يقول: «فأما الذي **يُضَارِع** به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو مَصْدَر واصْدَر و التَصْدِير » [3]، في هذا النص تتضح ظاهرة المضارعة الصوتية التي يعنيها سيبويه، فهو يرى أن إدغام الصاد في الدال، أو إبدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء

1- يدل المعنى العام للفظ **المضارعة** على المشابهة ورد في لسان العرب « المضارعة المشابهة...ويقال هذا ضِرْع هذا وصِرْعُه بالضادو الصاد أي مِثْلُه، قال الأزهري: و النحويون يقولون للفعل المستقبل مضارع لمشاكلته الأسماء فيما يلحقه من الإعراب، و المضارع من الأفعال ما أشبه الأسماء و هو الفعل الآتي و الحاضر. و المضارع في العروض: مفاعيلن فاع لاتن مفاعيل فاع لاتن، كقوله:

دعَاني إلى سعاد   دَواعي هَوى سُعَاد

سمي بذلك لأنه ضارع المُجْتَثّ »

لسان العرب ابن منظور، دار صادر للطباعة و النشر، الطبعة الأولى مادة: (ض ر ع)ج9، ص:39.

2- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 477.

3- السابق، ج4، ص: 477.

في نحو **مَصْدَر** و **أَصْدَر** و **التَصْدِير** غير ممكن، و يفسر ما حدث في هذه الأمثلة، بأنه مضارعة للصاد بالزاي أي تقريبها منها، أي عن طريق إدناء الصاد المهموسة من الدال المجهورة وهذا بإشرابها شيئا من جهر الزاي الذي يشاركها في المخرج والرخاوة والصفير ويتفق والدال جهرا: « فلمّا كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف، والذي هو من نفس الحرف في باب مَدَدْت ، فجعلوا الأول تابعا للآخر **فضارعوا** به أشبه الحروف بالدال من موضعه و هي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة، و لم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق » [1] وهذا النوع من المماثلة أشار إليه علماء الأصوات المحدثون وصنفوه ضمن المماثلة المدبرة الجزئية في حالة الاتصال[2].

و بعد أن شرح **سيبويه** ما يعنيه بالحرف الذي يضارع به حرف من موضعه انتقل إلى الحديث عن الشق الآخر من هذا الباب و هو الحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، أي ليس من مخرج الصاد و السين والزاي، وهو الشين لأن مخرجها من طرف اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى في حين مخرج أصوات الصفير (**الصاد- السين- الزاي**) من طرف اللسان، وأطراف الثنايا السفلى[3]، ولما كانت الدال في كلمة " **أَشْدَق**" مجهورة تأثرت بها الشين التي هي- في نظر سيبويه - في الهمس و الرخاوة كالصاد و السين، فصارت الشين مجهورة فضارعوها بالزاي : و« أما الحرف الذي ليس من موضعه فالشين لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين وهي في الهمس والرخاوة كالصاد والسين، و إذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك و انفراج أعلى الثنيتين، وذلك قولك أشدق، **فتضارع** بها الزاي » [4].

1-السابق ،ج 4، ص: 477، 478.
2- ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه. د. رمضان عبد التواب، ص: 34
3- ينظر: الأصوات اللغوية د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 130، 131.
4- كتاب سيبويه، ج4، ص: 474.

في المثال الذي أورده سيبويه(**أَشْدَق**) تماثلت الشين مع الدال التالية لها في الجهر، فصارت النظير المجهور للشين، وفي الحقيقة أنه يتحدث عن صورة صوتية واحدة، وهي تلك الشين التي كالجيم، و قد وصفها **ابن جني** (ت392هـ)بقوله : « و أما الشين التي كالجيم، فهي التي يقل تفشيها، واستطالتها، وتَتَراجع قليلا مُتَصَعِدَة نحو الجيم»[1]و هذا النوع من المماثلة في الدرس الصوتي الحديث يُسَمَّى بالتماثل المدبر الجزئي في حالة الاتصال [2].

كما وظف **أبو بَكْر بن السَرّاج** (ت 316 هـ) مصطلح **المضارعة** للدلالة على تلك التغيرات الصوتية التي تنحو في اتجاهها نحو التماثل الجزئي، وقد اقْتَفَى سبيل سيبويه، و أعاد عباراته، ويَظْهر ذلك فيما ذكره عن الصاد الساكنة حيث تَأْتَلِف و الدال في كلمة واحدة نحو **مَصْدَر وأَصْدَر** و **التَصْدِير** يقول:« هذا باب الحرف الذي **يُضَارِع** به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف و ليس من موضعه، فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كان بعدها الدال نحو مَصْدَر واصْدَر و التَقدير فما لم يكن أَنْ يُعَلَّ ضَارَعُوا بها أشبه الحروف بالدال من موضعه و هي الزاي » [3]، و كذلك حديثه عن السين الساكنة إذا تلتها الدال فَتَتَبَدَّل زايا لكي تضارع الدال المجهورة بعدها، تحقيقا للانسجام والتجانس بين الصوتين: « فإذا كان موضع الصاد سينا أُبْدلت فقلت في التَسْدِير: التَزْدِير وفي يَسْدل ثوبه: يَزْدل ثوبه » [4].

1- الخصائص، ج2، ص: 138.

2- ينظر : التطور اللغوي: مظاهره و علله و قوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 34.

3- الأصول في النحو أبو بكر بن محمد بن سهل بن سراج تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 1، 1405هـ -1985م ج 3 ص: 429.

4- السابق، ج 3، ص: 430.

ومن المواطن التي وظف فيها مصطلح المضارعة حديثه عن مضارعة الجيم والشين بالزاي قال: « و أما الحرف الذي ليس من موضعه فالشين و ذلك أشدق فتضارع بها الزاي... والجيم أيضا يقولون في الأَجْدَر أشْدَر» [1]. ففي هذا المثال فقدت الجيم جهرها ثم ازدادت رخاوتها، وبذلك ماثلت الشين في المخرج والهمس والرخاوة، والشين تماثلت مع الدال التالية لها في الجهر، و هو نوع من المماثلة الرجعية لأن الصوت الأول تأثر بالثاني.

وقد أشار **الزَمَخْشَري** (ت538هـ) إلى التغييرات الصوتية والصرفية التي تنحو في اتجاهها التَكْيِيفِي نحو التماثل الجزئي أو الكلي، وقد كانت جهوده في هذا المجال تكرارا لِمَا وَقَرَ عند سَابِقِيه من اللغويين، فاقْتَفَى سبيل سيبويه، ومضى على نهجه عندما تناول استثقال العرب الجمع بين الصاد الساكنة المَتْلُوة بدال في كلمة واحدة، فأعاد أفكاره، و وظف نفس المصطلح الذي وظفه، وهو **المُضَارَعة** يقول: « و الصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب، ومنه لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فزَدَ لَهُ، و قول حاتم هَكَذا فزدَى انه وقال الشاعر :

وَدَعْ ذَا الهَوَى قَبْلَ القِلى تَرْكُ ذِي الهَوَى مَتِينُ القُوَى خَيْرٌ مِنَ الصَّرْمِ مُزْدَري [2]

وأَنْ تُضَارع بها الزاي فَإِنْ تَحَرَكَت لَمْ تُبَدَّلْ ولكنهم قد يضارعون بها الزاي فيقولون **صَدَرَ، و صَدَقَ، و المَصَادِر، و الصِرَاط**» [1]

1- السابق، ج 3، ص: 430.

2- ازدره لغة في أصدره أهمله الجوهري و قال الأزهري يحكى جاء فلان يضرب ازدريه و أسدريه أصدريه أي جاء فارغا كذلك حكاه يعقوب بالزاي، قال ابن سيدة و عندي أن الزاي مضارعة و إنما أصلها الصاد لأن الأصدرين عرقان يضربان تحت الصدغين لا يفرد لهما واحد.

شرح المفصل تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت، ج 10 ص: 52.

إنّ النحاة و اللغويين العرب القدماء تَنَبَّهُوا إلى ظاهرة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها في بعض، والتي سَمَّوْها **المضارعة**، وأدْرَكوا وجودها في لهجات القبائل العربية.

2- المماثلة بمعنى المقاربة أو التقريب :

تعرض **الفَرّاء** (ت 207 هـ) لظاهرة المماثلة في أماكن عديدة من كتابه **معاني القرآن**، أثناء تفسيره بعض الألفاظ القرآنية، معبرا عنها **بالمقاربة** ، و إن كانت دلالة هذا المصطلح شاملة لكل تأثير صوتي بين الأصوات المتجاورة من ذلك تعليله لتأثير الحرف الأول في الثاني في **يَدّخِر** و **يَدّكِرُ** و **مُدَّكِرٌ** و هو ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بالمماثلة التقدمية يقول : « فأمّا الذين يقولون **يَدّخِر** و **يَدّكِر** و **مُدّكِر** ، فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالا، فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرف الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكون عدلا بينهما في **المقاربة** فجعلوه مكان التاء و مكان الذال » [2]. نلاحظ أن **الفرّاء** استعمل فعل "**دَخَلَت**" بدلا من **أدغِمَت** للدلالة على معنى الإدغام، وهو يقصد بحرف يكون عدلا بينهما في المقاربة صوت الدال لما فيه شبه بالتاء و الذال، فصيغة "**افْتَعَل**" من "**ذَكَرَ**" و"**ذَخَرَ**" هي على التوالي : " **اذْتَكَرَ**"و "**اذْتَخَرَ**" إذ أُبْدِلت التاء المهموسة دالا لتوافق الذال في الجهر، ثم أدْغِمَتْ الذال في الدال رغبة في تحقيق تماثل تقدمي، و ذكر **الفرّاء** في موضع آخر من كتابه وهو يُعَلِّق على لفظ **مُدّكِر** من قوله تعالى : (**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**) [3] أنَّ المراد " **مُذْتكر**" وإذا قلت مُفْتَعِل فيما أوله ذال صارت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة [4].

1- السابق، ج10، ص: 52.

2- معاني القرآن: أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف النجاشي، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980 ج1 ص: 215.

3- سورة القمر الآية: 15.

4- معاني القرآن، الفراء ج 3 ، ص: 107.

وقد عزا هذه اللهجة إلى بعض بني أسد الذين يقولون "مُدّكِر" فيغلبون الذال فتصير ذالا مشددة [1].

الظاهر أن بني أسد قد آثرت الصوت الرخو فحولت تاء "افْتَعَل" إلى نظيره المجهور و هو الدال ثم أثر الذال في الدال فتحول ذالا وادغم فيه الذال الأول، وإن كان إبراهيم أنيس يرى أن هذا العَزْو من الأمور التي يصعب تَعْليلها لأن أسدا من القبائل المُوغِلة في البداوة فكان حقها أن تُؤْثِر الصوت الشديد وهو الدال على صوت الذال الرخو[2].

كما وظف **المُبَرّد** مصطلح **التقريب** ومشتقاته حين تناول إبدال السين صادا عند مجاورتها لصوت مستعلي يقول : « و إنما تقلب **للتقريب** مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد ... فإذا كانت السين مع حرف من هذه الحروف في كلمة جاز قلبها صادا، وكُلّمَا **قَرُب** منها كان أوجب ... وذلك قولك **سَطْر صَطْر**، و**سَقْر صَقْر**، و**سَلَخت صَلَخت**، و**مَسَالِيخ مَصَاليخ** » [3].

فالناظر إلى هذه الأمثلة يدرك أن مسار التأثير فيها انطلق من المتأخر نحو المتقدم، امتثالا لموجبات الصوت المؤثر، إذ اجتمع في هذه الألفاظ صوتان: الأول منهما مُسْتَفِل، وثانيهما مُسْتَعْل فأثّر اللاحق في السابق الذي لا يجاوره مجاورة مباشرة فيدعوه إلى مماثلته وذلك بإبداله صوتا مستعليا من مخرج السين يتجانس و الصوت المُؤَثِر فيه، وهو ما يسمى في الدرس الصوتي بالتأثير المدبر الجزئي في حالة الانفصال [4].

1- ينظر :معاني القرآن، الفرّاء، ج3، ص: 107.

2- ينظر: في اللهجات العربية إبراهيم أنيس، ص: 102.

3- المقتضب، المبرد ، ج 1، ص: 225.

4- ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 36.

ومن المواطن التي وظف فيها **المُبَرّد** إحدى مشتقات التقريب في هيئة الفعل متبوعا بالمصدر للدلالة على المماثلة في صورها المقبلة التي يكون فيها الصوت الأول في موقع قوة تُمَكّنه من الثاني قوله : « وإن كان الأول أشد تَمَكُّنًا من الذي بعده ، **تَقَارَبا تَقَارُب** ما يجب إدغامه، لم يصلح إلا قلب الثاني إلى الأول» [1]. وهو يعني بالصوت الثاني : حرف **الطاء** و **التاء** و الثاء و **الذال** و **الظاء** ويعني بالأولى الأصوات الأسلية **السين، الصاد، الزاي** التي تدعو بمجموعة الطاء تحت تأثير قوة الصفير إلى التماثل: « فإذا التقى حرفان أحدهما من هذه الستة و الآخر من حروف الصفير، فأردت الإدغام، أدغمته على لفظ الحرف من حروف الصفير تقول في مُفْتَعل من **صَبَرت** إذا أردت الإدغام (**مُصَّبر**) و في **مُسْتمع** (**مُسَّمع**) و في **مُزْدَان** و **مُزْدَجر** **مُزّان ومُزّجر** » [2].

أما **أبو سَعِيد السِيرَافي** (ت 368 هـ) فقد استخدم مصطلح التقريب ومشتقاته للدلالة على تلك التغيرات الصوتية التي تنحو في اتجاهها التكييفي نحو التماثل الجزئي، حين يتنازل فيها صوت عن صفة من صفاته تحت تأثير صوت مجاور له، ويُمَثّل لذلك بالصاد الساكنة حين تعقبها دال. فقد نص أن العرب تجنبا للثقل، وتحقيقا للسهولة في النطق تعمد إلى إحلال صوت الزاي مكان الصاد حتى توافق الدال في الجهر يقول : « ويوافق الدال في بعض ما خالفتها الصاد فيه ، وذلك الحرف الزاي، لأن الزاي مجهورة مثل الدال، و ليست بمستعلية ولا مطبقة ،كما أنَّ الدال كذلك، فجعلوا الصاد بين الصاد و الزاي **لتقرّب** من الدال كما **قَرّبوا** الألف من الياء بالإمالة للكسر العارض ولشبه الألف بالياء.» [3].

1- المقتضب، المبرد، ج 1، ص: 173

2- السابق، ج 1، ص: 174.

3- السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، عبد المنعم فائز ، دار الفكر سوريا، ط1، 1983، ص: 307.

كما يُعَدُّ **ابنُ جنِّي** من الذين تناولوا المماثلة ضمن مصطلح **التقريب**، و لم يخرج في التمثيل لها عما قرره أستاذه **سيبويه**، فقد اقتبس عنه فكرة التقريب، ثم وسّع مساحتها الدلالية، وفَصَّلَها تفصيلا دقيقا، لتشمل عنده مطلق تأثير صوت بصوت سواء أكان هذا التأثير تاما أم ناقصا، وقَرر في النهاية أن هذا التقريب مرادف الإدغام، و هو ما ينطبق على ما أطلق بالمماثلة في الدرس الصوتي الحديث [1]. و يتجلى هذا المصطلح في سياق تناوله لظاهرة الإدغام التي يعرفها بقوله : « قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما **تقريب** صوت من صوت» [2]، وهذا النوع من التقريب ينعته بالإدغام الأكبر (المماثلة التامة) و هو عنده على ضربين :

الأول : أن يلتقي المَثَلان على الأحكام التي يكون عنها، فَيُدْغم الأول في الآخر نحو **قَطّع** وكاف **سَكّر** ودال **شدَّ** و لام **مُعْتلّ** [3] .

الثاني: الذي يتصل بموضع تأثير الأصوات بعضها ببعض، وهو الذي قال بشأنه : «والآخر أن يلتقي **المتقاربان** على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما فتدغمه وذلك مثل **ودٌّ** في اللغة التميمية و **امّحَى** و **امّازَ** و **اصَّبر** و **اثّاقَل** عنه » [4].

فَ "**وَدّ** " أصلها "**وَتَد**" فقد تجاورت التاء و الدال وهما من مخرج واحد إلا أن الدال صوت مجهور و التاء صوت مهموس[5] فتأثر المهموس بالمجهور فصارت " **وَدّ** " و هذا تأثير رجعي، و أما " **امَّحَى** " و" **امَّاز**" فأصلهما " **انْمَحَى**" و" **انْمَازَ** " فتجاورت النون والميم وإنما حدث الإدغام هنا لأن صوتهما واحد و لاتفاقهما في الجهر والخروج من

1- ينظر أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي، عبد الصبور شاهين، ص: 127.
2- الخصائص، ابن جني ،ج2، ص: 139.
3- السابق، ج 2، ص: 140.
4- السابق، ج2،ص:140.
5- ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 160 ، 161.

الخياشم [1] وهذا تأثير رجعي كالأول، وأما "اصّبر" فأصلها "اصْتَبَر" فأبدلت تاء الافتعال صاد ثم أدغمت في الصاد: « و أما **اصْتَبَر** فإنها و إن كانت الصاد مهموسة كالتاء فإن فيها استعلاء ليس في التاء، فأرادوا أن يكون عملهم من وجه واحد فأبدلوا الزائد للأصلي فقالوا **اصَّبَرَ**» [2].

كما تَحَدَّث ابن جني عن نوع ثانٍ من الإدغام يصيب الصوامت والصوائت لكن دون أن يُفْضِي هذا التقريب إلى إفناء صوت في آخر، و يسميه الإدغام الأصغر يقول: «و أما الإدغام الأصغر فهو **تقريب** الحرف من الحرف و إدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك» [3]، ومن نماذج التقريب في الأصوات الصامتة أن تقع فاء "**افْتَعَل**" صادًا أو ضادًا أو طاءًا أو ظاءًا فَتُقْلب لها تاؤه طاء و ذلك نحو **اصْطَبَر** و **اضْطَرَبَ** و **اطَّرَدَ** و**اظْطَلَمَ**، والتعليل الصوتي لهذا التجانس أن حروف الإطباق (**ط، ظ، ض، ص**) مستعلية مفخمة، و**التاء** مستفلة مرققة فأبدلت تاء الافتعال من جنس تلك الحروف لتحقيق التجانس والانسجام بينهما : « أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأَنْ يكون العمل من وجه **بتَقْرِيب** حَرْفٍ من حَرْف » [4].و التقريب الذي تحدّث عنه ابن جني هو عين المماثلة عند الأصواتيين المحدثين، لأن المماثلة عبارة عن عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة[5].

1- ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، د تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1418هـ - 1998م، ص: 287.

2- المنصف، شرح الإمام أبي فتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، مصر ، ج2 ص: 327.

3- الخصائص ابن جني ج2 ص: 141.

4- المنصف، ابن جني، ج 2 ، ص: 324 و 325.

5- الصوت في القرآن ص: 117 (05/10/05)

http://www.rafed.net/books/olom-quran/ai-saut-index.html

ومن صور التقريب كذلك أن تقع فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه دالا في مثل "**ازْدَانَ**" و "**ادّعَى**" و "**ادّكَر**" و "**اذْدَكَر**" [1]. والتفسير الصوتي لذلك هو أن التاء مهموسة لا تتناسب مع الدال والزاي والذال المجهورة قبلها، و للاقتصاد في الجهد العضلي و تحقيق التجانس والتماثل تُقْلَبُ تاءُ الافتعال دالا، وهي النظير المجهور للتاء وقد نعته علماء الأصوات المحدثون بالتماثل التقدمي [2]، ذلك أن الصوت الأول هو الذي أثّر فيما تلاه.

ومن جملة التغيرات الصوتية التي يَسْتَغرقها التقريب عنده إبدال السين صادا إذا وقعت قبل صوت مستعلي لمضارعتها حروف الاستعلاء ليتوافق الصوتان صفة : وَ« مِنْ ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي **فتُقَرَّبَ** منه بقلبها صادا على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام وذلك كقولهم في **سُقْت** : **صُقْتُ**، و في **السُوق** : **الصُوق**، وفي **سَبَقْت** : **صَبَقْت**، وفي **سَمْلَق** و**سُوَيْق** : **صمْلَق و صُوَيْق**، و في **سَالِخ** و**سَاخِط** : **صَالِخ و صَاخِط**، وفي **سَقْر** : **صَقْر**، و في **مَسَالِيخ** : **مَصَالِيخ** » [3].وهذا تأثر مدبر جزئي في حالة الانفصال، ذلك أن السين وهي حرف مرقق قد تأثرت بالقاف بعدها وهي حرف مستعل وفصل بينهما صائت هو حركة السين[4].

لقد كانت نظرة **ابن يعيش** (ت643هـ) إلى ظاهرة المماثلة شاملة ومستغرقة لكل أنواع التقريب التي يُمْكن أن تحدث بين صوتين، بحيث أنه لم يَسْتَقِرْ على مصطلح واحد، فقد استعمل طائفة من المصطلحات للدلالة على تلك التغييرات الصوتية التي تنحو

1- ينظر الخصائص، ج 2، ص: 142.

2- ينظر التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 24.

3- الخصائص، ج 2 ، ص: 142 ، 143. و المنصف، ج2 ، ص: 325.

4- ينظر مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، السنة الرابعة، 1404هـ- 1984م، مقال لعبد الفتاح المصري بعنوان: الصوتيات عند ابن جني ص: 260- 261.

في مسارها التوافقي نحو التماثل، منها: **المضارعة** و **التقريب** و**التشاكل** و**التجانس الصوتي**. فمن السياقات اللغوية التي وظف فيها مصطلح **التقريب** قاصدا بها التماثل الجزئي نَذْكُر ما أورده في صيغة "**افْتَعَل**" حين تكون الفاء زايا في **ازْتَجَر**، و **ازْتَهَى**، و**ازْتَانَ**، و **ازْتَلَفَ**، فتقلب التاء دالا نحــو : **ازْدَجَر، ازْدَهَى، ازْدَان، ازْدَلَف**[1] يقــول: « فلما كانت الزاي مجهورة و التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج، وأخت الزاي في الجهر قَرَّبُوا صوت أحدهما من الأخر، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي و هي الدال»[2].

فالملاحظ في هذه الأمثلــة أن مســار التأثير اتجــه من الصوت الأول نحو الصوت الثاني، بحيث أبْدِلَت التاء المهموسة دالا خضوعا لتأثير الزاي المجهورة، وتحقيقا للانسجام الصوتي، و تجنبا للثقل، وهذا النوع من التأثير يُنْعَتُ في الدرس الصوتي الحديث بالتماثل التقدمي [3].

3 – المماثلة بمعنى المُشَاكَلَــة:

استعمــل أبو سَعِيــد السِيــرَافي لفظ **المُشَاكَلَــة** [4] للدلالة على الممــاثلة، ومَثَّلَ لها بصيغة **افْتَعَــل** حين تكــون فاؤها صوتا من الأصوات المستعليــة فقد ذكر

1- ينظر: شرح المفصل، ج 10، ص: 48.

2- السابق، ج10، ص: 48.

3- ينظر: علم الصرف الصوتي، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 146.

4- الشكل في اللغة الشبه و المثل، و تشاكل الشيئان و شاكل كل واحد منهما الآخر: شابهه و ماثله، و يقال: هذا على شكل هذا أي مثاله، و المشاكلة الموافقة و المماثلة و المشابهة، و التشاكل مثله. ينظر لسان العرب مادة: (ش ك ل) ج8 ص: 119.
يطلق لفظ المشاكلة في اللغة على الظاهرة التي يراعى فيها تماثل أو توافق أو تشابه شيئين أيا ما كان صوتين أو لفظا و معنى فيجرى أحدهما مجرى الآخر، و قد ورد مصطلح المشاكلة عند علماء العربية في أثناء كلامهم دون أن يكون مقصودا لذاته و قد تتعدد المصطلحات ففي النحو مثلا نجد المجرور بالمجاورة، و نجد حركة الاتباع و المناسبة، و في الصرف نجد المشاكلة علة من العلل، و في الأصوات نجد المماثلة أو المضارعة بما هي تأثر صوت بصوت، و هكذا تتصرف لفظة المشاكلة إلى معنى الموافقة أو المماثلة أو المشابهة:
– ينظر دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة– التنغيم– رؤى تحليلية د: عبد الحميد السيد دار الحامد للنشر و التوزيع عمان الأردن، ط 1، 1425ه – 2004م ص: 8

أنه « إذا بنيت افتعل وفاء الفعل حرف من حروف الاستعلاء لم تُقْلَب التّاءُ دالا، بل تُقْلبها طاءً **لِمُشَاكَلة** الطاء لحروف الاستعلاء لما فيه من الاستعلاء و الإطباق و ذلك افتعل مما فاء الفعل منه صاد أو ضاد أو ظاء لأن هذه الحروف مطبقة مستعلية، و ليس في التاء إطباق و لا استعلاء فاختاروا حرفا من مخرج التاء مستعليا و هو الطاء فجعلوه مكان التاء » (1).

كما يستخدم هذا المصطلح للدلالة على تلك التغيرات الصوتية التي تنحو في اتجاهها التكيفي نحو التماثل في صيغة افتعل، حين تكون الفاء زايًا أو ذالًا أو دالًا نحو قول العرب في "**ازْتَجَر**" "**ازْدَجَر**" و" **ادَّكَر**" في "**اذْتَكَر**" و" **ادَّلَجَ**" في" **ادْتَلَجَ**" فقد نَصَّ أن : « الزاي والذال والدال مع التاء, وهي متقاربات المخارج, وهي مختلفات في الهمس والجهر و ذلك لأن التاء مهموسة, وهذه الحروف مجهورات والدال مجهورة **تُشَاكِل** الزاي والذال في الجهر وهي من مخرج التاء, فتوسطت بين التاء وبين هذه الحروف فجعلت مكان التاء » (2).

يَتَجَلَّى مصطلح **المشاكلة** عند **ابن يعيش** في سياق تعريفه لظاهرة الإمالة يقول: «والغرض من **الإمالة** تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل»(3)، ويمثل لهذه الظاهرة بكلمة: "**عِمَاد**" و "**عَالِم**"، ثم يشرح كيفية التشاكل بين صائتي الفتح والكسر معللا ذلك بأن الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم، فقاربوا بينهما بأن نَحَوْا بالألف نحو الياء، واشترط أنه لا يمكن أن يُنْحَى بالألف نحو الياء حتى يُنْحَى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب: « و كذلك في الامالة قربوا الألف من الياء لأن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله، وأدناه فتنافرا، ولما تنافرا

1- السيرافي النحوي ص: 575.
2- السابق، ص: 575.
3- شرح المفصل، ج 9، ص: 54.

اجْنحَت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما، و زال الاستثقال الحاصل بالتنافر فاعرفه»[1]. من خلال الأمثلة المذكورة يَتَبَيَن لنا أنَّ مصطلح المشاكلة وَرَد عند علماء العربية للدلالة على الموافقة أو المشابهة، وهي ألفاظ تَدُلُّ على معنى المماثلة في الدرس الصوتي الحديث.

4 – المماثلة بمعنى الإبـدال أو القلـب :

يطْلِقُ **سيبويه** في مواطن أخرى من الكتاب لفظ **الإبدال** للدلالة على المماثلة وهو عنده لَوْن من التقريب بين الأصوات لِيَتِم التجانس و التماثل، ومن ذلك إبدال الصاد زايا خالصة في نحو "**التَصْدِير**" و "**القَصْد**" و" **أصْدَرْت** "فقالوا فيها "**التزْدير**"و"**الفزْد**" و "**ازْدَرْت**" [2]. وقد عَلَّلَ ذلك قائلا:« وإنما دعاهم إلى أن يقربوها **ويُبَدِّلوها** أن يكون عملهم من وجه واحد وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد » [3]. والذي يقصده سيبويه بأَنْ يكون عملهم من وجه واحد، إبدال الصاد زايا لأنها أختها في مجموعة الأصوات الصفيرية, والفرق بينهما أن الصاد مهموسة و الزاي مجهورة أبدلت زايا، لِتُنَاسِب أو تُمَاثِل الدال في الجهر.

ومن السياقات اللغوية التي وظف فيها مصطلح **القَلْب** للدلالة على المماثلة قلب السين صادا، إذا كانت مسبوقة بصوت مستعلى في مثل "**صُقْت**" و "**صَبَقْت**" إذْ « أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد, و هي الصاد، لأن الصاد تَصْعَد إلى الحنك الأعلى للإطباق فشبهوا هذا **بإبدالهم** الطاء في **مُصْطَبِر** و الدال في **مُزْدَجَر**»[4]. فالصاد من حروف الإطباق، وهي حرف مستعلٍ لأن

1- السابق ، ج 9 ،ص: 55.

2- ينظر: كتاب سيبويه، ج4 ص: 478.

3- السابق، ج4، ص: 478.

4- السابق ج4، ص: 470.

اللّسان معها يلتصق بالطبق فينتج عن ذلك تفخيما, ومما تُوصَفُ به حروف الإطباق أنها مُفَخَّمة, أمَّا قَوْلُه ليكون العمل من وجه واحد, أي ليكون قبل القاف حرف مستعل، فجيء بحرف مستعل يضارع استعلاء القاف وهو الصاد بهدف تحقيق التجانس والانسجام لأنه من الصعب الانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء.

كما تتضح دلالة مصطلح المماثلة عند أبي عثمان المازني (ت247هـ) في الباب الذي عقده تحت عنوان:«هذا باب ما **تُقْلَبُ** فيه تاء افْتَعَل عن أصلها و لا يتَكَلّمُ بها على الأصل البَتَّة, كما لم يتكَلَّمْ بالفعل من قال وباع و ما كان نَحْوَهُنَّ على الأصل»[1]. فقد عرض في هذا الباب صور ودرجات التقارب الجزئية التي يمكن أن تحدث بين صَوْتين متجاورين, فيتنازل أحدهما لصالح مجاوره عن صفة من صفاته، و قد نعت هذا النوع من التأثير بمصطلح الإبدال قال : « وذلك إنَّكَ إذا قُلْتَ : افْتَعَل و ما تصرف منه و كانت الفاء صادا أو ضادا أو طاء أو ظاءا فالتاء فيه مُبَدَّلة و ذلك قولك " اصْطَبَر و يصْطَبِر ومُصْطَهِر فهذا الكلام الصحيح»[2].

جاورت التاء في "**اصْتَبَرَ**" و"**اضْتَرَبَ**" و"**اطْتَلَعَ**" و"**اصْتَهَرَ**" صوت الصاد والضاد والطاء وهي الأصوات من مخرج واحد أسنانية لثوية [3]، إلّا أنَّ الصاد والضاد والطاء والظاء أصوات مطبقة والتاء صوت منفتح, وللصوت المطبق قوة التأثير في الصوت المنفتح فقلب التاء إلى نظيره، وهو الطاء ليجانس الصاد في "**اصْطَبَر**" و"**اصْطَهَر**"، والضاد في "**اضْطَرَب**"، والطاء في "**اطَّلَع**"

1- المنصف، ج2 ص 324.
2- المنصف، ج2 ص: 324 .
3- ينظر الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص: 155.

ومن نصوصه التي استثمر فيها مصطلح الإبدال للدلالة على التماثل المقبل ما أورده من ألفاظ صِيغَتْ على "**افْتَعَلَ**" مما فاؤه زاي، « فإذا قبل هذه التاء زاي أبدلت التاء دالا مثل "**ازدجر**" و من اتبع التاء الحرف الذي قبلها أبدل منها الزاي فقال "**ازّجر**" و هو "**مزّجر**"» [1]. فلما جاورت التاء الهموسة في "**ازتجر**" الزاي المجهورة قلبت التاء دالا لتوافق الزاي في الجهر ثم أدغمت الدال في الزاي.

ويعرض المازني نماذج أخرى للتماثل المقبل التي يمكن أن تحدث بين صوتين متجاورين، فيَتَنَازل أحدهما لصالح مجاوره عن صفة من صفاته بهدف تحقيق الانسجام الصوتي مستعملا مصطلح الإبدال : « فإن كان قبل هذه التاء ذال أبدلت التاء دالا ثم أدغمت الذال فيها و ذلك " **افتعل**" من " ذكر يذكر" تقول فيه "ادّكَرَ " و "يدّكِر" ومن اتبعها الحرف الأول قال "اذّكَرَ" و "مُذَّكِر" و الأول أجود على ما أخبرتك » [2].

كما يعرض ابن يعيش صورا للتماثل الجزئي، والتي يمكن أن تحدث بين صوتين متجاورين معبرا عنها بمصطلح الإبدال، فيتنازل أحدهما لصالح مجاوره عن صفة من صفاته قصد بعث التجانس الصوتي، من ذلك إبدال السين صادا إذا وقعت قبل صوت مستعلي مثل: "**صَالِغ**" و"**صَقْر**" و" **صُقْت**" و"**صِرَاط**" :« إنما صاغ قلب السين صادا إذا وقعت قبل هذه الحروف من قبل هذه الحروف مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستفل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي لأن ذلك مما يثقل، فأبدلوا من السين صادا لأن الصاد توافق السين في الهمس و الصفير و توافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت

1- المنصف، ج2، ص 330.

2- السابق، ج2، ص: 330.

ولا يختلف» [1]، فأبدلت السين صادا ليتوافق الصوتان صفة و يتجانسان، فيعمل اللسان في مستوى واحد وهو العُلو.

ومن النصوص التي استثمر فيها مصطلح الإبدال حديثه عن إبدال السين زايا إذا وقعت قبل الدال ساكنة نحو: "**يَزْدر**" و "**يَزْدل**" في "**يَسْدر**" و "**يَسْدل**"[2] والذي دعا إلى هذا التماثل في مساره الجزئي أن السين المهموسة جاورت الدال المجهورة، ولتقريب أحدهما من الآخر أبدلت السين زايا لتوافق الدال في الجَهْرِ فـَ« السين حرف مهموس والدال حرف مجهور، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه، ولم يمكن الإدغام، فَقَرَّبوا أحدهما من الآخر فأبدلوا من السين زايا لأنها من مخرجها و أختها في الصفير وتوافق الدال في الجهر فيتجانس الصوتان»[3].

يبدو أن مصطلح الإبدال عند **ابن يعيش** شامل لكل مظاهر التأثير بين صوت وصوت آخر مجاور له، من ذلك أننا نجده قد وظَّفَ هذا المصطلح في سياق حديثه عن التغييرات التي تنحو صَوْب التماثل الكلي، فيفْضِي بها مسار التطور إلى اتحاد صوتين صفة و مخرجا من ذلك إبدال تاء افتعل طاء حين تكون فاء الفعل أحد حروف الإطباق نحو: "**اصطبر**" و "**اضطرب**" و "**اطَّرَد**" و"**اظْطَلَم**" في "**اصْتَبَر**" و "**اضْتَرب**" و"**اطْتَرَد**" و"**اظْتَلَم**"، إذ أبدلت التاء طاء لمجانسة الطاء لحروف الاستعلاء، لأن هذه الحروف مطبقة مستعلية، وليس في التاء من ذلك شيئا، فاختارت العرب حرفا من مخرج التاء مستعليا وهو الطاء فجعلوه مكانها: فـ« هذه الحروف مستعلية فيها إطباق و التاء حرف مهموس، غير مستعل، فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يُضَاده و يُنَافِيه فأبْدَلُوا من التاء

1- شرح المفصل ابن يعيش، ج10، ص 51، 52.
2- السابق، ج 10،ص: 52.
3- السابق، ج 10، ص: 52.

طاء لأنها من مخرج واحد»[1] فهو هنا يحدثنا عن قوّة الصوت المستعلي على اجتذاب صوت التاء المستفل وتحويله إلى طاء امتثالا لقانون الأقوى.

5 – المماثلة بمعنى الإدغام :

من الألقاب التي خَصَّ بها **سيبويه** أيضا ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بالمماثلة الكاملة الإدغام، ولتعدد أوجه هذه الظاهرة نجد سيبويه قد خصص تحت باب الإدغام الرئيسي أبوابا فرعية لدراسة مواضيعه المختلفة، فقد عالج في الباب الأول إدغام الحرفين المثلين سماه : « هذا باب الإدغام في الحرفين المثلين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه»[2]. وفي الباب الثاني عالج إدغام الحرفين المتقاربين أطلق عليه اسم :« هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد»[3]، وأما الباب الثالث فقد أسماه « هذا باب الإدغام في حروف طرف اللسان و الثنايا»[4].

وقد استخدم الفراء مصطلح الإدغـــام و مشتقاته للدلالة على مطلق تأثيـــر صوت ساكن في صوت متحرك بعده، وهو أَتَّم أشكال المقاربة–كما في اصطلاحه– لأنه ناشئ عن تأثير الأصوات بعضها ببعض تأثيـــرا مباشرا، والغرض منه التخفيف والسهولـــة في النطق والإيجاز وتجنب الثقل، ويتجلى هذا لديه في تعليلـــه إدغـــام الثاء في التاء و الـــذال في التاء والطاء في التاء أثناء تفسيره لبعض آيِ القرآن الكريم:« و قوله : **(قَالَ كَمْ لَبِثْتَ)**[5] وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء لقيت التاء وهي مجزومة، و

1- السابق ج 10، ص: 47

2- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 437.

3- السابق، ج 4، ص: 445.

4- السابق، ج 4، ص: 460.

5- سورة البقرة الآية: 259.

في قراءة عبد الله **(ثُمَّ اتَّخَتُّمُ العِجْلَ)** [1] **(وَإِنِّي عُتُّ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ)**[2] فأدغمت الذال أيضا عند التاء، وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج، والثاء والذال مخرجهما ثقيل، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما، ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل، فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم، وليس تركك الإدغام بخطأ إنما هو استثقال»[3] كما يفهم من تعليقه على قراءة لفظة: " **أحَطْت**" من قوله تعالى: **(أحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِط بِهِ)**[4]. فالذي أدى إلى مماثلة التاء للطاء هو أن الطاء والتاء من مخرج واحد لأنك : « تخرج الطاء في اللفظ تاء، وهو أقرب إلي التاء من الأحرف الأول تجد ذلك إذا امتحنت مخرجيهما» [5].

وقال في إدغام التاء في الثاء من قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)** [6] « معناه والله أعلم: تَثَاقَلْتم فإذا وصلتها العرب بكلام ادغموا التاء في الثاء لأنها مناسبة لها، ويُحْدثون ألفا لم يكن لِيُبَيِّنُوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل، وكَأَنَّ إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء و لو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة والمبتدأ لا يكون إلا متحركا»[7] فالذي حدث في كلمة " **تَثَاقَلتم** " أن التاء لثوية جاورت الثاء صوت أسناني لثوي فاسْتُثْقَل اللسان نطقهما متتابعتين، ولِتَجَاوُز هذه المُعْضِلة النطقية أسكنت التاء تخفيفا لها حتى تتصل بمقاربها، ثم تنازلت عن شدّتها لصالح مَمَاسِها الثاء، فأدغمت فيها لتصبح الصيغة **اثَّاقَلْتم** وهو تماثل مدبر في اصطلاح الدرس الصوتي الحديث.

1- سورة البقرة الآية: 92.
2- سورة الدخان الآية: 20.
3- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص: 172.
4- سورة النمل الآية: 22.
5- معاني القرآن الفراء، ج2،ص: 172.
6- سورة التوبة الآية: 38.
7- معاني القرآن للفراء ج1 ص: 437.

استعمل **الأخفش الأوسط** (ت215هـ) في "**مَعَانِيه**" مصطلح الإدغام ومشتقاته، وان كانت دلالة هذا المصطلح عنده قد اقتصرت على تلك الحالة التي يتجرد فيها صوت من كل خصائصه ليفنى في غيره فناء تاما،و يتضح ذلك في تعليقه على قراءة « **و ادَّكَر**» من قوله تعالى: **(وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)** [1] يقول : « و إنما هي افْتَعَل من ذَكَرْت فأصلها اذْتَكَر ولكن اجتمعا في كلمة واحدة و مخرجاهما متقاربان و أرادوا أن يدغموا، والأول حرف مجهور وإنما يدخل الأول في الآخر، والآخر مهموس فكرهوا أن يذهب منه الجهر فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا وهو الدال لأن الحرف الذي قبلها مجهور »[2].

نَسْتَشف من تعليق الأخفش أن نطق "**ادَّكَر**" قد مر بمرحلتين:

الأولى قلب تاء الافتعال دالا "**اذْتَكَر**" ــ "**اذْدَكر**" تنازلت التاء عن همسها امتثالا لدعوة الذال المجهورة ثم أبدلت التاء دالا لتوافق الذال في الجهر.

الثانية تأثير الدال في الذال الساكنة فصيرتها دالا لأنها أقوى منها موقعا فحدث إدغام الأول الساكن في الثاني المتحرك و هو ما يصطلح على تسميته اللغويون المحدثون ب "الإدغام التقدمي" لكن الأخفش لم يَسِمِ هذا التقارب الأدائي، واكْتَفى بنَعْت أقصى درجاته المتمثلة في الإدغام.

1- سورة يوسف الآية: 45.

2- معاني القرآن، أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق د.فائز فارس، دار البشير، ودار الأمل، ط2، 1981، ج2 ، ص: 366.

وقد تبدل التاء ذالا ثم تدغم الذال الساكنة في المتحركة فتصبح الصيغة على النحو التالي : **اذْتَكَر ـــ اذْذَكَر ـــ اذَّكَر**، « وقال بعضهم: **مُذَّكِر** أبْدل التاء ذالا ثم ادخل الذال فيها »[1].

كما عرض الأخفش أمثلة أخرى لصور التماثل التي يمكن أن تحدث بين صوتين متجاورين، فيتجرد فيها صوت من كل خصائصه ليَفْنى في مُجَاوره فناء تاما، وذلك تجنبا للثقل في النطق و تحقيق الانسجام الصوتي، منها تعليله لقراءة لفظة" **ادَّرَأْتُمْ** " من قوله تعالى:**(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّرَأْتُمْ فِيهَا)**[2].

فالأصل:" **تَدَارَأْتُمْ** " أدغمت التاء في الدال لأنهما من نفس المخرج أسناني لثوي، والتاء صوت مهموس، أما الدال فصوت مجهور، فَفَنِيَ الصوت الضعيف في القوي امتثالا لقانون الأقوى[3] و« لكن التاء تدغم في الدال لأنَّ مخرجها من مخرجها، فلما أُدْغِمَت فيها حُوِّلَت دالا مثلها »[4].

ويبدو مما ذكره الأخفش في هذه النصوص أن الإدغام عنده درجة من درجات المماثلة، لا يقع إلا بين صوتين مثلَيْن، وهو ما عَبَّرَ عنه بصيغة " حُوِّلَتْ دالا مِثْلَهَا " كما نستشف مصطلح **الإدغام** عنده في سياق تعليله لقراءة **مُذَّكِر** من قوله تعالى: **(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ)**[5] وان كان قد استعمل لفظة **"أدْخِل"** قاصدا بها الإدغام : « أبدل التاء ذالا ثم أدْخِل الذال فيها »[6].

1- السابق ج 2 ص: 366.
2- سورة البقرة الآية: 72.
3- سبق أن أشرنا الى ذلك في الصفحة 59 من هذا البحث.
4- معاني القرآن، ج1، ص: 107.
5- سورة الغاشية الآية: 21.
6- معاني القرآن، ج2 ، ص: 366.

استعمل **المُبرّد** مصطلح الإدغام ومشتقاته للدلالة على فناء صوت في آخر، فقد خَصَّص قسما مهما في نهاية الجزء الأول من كتابه للمسائل الصوتية تحت أبواب الإدغام مثلما فعله سيبويه مع تفصيل أكثر، وتبسيط أدق، بالرغم من تعرضه لمسائل صوتية أخرى، وتغيرات صرفية في مواطن كثيرة، ومُتَفَرِّقة من كتابه، فقد استهل موضوع الإدغام بِ « باب مخارج الحروف و قسمة أعدادها في مهموسها و مجهورها و شديدها و رخوها و ما كان منها مطبقا، و ما كان من حروف المد، واللين، و غير ذلك»[1].

يتجلى مصطلح الإدغام عند **المُبرّد** في سياق تناوله لإدغام المثلَيْن، يقول:« اعْلَمْ أن الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسَكَن الأول منهما فهو مُدْغَم في الثاني، و تأويل قولنا مُدْغَم أنه لا حَرَكَة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعْتِمَادَةً واحدة لأن المَخْرَجَ واحد ولا فصل وذلك قولك: قَطَّعَ، وكَسَّرَ وكذلك مُحَمَّد، ومُعَبَّد ولَمْ يَذْهَبْ بَكْر، ولَمْ يَقُمْ مَعَكَ فهذا معنى الإدغام »[2].

كما نجد دلالة مصطلح الإدغام في سياق تناوله لإدغام المثلين في الفعل، وما أشْتُقَ منه وما يُمْتَنَع عن ذلك، يقول:« ومثل ذلك مَسَّ و شَمَّ و عَضَّ و تقديرها(**فَعِلَ**) يُبَيِّنُ ذلك قولك: عَضِضْتُ و شَمِمْتُ أشُم و أَعَضَّ كما تقول في (**فَعَلَ**) رَدَدْت وفَرَرْت: ارُدُّ و افِرُّ»[3].

ومن نماذج استخدامه كلمة إدغام ما ذكره حين تناول إدغام المثلين في حالة الانفصال يقول:« فان أردت الإدغام أسكنت الأول، وإنما تفعل ذلك استخفافا، لترفع لسانك رفعة واحدة، كلما كثرت الحركات في الكلمتين ازداد الإدغام حسنا،

1- المقتضب، المبرد، ج1 ص: 192.
2- السابق، ج1، ص: 192.
3- السابق، ج1، ص: 199.

وذلك قولك: جَعَلَّكَ و إن شئت قلت جَعَلَ لَكَ، و إنما كـــان ترك الإدغـــام جائزا في المنفصلين، ولَمْ يَجُز فيما سواهمـــا مما ذكرت لك لأن الكلمة الثانيـــة لا تلـــزم الأولى. و إنما وجب في المتصليـــن لِلُزوم الحرفيـــن وكذلك قـــولك: قَدِ مُحَمَّد، وقَـــدِمَ مُحَمَّد و **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ)**[1] هذا على ما وصف لك»[2].

لم يلتزم **أبو سعيد السيرافي** بدراسة المماثلة في مسارها الجزئي، بل نجده قد تعرض إلى تلك الحالة التي يتماثل فيها صوتان تماثلا تاما فيفنى أحدهما في الآخر مستعملا مصطلح الإدغام، أو أحد مشتقاته، يقول:« فانهم قد يؤثرون قلب أحدهما إلى الآخر ويدغمونه فيه ليكون اللفظ على وجه واحد»[3].

ومن الأمثلة التي ساقها حديثه عن عدم إدغام الصاد في الطاء يقول: « يجوز أن تقلب الطاء صاد فتدغم الصاد في الصاد فتقول اصَّبَر و اصَّلَح، ولا يجوز أن تدغم الصاد في الطاء، فتقول اطَّبَر و اطَّلَح» [4].

ومن النصوص التي استثمر فيها مصطلح الإدغام في صيغة الفعل حديثه عن عدم إدغام الزاي في الدال يقول: « ولو قلت ازْدَرَع جاز أن تقول فيه: ازَّرَع و لا تقول فيه: ادَّرَع، لأن الزاي لا تدغم في الدال،كما لا تدغم الصاد و الضاد في الطاء، وتدغم الدال في الزاي، والطاء في الصاد و الضاد» [5] وعلّة هذا المَنْع عنده هي أن:« الأَقَلُّ تَفَشِيا يُدْغم في الأَكْثَر تَفَشِيا» [6] وهو ما يتفق و طرح ابن جني فيذكر أنه:« متى كان الإدغام

1- سورة الماعون الآية: 1.

2- المقتضب، المبرد، ج1 ص: 206.

3- السيرافي النحوي، ص: 328.

4- ما ذكره الكوفيون من الإدغام لأبي سعيد السيرافي، حققه وقدم له و علق عليه د. صبيح التميمي، دار شهاب للطباعة و النشر، باتنة الجزائر ، د .ت، ص: 72.

5- السابق ص: 72 و 73.

6- السيرافي النحوي، ص: 506.

ينقص الأول شيئا لم يجز» [1]، وبهذه النظرة علل المبرد عدم إدغام مجموعة من الأصوات لئلا يذهب الإدغام بصفات امتازت بها [2].

يتضح من استخدام **الزَجَّاجِي** (ت 337هـ) لمصطلح الإدغام أنه استعمله في مدلوله الدقيق للدلالة على تتابع صوتين متجانسين، أومتقاربين دون فاصل بينهما، فيصير لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما كرفعة واحدة شديدة[3] وهو عنده على ضربين إدغام المثلين، وإدغام المتقاربين يقول :« ومعنى الإدغام هو أن يلتقي حرف من جنس واحد، فَتُسَكِّن الأول منهما و تُدْغِمُه في الثاني، أي تُدْخِله فيه، فيصير حرفا واحدا مشددا ينبو اللسان عنه نبوة واحدة، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فَتُبْدِل الأول حرفا من جنس الثاني وتُدْغِمُه فيه فيصير حرفا »[4].

الظاهر أنّ الإدغـــام عنده أداء صوتي مفاده إدخال الصوت في مجاوره حتى يكونان صوتا واحدا قصد تحقيق الخفة والسهولـــة في النطـــق: « وإنما تفعل ذلك تخفيفا نحو شَدَّ ومَدَّ » [5]. وبذلك فإن دلالة هذا المصطلح تطابق مصطلح المماثلـــة في الدرس الصوتي الحديث.

إن التغييرات الصوتية التي يفضي بها مسار التطور إلى اتحاد صوتين صفة ومخرجا فإنّ **الزمخشري** يصف هذه الحالة بالإدغام، وهو عنده وسيلة للاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطـــق : « ثقل التقـــاء المتجانسيـــن على ألسنتهم فعمدوا بالإدغـــام إلى ضرب من الخفة»[6].

1- المنصف ابن جني، ج 2، ص: 228.
2- ينظر المقتضب المبرد، ج 1، ص: 211 ، 212.
3- ينظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام، أبو سعيد السيرافي، ص: 30.
4- كتاب الجمل في النحو، أبو إسحاق الزجاجي، تحقيق الشيخ ابن أبي شنب، الجزائر، ص: 413 ، 414.
5- السابق، ص: 414.
6- شرح المفصل، ابن يعيش ، ج 10 ص: 121.

بعد أن وقف عند توضيح علله و أسباب حدوثه، حدد شروطه أيضا ف« التقاؤهما على ثلاثة أضرب أحدهما أن يسكن الأول، و يتحرك الثاني فيجب الإدغام ضرورة كقولك لم يَرُحْ حَاتِم، و لم أَقُلْ لَكَ، و الثاني أن يتحرك الأول و يسكن الثاني فيمتنع الإدغام كقولك ظَلَلْت، ورسُولُ الْحَسن، و الثالث أن يتحركا و هو على ثلاثة أوجه: ما الإدغام فيه واجب، وذلك أن يلتقيا في كلمة و ليس أحدهما للإلحاق نحو رَدّ يردّ و ما فيه جائز و ذلك أن ينفصلا وما قبلهما متحرك أو مدة نحو انعَتْ تلك والمالُ لِيزيد و ثوبُ بَكر أو يكونا في حكم الانفصال نحو اقتَتَل لأن تاء الافتعال لا يلزمها وقوع تاء بعدها فهي شبيهة بتاء تلك»[1]. والناظر إلى ما أورده الزمخشري من أمثلة عن إدغام المثلين، و إدغام المتقاربين يكتشف أنه مضى على نهج سابقيه وبخاصة سيبويه.

6 – المماثلة بمعنى الإمالة:

الإمالة[2] ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات، وتُقَرِّب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق، وبذل أقل مجهود، إذ الغرض منها في الأعم الأغلب تحقيق الانسجام الصوتي الذي يعد ضربا من المماثلة، وقد صرح بذلك ابن يعيش الذي يقول:« هو تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل» [3]،

1- السابق، ج10، ص: 121.

2- الامالة لغة من الميل وهو العدول إلي الشيء و الإقبال عليه و كذلك الميلان، و مال الشيء يميل مَيْلا و مَمالا ومَمِيلا و تَمْيَالا ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة ميل، ج14، ص: 159.

اصطلاحا: جنوح بالفتحة إلى صوت الكسرة، و بالألف إلى صوت الياء و خير ما يمثل هذا التعريف قول ابن الحاجب: « الامالة أن يُنْحى بالفتحة نحو الكسرة. » شرح الشافية ، تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الفكر العربي، 1395- 1975م ، ج 3 ص: 4. أو هي نطق الفتحة نطقا أماميا (دروس في علم الأصوات العربية، جان كاتينو، ص: 156.) و نحسب أن المعنى الاصطلاحي للإمالة قاصر على أداء المعنى اللغوي و ذلك أن الميل عن الفتحة كما يكون إلى الكسرة يكون إلى الضمة، وقد نبّه إلى ذلك ابن جني: « و أما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف و الواو نحو قولهم: سلام عليك: و قام زيد و على هذا كتبوا الصلوة و الزكوة و الحيوة بالواو لأن الألف مالت نحو الواو.» (سر صناعة الإعراب، ج 1 ص: 50.) كما نبّه المحدثون من علماء الأصوات إلى هذا النوع من الامالة، و رأى بعضهم أنه كما يمال الفتح إلى الكسر قد يمال إلى الضم (ينظر في اللهجات العربية إبراهيم أنيس ص: 56.) وقد درس النحاة و القرّاء الامالة فهي عندهم ذات أسماء متعددة فالشديدة تسمى أحيانا "**التَكْثِير**" و"**البَطْح**"، و"**الإضْجَاع**"، و المتوسطة بين بين يقال لها "**التَقْليل**" و "**التَلطيف**" (ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، قدم له الأستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1998م، ج2 ص:24.)

3- شرح المفصل، ابن يعيش ج 9 ص: 54.

كما ذكر ابن الجزري أن الفائدة منها هي:« سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، و الانحدار أخف على اللسان من الارتفاع»[1].

وقد نَبَّه إلى هذا النوع الحاصل بين الصوائت العديد من اللغويين والنحاة و القُرَّاء العرب القدامى، ونجد دلالة هذا المصطلح عند سيبويه الذي نسبه إلى الخليل، فزعم أن إجناح الألف أخف عليهم، يعني الإمالة [2]. وذكر في موضع آخر أنه:« لو سميت رجلا بها امرأة جاز فيها الإمالة»[3].

والإمالة عند سيبويه هي تقريب صوت من صوت:« فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عَابد و عَالم و مَسَاجد و مَفَاتيح و عَذَافر و هَابيل و إنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يُقَرِّبوها منها كما قَرَّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا (صَدْر) فجعلوها بين الصاد والزاي التماس الخفة»[4].

لقد كان سيبويه أكثر دقة من خلَفِه في تحديد مفهوم الإمالة، وكذلك في تعليلها[5] الغاية منها هي الاقتصاد في الجهد العضلي، وهو ما عَبَّر عنه بقوله: « فَكَما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يُقَرَّب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك»[6]. ولا شك أن تقريب الفتح من الكسر فيه من تيسير عملية النطق ما يجعل المتكلم يبذل أقل مجهود عضلي، و يمثل سيبويه لهذه الظاهرة بجملة من الكلمات من مثل: عِماد و سِربال و شِملال و كِلاب [7]. فحين نميل ألف "**عَالـم**" نكون قد قَرَّبْنا

1- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج 2ص: 28.

2- كتاب سيبويه، ج 3 ص: 278.

3- السابق، ج 4 ص: 135.

4- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 117.

5 - ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية، صالحة راشد غنيم آل غنيم، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1405هـ، 1985م، ص: 76.

6- كتاب سيبويه، ج4 ص: 117.

7- السابق، ج4، ص: 117.

الألف من كسرة لاحقة، وهي كسرة اللام، وهذا تأثر رجعي إذ تأثرت الألف بالكسرة الموالية لها.

أما في "**سِربـــال**" فقد تأثرت الألف بكسرة سابقة فأُمِيلَت حتى وإنْ كان بينها وبين الكسرة حرف ساكن، لأن الحرف الساكن عند سيبويه:« ليس بحاجز قَوِي»[1] وهذا التأثر تأثر تقدمي، إذ تأثرت الكسرة و هي الحركة الأولى في الألف فأمالته.

ومن صور التغيرات التماثلية الخاصة بالصوائت نذكر ما ساقه سيبويه عن إمالة الألف نحو الياء يقول: « و مما تمال فيه ألفه قولهم: كَيَّال، و بَيَّاع، وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول كَيَّال كما ترى، فَيُمِيل، وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء فصارت بمترلة الكسرة التي تكون قبلها نحو سِراج، وجِمال...ويقولون شوك السَّيَّال والصَّيَّاح، كما قلت: كَيَّال وبَيَّاع وقالوا شَيْبَان وقَيْس عَيْلان وغَيْلان فأمالوا للياء»[2]. فالألف تمال إذا سبقت بياء سواء جاورتها في مثل كَيال وبَياع أو فصل بينهما فاصل في مثل شِيبان، وهي هنا بمترلة الكسرة التي قبلها في نحو سراج و جمال، والكسرة أخت الياء و هذا تأثر تقدمي، إذ تأثر الثاني بالأول.

ومن نماذج التأثر الرجعي ما ذكره عن إمالة ما فيه راء نحو:"قارِب" و"الكافِرُون " حيث أن الراء تغلب الألف فتؤثر فيه و تميله، و إنما حدث ذلك لأن الراء مكسورة والكسرة المتأخرة عن الألف تجعله ممال إلى الألف و أبلغ ما تمال فيه الألف نحو الياء إذا سبقها حرف من حروف الاستعلاء، وقد نتصور مدى صعوبة تحقيق كلمة مثل: **غَارِم** إذ الغين حرف مستعلي، مفخم و ما يزيده استعلاء، و تفخيما الفتحة الطويلة بعد الألف، ثم ينتقل بنا اللسان إلى حرف مستفل، مرقق و هو الراء يقول سيبويه:« ومما تغلب فيه

1- السابق، ج 3، ص:117.

2- كتاب سيبويه ج4 ص: 121 و 122.

الراء قولك : قارب و غارم و هذا طارد وكذلك جميع المستعلية إذا كانت الراء مكسورة بعد الألف التي تليها و ذلك لأن الراء لما كانت تقوى على كسر الألف في فعال في الجر وفعال، لما ذكرنا من التضعيف، قويت على هذه الألفات إذا كنت إنما تضع لسانك في موضع استعلاء ثم تنحدر وصارت المستعلية هنا بمترلتها في قفاف» [1].

يعرض ابن جني لصور التقريب التي يمكن أن تحدث بين صوتين متجاورين و ذلك في سياق تناوله لظاهرة الإمالة وهي عنده مضارعة بين الصوائت يقول:« واعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة، وهذا التقارب بين الحروف فقد تجده بين الحركات، حتى إنَّك تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة مَنْحُوًا بها إليهما، وتجد الكسرة أيضا مشوبة بشيء من الضمة، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة، و لا تجد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة»[2] و يمثل لها بجملة من الكلمات مثل: عالم وكتاب وسعى و قضى، ثم يشرح كيفية التماثل بين صائتي الفتح و الكسر في الأمثلة المذكورة متخذا من كلمة **عَالـم** عينة لذلك يقول :« ألا تراك قَرَّبت فتحة العين من عالـم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء» [3] وعلة ذلك عنده أن الإمالة هي ضرب من التقارب بين الحركات تهدف إلى تحقيق نوع من المماثلة والمشابهة بين الصوائت و مثل هذه المضارعة هي انسجام بين الأصوات يحقق الهدف العام الذي هو بذل أقل مجهود عضلي:« و ذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت» [4].

1- السابق، ج 4، ص: 136 ، 137.

2- سر صناعة الإعراب، دراسة و تحقيق د. حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق ، الطبعة الثانية، 1413هـ 1993م ، ج 1 ص: 51 ،52.

3- الخصائص، ابن جني، ج 2 ، ص: 141.

4- السابق، ج 2، ص: 141.

وإذا كان ابن جني يرى أن الهدف العام من الإمالة تحقيق نوع من المضارعة بين الحركات لضرب من التجانس الصوتي، فان المبرد يرى أن الغرض منها : « أن تقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء»[1].

وهذا الذي ذكره المُبرد نبَّه عليه ابن يعيش حين أشار إلى أن الامالة تهدف إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل[2] ومثل لهذه الظاهرة بكلمة "**عماد**" و"**عالـــم**" شارحا كيفية التقريب بين صائتي الفتح و الكسر، معللا ذلك بأن الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم، فقاربوا بينهما، بأن نحوا بالألف نحو الياء.

وقد اشترط المبرد أنه لا يمكن أن يُنْحى بالألف نحو الياء حتى يُنْحى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب:«وكذلك في الامالة قَرَّبوا الألف من الياء لأن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله، وأدناه فتنافرا، ولما تنافرا أجْنِحت الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين فاعْتَدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر فأعرفه» [3] ووافقهما **ابن الجزري** حين أشار إلى أن الغرض منها : « هو الإعلام بأن أصل الألف الياء، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها، أو الياء»[4] فابن الجزري استعمل لفظ المشاكلة للإعلام بأن أصل الألف الياء، و ذلك للتنبيه عن الأصل اليائي، وكذلك مشاكلة الألف للكسر أو الياء المجاورتين لها، وهذه المشاكلة تعرف عند المحدثين من علماء الأصوات بالانسجام بين الأصوات الذي يعد ضربا من ضروب المماثلة.

1- المقتضب، المبرد، ج 3، ص: 46.
2- شرح المفصل، ابن يعيش، ج9 ص: 54.
3- السابق، ج 9، ص: 55.
4- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج 2، ص: 24.

والظاهر من تعريف ابن الحاجب للإمالة أنها تهدف إلى نوع من التناسب كَسَبيل لتحقيق التوافق، والانسجام بين الصوائت المتخالفة، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق، لأن العربية تَتَبنى مسلك التماثل للفرار من هذا التخالف، وذلك بتوجيه اتجاه حركات النطق، والسعي إلى الحد الأدنى من الجهد المبذول، وقد وَظَّف مصطلح المناسبة لتبيان الهدف من ذلك:((الامالة أن يُنْحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء أو لِكَون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة، وللفواصل أو الامالة قبلها على وجه)) (1).

ومن صور التماثل التقدمي التي أوردها ابن الحاجب تقريب صائت الفتحة كسرة استجابة لتأثير صائت الكسرة قبله و ذلك قولهم: "**عماد**" و "**شملال**" (2).

ومن صـــور التماثل المدبر تقريب صائت الفتح كسرة التأثير صائت الكسرة بعده كما في: "عالـــم " (3).

من خلال الأمثلة المذكورة نستنتج أن الإمالة ضرب من ضروب المماثلة، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق، وبذل أقل مجهود عضلي، الهدف العام منها تحقيق نوع من المماثلة بين الحركات لضرب التجانس الصوتي.كما يمكن أنْ نلحظ أثر الكسرة في حركات الكلمة، فهي الحركة القوية المؤثرة غالبا، مما يجعلنا نذهب إلى الظن بميل لهجة القبائل البدوية عموما إلى الكسر.

1- شرح الشافية الرضي الاستراباذي، ج 3، ص: 4.
2- السابق، ج3، ص: 4.
3- السابق ، ج 3، ص: 4.

7 – المماثلة بمعنى الاتباع:

مما سجله اللغويون القدامى ظاهرة أطلقوا عليها: "**الإِتْبَاع**"، وهي ضرب من ضروب تأثر الصوائت المتجاورة بعضها ببعض،و يطلق عليها اللغويون المحدثون اسم: " **التوافق الحركي**"**Harmony vowel**[1] وهذه الظاهرة تدخل أيضا في باب المماثلة، وهي مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامة.

يُعَدُّ سيبويه من الأوائل الذين أدركوا وجود هذا النوع من المماثلة في اللهجات العربية، ودَلَّلَ عليها مستخدما لفظ **الإتباع** حينا، وواصفا الظاهرة حينا آخر، فمن المواطن التي وظف فيها هذا المصطلح قوله: « و اعلم أن قوما من ربيعة يقولون (مِنْهِم) اتبعوها الكسرة، و لم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم» [2]. استعمل هنا لفظ **الإتباع** قاصدا به المماثلة في مسارها التقدمي بين كسرة الميم، وضمة الهاء، وقد أطلق اللغويون على هذه الظاهرة إسم "**الوَهْم**" يقول جلال الدين السيوطي(ت911هـ):« ومن ذلك الوَهْم في لغة كلب يقولون مِنْهِم و عَنْهِم و بَيْنِهِم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة»[3]. و عُزِيت إلى قبيلة كلب، و هي من القبائل البدوية التي تميل إلى الانسجام بين أصواتها، لأن هذه الظاهرة في هدفها العام تندرج ضمن مماثلة حركة لحركة تسهيلا لعملية النطق، و إن كان لإبراهيم أنيس تفسير آخر، حيث يرى أن لهجة كلب من الممكن أن تكون قد تأثرت بمن جاورها من لغات سامية كالآرامية، والعبرية اللتان تؤثران الكسر في مثل هذه الضمائر[4].

1- ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 207.

2- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 196.

3- المزهر في علوم اللغة و أنواعها جلال الدين السيوطي، شرح و تعليق محمد جاد المولى بك وآخرون المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، ب.ط، ج 1، ص: 222.

4- ينظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 95.

كما يستعمل سيبويه مصطلح الإتباع في صيغة الفعل في سياق حديثه عن كسر ضمير المخاطبين، يقول:« وقال ناس من بكر بن وائل: من أحْلَامِكِم، و بِكِم، شبهها بالهاء لأنها عَلَم إضمار، وقد وقعت بعد الكسرة، فاتبع الكسرة الكسرة، حين كان حرف إضمار وكان أخف عليه أن يضم بعد أن يكسر و هي رديئة جدا»[1]. ورغم أنه يصف هذه اللهجة التي نسبها إلى بكر بن وائل بالرديئة جدا فإنَّه يُعَلِّل هذا الاتباع بأنه أخف على اللسان من الانتقال من كسرة إلى ضمة إذ قال " **اتبع الكسرة كسرة** " فَنَصَّ صراحة على أن هذه اللهجة لون من ألوان الإتباع أو الانسجام الحركي يهدف إلى التقليل من الجهد العضلي، وذلك بجعل الحركتين متماثلتين تماثلا تقدميا.

وتسمى هذه الظاهرة باسم " **الوَكْم**" يقول السيوطي:« ومن ذلك الوَكْم في لغة ربيعة و هم قوم من كلب يقولون عليكِم وبِكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة»[2]. ومن معاني الوَكْم الرد الشديد يقول ابن منظور (ت711هـ) : «وَكَمَ الرَّجل وَكْما: ردَّهُ عن حاجته اشَدّ الرد»[3] ولعل التسمية جاءت من هذا المعنى لأن أصحاب هذه اللهجة يَرُدُّون الضم إلى الكسر.

ومن صور الإتباع عند سيبويه ما ذكره عن كسر ضمير الغائب المفرد لما قبله من كسرة أو ياء يقول : « اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو. لأنها في الكلام كله هكذا، إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك، وليس يمنعهم ما أذكر لك أيضا من أن يخرجوها على الأصل، فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء لأنها خفية، كما أن الياء خفية، وهي من حروف الزيادة، كما أن الياء من حروف الزيادة،و هي من موضع الألف و هي أشبه الحروف بالياء، فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء،

1- كتاب سيبويه، ج 4 ص: 197.
2- المزهر في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، ج 1، ص: 222.
3- لسان العرب، مادة (و ك م)، ج15، ص: 273.

وقلبوا الواو ياء، لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو: كلاب وعابد وذلك قولك: مررت بِــهِــي قبل، ولديهِــي مال، ومررت بدارِهِــي قبل، وأهل الحجاز يقولون: مررت بــهُــو قبل، ولديهُــو مال، ويقرءون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهُــو وَبِدَارِهُــو الأَرْضَ﴾[1] »[2] فسيبويه يعتبر أن الأصل في ضمير الغائب أن تعقبه ضمة طويلة، وهو يتحدث دائما عن الواو في هذا الصدد كما لَوْ كان الضمير مكونا من هاء تليها واو، وحدد المواضع التي كسرت فيها هذه الهاء و ذلك إذا كان قبلها ياء أو كسرة، فهذا تأثير مقبل.

ومن مظاهر الإتباع عنده ما ذكره عن كسر الفاء لكسر العين يقول:« وفي فَعِيل لغتان فَعِيل و فِعِيل إذا كان الثاني من الحروف الستة[3] مطرد ذلك فيهما لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل، إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لِــئِيم و شِهِيد، وسِعِيد، ونِحِيف، ورِغِيف... و إنما كان هذا في هذه الحروف، لان هذه الحروف قد فَعَلْت في يَفْعَل ما ذكرت لك حيث كانت لامات من فتح العين، و لم تفتح هي أنفسها هنا لأنه ليس في الكلام فعِيل، وكراهية أن يلتبس فعل بفعل فيخرج من هذه الحروف فَعِل، فلزمها الكسر ههنا وكانت أقرب الأشياء إلى الفتح وكان من الحروف التي تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك»[4].

1- سورة القصص الآية: 81.

2- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 195.

3- يعني حروف الحلق.

4- السابق، ج 4، ص: 107 و 108.

فسيبويه يشير في هذا النص إلى أن الانسجام الصوتي وسيلة من وسائل تيسير النطق، هذا ووضّحه عندما ذهب إلى أن بعض العرب[1] تكسر فاء الفعل لكسرة عينه في "**فعِيل**"، وهو تأثر رجعي، وإنما دعاهم إلى ذلك دفعا لمشقة الانتقال من فتح إلى كسر، أو من علو إلى انحدار، لأن أصوات الحلق هي أقصى الحروف مخرجا، وأبعدها في جهاز التصويت، والانتقال بالفتح في حروف من حروف الفم، أو الشفتين إلى الكسر في حرف من حروف الحلق مبعث صعوبة غير يسيرة، فتبعت حركة الفاء حركة العين توخيا للاقتصاد في الجهد العضلي وتحقيقا للانسجام الصوتي، وهو ما عَبَّر عنه بقوله: ‹‹فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد››[2].

ينعت بعض الدارسيـــن المحدثيـــن عملية إتبـــاع حركة الفـــاء لحركة العين بِ:" **مشاكلة التهيؤ**"[3]، وكأن الفاء تتهيأ لكسر العين، و قد نحس بذلك و نحن نردد الصيغة أكثر من مرة لأن اللسان تحدوه رغبة في أن يتخلص من فتح الفاء خاصة في صيغة فعيل التي تعقب فيها كسرة الياء العين وهي كسرة طويلة، فليس غريبا أن نجد تميما تميل إلى كسر الفاء اتباعا للعين، و لا يتنافى هذا العزو من أن الاتباع أو الانسجام الصوتي ميزة من ميزات اللهجات البدوية، وأثر من آثار السرعة في الكلام.

تتضح دلالة مصطلح الإتباع عند ابن جني في سياق حديثه عن مماثلة فتحة العين في المضارع من جنس حرف الحلق مما عينه أو لامه صوتا من أصوات الحلق نحو: سَأَلَ

1- صرح سيبويه بأن الذين مالوا إلى هذا الاتباع هم تميم، و أضاف غيرهم إلى تميم من جاورهم من سكان نجد و كذلك قيس وأسد يقول صاحب اللسان: ‹‹ لغة تميم شهد بكسر الشين يكسرون فعيلا في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحلق، و كذلك سفلى مضر يقولون فعيلا أي بالكسر، قال و لغة شنعاء يكسرون كل فعيل›› لسان العرب ابن منظور مادة (ش هـــ د)

2- كتاب سيبويه، ج 4 ص: 108.

3- ينظر: الامالة في القراءات و اللهجات العربية، د. عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، 1391هـــ 1971م، ط 2 ،ص: 255

يَسْأَلُ و قَرَأَ يَقْرَأُ وسَعَرَ يَسْعَرُ و قَرَعَ يَقْرَعُ و سَحَلَ يَسْحَلُ و سَبَحَ يَسْبَحُ [1]، ويعلل هذا الإتباع، مستخدما لفظ المضارعة في أن الألف من أصوات الحلق، فالعرب فضلت عين المضارع حركة من مخرجها: « وذلك أنهم **ضارعوا** بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة » [2] ذلك أن صفة الفتحة هي الانفتاح، وهناك علاقة بين جرس الفتحة و مخرج حروف الحلق، والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة ومن هذه الصفة أخذت إسمها [3].

الظاهر أن **ابن جني** قد اقتبس هذا الاتباع من **سيبويه** الذي أشار إلى ظاهرة فتح عين المضارع مما عينه أو لامه حرف حلقي في باب أسماه : « هذا باب ما يكون يفعل من فعل فيه مفتوحا وذلك إذا كانت الهمزة أو الهاء أو العين أو الحاء أو الغين أو الخاء لاما أو عينا...» [4] وقد حاول سيبويه تفسير هذا الإتباع صوتيا فقال: « و إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحروف الذي في حيزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء و الواو» [5] فالأصوات الحلقية تنحو بأجراس الحركات المجاورة لها نحو الفتحة وسبب الميل إلى الفتحة أن اللسان في نطق الحروف الحلقية يجذب إلى الوراء مع بسط وتسطيح له.

وقد عَلَّل عبده الراجحي الظاهرة فقال: « والتفسير العلمي لهذه الظاهرة أن تحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه، إذ أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من

1- ينظر: الخصائص لابن جني ج 2 ص: 143.
2- السابق، ج 2، ص: 143.
3- ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات، الطيب البكوش، ص: 50.
4-كتاب سيبويه، ج 4، ص: 101.
5- السابق،ج4، ص:101.

مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، و لهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وهي تلك الفتحة»[1]. واهتمام اللغويين العرب القدامى بهذه الظاهرة لها ما يبررها في القوانين الصوتية الحديثة، ذلك أن التجارب أكدت ارتباطا وثيقا بين النطق بحروف الحلق والفتحة، لأن الأصوات الحلقية تناسب في الغالب وضعا خاصا للسان يتفق مع ما نعرفه من وضعه مع الفتحة[2] فآلية النطق ذاتها هي التي تستدعي الفتحة في أثناء نطق الأصوات الحلقية.

ومن النصوص التي استثمر فيها ابن جني الاتباع ما ذكره من أن بعض العرب تؤثر الضم على الكسر في مثل قولهم: "الحَمْدُ لُـــلّـــه"[3] فقد ضم لُـــلّـــه اتباعا لحركة الدال وهذا تأثير تقدمي و ذلك بغية توحيد حركات النطق تحقيقا للانسجام الصوتي واختزالا للمجهود العضلي، وإن كان آخرون يكسرون صوت الدال في: " الحَمْدِ لِـــلّـــه" [4] إتباعا لكسرة اللام، وهو لون من التماثل الرجعي.

إن الإتباع ضرب من ضروب تأثر الصوائت المتجاورة بعضها ببعض، ومظهر من مظاهر الانسجام الأصواتي، وأثر من آثار السرعة في الكلام في لهجات القبائل العربية كتميم وبكر بن وائل وأسد وطيئ...وجميعها من القبائل البدوية، مما يجعلنا نذهب إلى الظن بميل لهجة القبائل البدوية عموما إلى الكسر[5].

1 – اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الاسكندرية، 1999، ص: 113، 114.

2– ينظر من أسرار اللغة إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،الطبعة الخامسة، 1975.ص: 50

3– ينظر: الخصائص، ابن جني، ج 2، ص: 145.

4– ينظر: السابق، ج2، ص: 145.

5 – ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه، صالحة راشد غنيم آل غنيم، ص: 121.

نخلص مما سبق أنّ اللغويين العرب القدامىلم يعالجوا ظاهرة المماثلة معالجة شاملة مستقرة، بل كانت جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة، منها ما كان مبثوثا ضمن بحوثهم لظواهر الإبدال والإعلال والإمالة وغيرها من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية، كما أنهم لم يستقروا على مصطلح مقيد لهذه الظاهرة، بل راحوا ينعتوها بجملة من التسميات منها المضارعة والمشاكلة والتقريب والمجانسة والإدغام والإمالة والإتباع وغيرها.

الفصل الثالث

المماثلة في الدرس الصوتي الحديث

إن معالجة علماء الأصوات المحدثين لظاهرة المماثلة الصوتية لا تبتعد كثيرا عن تلك الدراسات التي قيّد بها النحاة القدامى، واللغويُون العرب، ولعلّ الخلاف الموجود بين الفريقين يتمثل في دقة المصطلح وماهيته، أي يبرز حول المصطلح التراثي، والمصطلح الحديث.

إذا كان اللغويون العرب القدامى لم يعالجوا مسائل هذه الظاهرة معالجة مستقلة في ضوء منهج واضح المعالم، فكانت جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة، وبتسميات مختلفة، فيدخل بذلك في مفهومها الإبدال والقلب والإعلال والإمالة والإتباع والإدغام، وغير ذلك، فكيف تناول اللسانيون المحدثون هذه الظاهرة؟.

إذا توغلنا إلى حقل الدراسات الصوتية الحديثة قصد التعرف على مدلول المماثلة ومصطلحاتها، ندرك من أنها تعالج تأثير الأصوات المتجاورة في الكلمات والجمل، وميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعًا إلى الانسجام واقتصادًا في الجهد الذي يبذله المتكلّم [1].لأن الأصوات في أي لغة من اللغات تتأثر بعضها ببعض في البيئة خلال عملية النطق مما يؤدي إلى تغيير مخارج بعضها، أو صفاتها لكي تتفق في المخرج، أو في الصفة مع الأصوات المجاورة فيحدث ذلك نوعًا من الانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات [2].

ففي معجم اللسانيات الحديثة تعني المماثلة« تغيير الصوت ليصبح أكثر تماثلا مع صوت آخر يجاوره، ويهدف المتكلم منها إلى تسهيل النطق بالكلمات»[3]، أو هي تجانس أو تماثل يحدث بين صوتين في مخرجيهما أو في صفاتهما أو في مخرجيهما وصفاتهما

1 -ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1983 ص: 70.

2- ينظر: لحن العامة و التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 42.

3- معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد حنا و آخرون، ص: 9.

مَعًا، فهي ظاهرة أصواتية تنجم عن مقاربة صوت لصوت، فكلما إقترب صوت من صوت آخر، إقتراب كيفية أو مخرج حدثت مماثلة[1].

فإذا اقتضى أن اجتمع في الكلمة أو في الكلمتين المتجاورتين صوتان يختلف أحدهما عن الآخر، ويناقضه في صفة من صفاته أو في مخرجه كأن يكون الأول مجهورًا، والثاني مهموسًا، أو العكس، أو يكون مطبقا مفخما، والثاني منفتحًا مرققًا، أو يكون أحدهما شديد القرب في مخرجه من المخرج الثاني وغيرها، وَجَدَ المتكلم عُسْرًا ومشقة في تحقيقهما ومَالَ إلى التقريب بينهما توفيرًا للجهد وتحقيقًا للانسجام [2].

فالمماثلة عند المحدثين تطور يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضها من بعض، أو إدغامها بعضها في بعض لتحقيق الانسجام الصوتي [3]. وتيسيرًا لعملية النطق واقتصادا في الجهد العضلي[4]. فهي عندهم نزعة صوتية تنشأ بين حرفين أو حركتين من التشابه، والاتصاف بصفات صوتية متماثلة أو متقاربة تساعد على سهولة النطق في حالة تواليها إذا كان بينهما من المناقضة والمخالفة مما ينفر كلا منهما من الآخر، أو كانا متباعدي المخرج أومتماثلي المخرج لكن بينهما تناقضًا في الصفات، كل هذا نتيجة اللجوء إلى مجانسة أحدهما للآخر في صفاته، فكثيرا ما ينقلب المهموس إلى المجهور لتكون المجانسة قائمة [5].

---

1 - الصوت اللغوي في القرآن(05/10/05).
http://www.rafed.net/books/olom-quran/al-saut/index.html

2- الوجيز في فقه اللغة محمد الأنطاكي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، الطبعة الثانية، 2000م ، ص: 270.

3- الأزهري اللغوي صاحب معجم تهذيب اللغة و كتابه الزاهر، تأليف د. سميح ابو مغيلي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 1418هـ - 1998م، ص: 89.

4- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، مطبعة القاهرة الجديدة، ب.ط ، ب.ت، ص: 245.

5- ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د. أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1996، ص: 144.

1 - المماثلة عند اللغويين الغربيين:

اهتم علماء اللغة الغربيون بدراسة الظواهر التشكيلية كالمماثلة والمخالفة، فوقفوا على مدلولاتهما ورصدوا مظاهرهما المتنوعة، وقد حاولنا الوقوف في هذا المبحث على عينة من هؤلاء اللغويين.

أ- عند دانيال جونز Daniel Jones :

يُعَدُّ دَانْيَال جُونْز Daniel Jones من الذين تعرضوا لظاهرة المماثلة، وقد عَرّفها بأنها عملية إحلال صوت محلّ صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة، و يمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متتاليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما[1].

المماثلة بشكل عام تعبر عن تغييرات في النطق تقع في ظروف معينة، في نهاية أو بدايات الكلمات، أي في حدود الكلمات عندما توجد في كلام متصل أو في مركبات، حيث يرى جونز Jones أن المماثلات بعامّة ليست قهرية في كثير من اللغات بما في ذلك الانكليزية، فقد يتجنب المتكلم القيام بها إذا ما رغب في ذلك بهدف التقليل من عدد الحركات والتعديلات التي تؤديها الأعضاء المنتجة للكلام حين الانتقال من كلمة إلى أخرى، فهي تولد قدرًا من الاقتصاد في الجهد بنطق سلسة من الكلمات سواء أكانت تقدمية أم رجعية[2]. وقد تتسع لتشمل الحالات التي فيها فناء أحد الصوتين في الآخر

---

1 – An outline of english phonetics, Daniel jones, w. heffer sons LTD combridge englend, 9 th edition ,1972, p : 217.

2-السابق، ص: 228.

بحيث يؤلفان صوتًا واحدًا و يسمى هذا النوع ب"Coalescent assimiliation" (1) الذي يقابل الإدغام في الدرس الصوتي العربي .

ومن بين الأمثلة التي يضربها عن هذا النوع تطور السين [s] إلى شين [sh] عندما يتجاوز اللفظان (shoe وhorse) على النحو التالي (horse-shoe) (2)

ب- عند بَرْتِيل مالَمْبرج (Bertil Malemberg) :

بَيَّنَ "مَالَمْبرج Malemberg" أن المماثلة سبيل من السُّبل التي يلجأ إليها المتكلم لتجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها كليّة لإحداث الأثر الأكوستيكي المرجو وتحقيق أكبر أثر بأقل جهد ممكن (3).

ويقدّم أمثلة عنها من الانجليزية، فيذكر المركب (At-ten) الذي لا ينطق التاء فيه الأولى نطقا كاملاً، أي بغلق متبوع، لما في ذلك من إجهاد زائد عن الحاجة، بمعنى فتح مجرى الهواء أوّلاً، ثم غلقه ثانية للتاء [t] الثانية المشابهة للتاء الأولى ممّا يترتب عنه غلق طويل الأمد، وبهذه الكيفية يتمكن من الاستغناء على حركتين نطقيتين : الفتح للتاء الأولى [t] و الغلق للتاء الثانية، أما في حالة نطق (at-down) فقد فعل الناطق الشيء نفسه في تحقيقه لصوتي [t.d] مع فارق واحد هو أنه في منتصف حركة الغلق يبدأ الوتران الصوتيان في التذبذب والحركة لأن الصوت [d] مجهور، وبالتالي تقتضي هذه العملية غلقًا واحدًا بينما حدث عكس ذلك في لفظ (Bad taste) عندما يسبق الصامت المجهور الصامت المهموس(4) بينما في حالة عنقود(cluster) مكون من ساكنيين أنفيين:

1- السابق، ص 228.

2- السابق، ص: 218.

3- ينظر: الصوتيات برتيل مالمبرج، ترجمة حلمي هليل، ص: 111، 112.

4- السابق ص: 112.

(come now, in may) يبقى الممر المؤدي إلى الأنف مفتوحا طوال الوقت الذي يتطلبه نطق الساكنين الأنفيين، وبذلك يستغني المتكلم عن مجهود القيام بأداء حركة واحدة مرتين على التوالي، وهو مجهود لا جدوى منه في هذه الحالة(1).

ج – عند مُورِيس غرامون (Maurice grammont):

حدّد **مُورِيس غْرامون Maurice grammont** المماثلة بأنها: « تغير صوتي عند تحويل حرف عن مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر لغرض الانسجام الصوتي»(2) وقد تحدث عن المماثلة الرجعية **Assimilation régressive**، وهي التي يؤثر فيها الحرف الثاني في الحرف الأول، فيمنحه خصائصه الصوتية كلها، أو بعضها، وتحدث عن المماثلة التقدمية **progressive Assimilation** وهي التي يؤثر فيها الحرف الأوّل في الثاني، و قال إن النوع الأوّل أكثر شيوعا، والنوع الأخير قليل الحدوث في اللغات الأوربية، وقد يحدث النوعان في اللغة الواحدة (3).

وقد علّل أسباب حدوث المماثلة بأن هناك صَوْتًا يُسَيْطِرُ على صوت آخر، وأن الحركة تتم في اتجاه، أو في آخر ما إذا كان الصوت المسيطر مَوْجُودًا في الأمام، أو في الخلف ولا شك أن الصوت المؤثر هو ذلك الذي تتوافر فيه صفات، أن يكون أكثر قوّة أو أكثر مقاومة أو أكثر استقرارًا أو أكثر امتيازًا، وإنما تتحدد هذه الصفات سلفا طبقًا لنظام اللغة (4).

1- السابق، ص: 112.

2 -Traite de phonetique ,maurice grammont, librairie de la grave, Paris , 1971 – 9eme edition, p : 185.

3-السابق، ص: 185.

4-السابق ص185.

يُفْهَمُ من كلام **موريس غرامون Maurice grammont** الصفات التي تجعل صوتًا معنيًا أقوى من غيره، و جعلها منحصرة في القوة والمقاومة والاستقرار والامتياز، ثم لخصها جميعًا في كلمة القوة. فهو يجعل موقعية الصوت أحد عوامل قوته[1] فقد تحدّث عن تأثير الأصوات الصامتة بعضها في بعض ومثّـــــل لذلك بكلمة **(bec)** التي تنتهي بكاف انفجارية مهموسة، و لكن حين تلاها صوت الدال في عبارة **(Bec de lièvre)** نتج عن التقاء الصوتين تأثير الكاف بالدال في الجهر، وفسر ذلك بأن حرف الدال **(d)** أكثر قوة من حرف **(c)** بحكم وضعه فهو في موقع قوّة لأنه يشكل بداية مقطع في حين صوت **(c)** في وضع ضعيف، لأنه يشكل نهاية مقطع بالإضافة إلى أنه مسبوق بحركة غير منبورة، وبذلك اهتمت عضلات النطق بإصدار صوت **(d)** و لم تهتم بإصدار صوت **(c)** فنتجت عن ذلك إحدى الحركات النطقية التي أعدّت من أجل **(d)** وهي ذبذبة الحنجرة وقد احتلت مجال (c)، فهو يستبعد أن تكون لنفسية المتكلّم دخل في إحداث مثل هذا التأثير، بل يرجع ذلك إلى صفات يمتاز بها الصوت المؤثر دون غيره [2].

د- عند فندريس Vendrys :

نظر **فندريس Vendrys** إلى المماثلة على أنّها تشابه، وذلك عندما يستعير واحِد من صوتين منفصلين عُنْصُرًا أو أكثر من عناصر الآخر إلى حدّ الاختلاط به، أي أن هناك في الواقع حالة تعَجُّل، فالعقل باشتغاله بنطق صوت مَا داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه، وينتج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيها هذا الصوت[3].

---

1 -السابق، ص: 186.

2- السابق، ص: 186.

3- اللغة ،ص: 93- 94.

ويستبعد **فندريس** Vendrys أن تكون عناصر الكلمة الصوتية متساوية القيمة في داخلها، فمنها القوي ومنها الضعيف، ففي الأصوات الانفجارية يوجد فرق بين العنصر الانحباسي والعنصر الانفجاري، فالأول حسب رأيه أقل حساسية للسمع، لأن انطلاقه أقل صلابة من الثاني[1].

وفي هذا السياق يسوق أمثلة خاصّة عن المماثلة الرجعية فمجموعة (**اكْتَا** akta) فيها الكاف، وهي انحباسية أقل مقاومة من التاء الانفجارية، فيتخلى المتكلم عن تحقيق الحركات النطقية للكاف، فينتقل طرف لسانه منذ الاحتباس إلى موضع التاء t، فنحصل في النهاية على(**أتَّا**:atta) بتاء طويلة [2]. ثم بيّن أن هذه العملية قد وقعت في اللغة الإيطالية حيث نجد الكلمات اللاتينية (actus) اكتس و strictus سْترِكْتُس قد صارت (atta) (أتا) و(stretta) (سترتا) [3].

ه – عند مَارْيُو بَايْ (Mario paï) :

المماثلة من منظور **مَارْيُوبَاي Mario paï** جعل الصوتين غير المتماثلين متماثلين ومثال ذلك (nd) في الهندية الأوربية الموجودة في الكلمة اللاتينية (spondeo)، فقد تغيرت في الجرمانية إلى (nn) وكذلك الكلمة الأنكلوسكسونية spannan التي هي الانكليزية span. و في الألمانية spannen و كلمة London التي ينطقها اللندنيون كما لو كانت lunnon و في الأمريكية المبتذلة تنطق كلمة wonderful كما لو كانت wunderful »[4].

1- اللغة، فندريس، ص: 92.

2-السابق، ص: 91.

3- السابق، ص: 91.

4 - أسس علم اللغة، ص: 147.

و- عند برجشتراسر Bergstrasser :

قابل **بِرجْشتراسر** Bergstrasser المماثلة بالإدغام في حالة اتساعها ونعتها بالتشابه يقول: « وهذا التشابه نظير لما سمَّاه قدماء العرب إدغاما»[1]، فالمماثلة عنده شاملة لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما مهما يكن مبلغه، وعلى هذا الأساس فالمماثلة والإدغام يجتمعان في حالة التفاعل الصوتي، غير أن الإدغام ينفرد بحالة التّضعيف: « ذلك أن معنى الإدغام اتحاد الحرفين في حرف واحد مشدّد تماثلا أو اختلفا نحْو " **أمَنَّا** " و " **ادَّعى** " أمّا **امَنَّا** فالنون المشدّدة نشأت عن نونين أولهما لام الفعل والثانيـــة الضمير فاتحادهما إدغام وليس بتشابه وأمّا " **ادّعى**" فأصل الدال المشدّدة دال وتاء ، الدال فاء الفعل، والتاء تاء الافتعال قلبت دَالاً فهذا إدغام وهو تشابه أيضًا »[2].

يفهم من كلام برجشتراسر Bergstrasser أن المماثلة أعم من حيث كانت شاملة لكل حالات التأثر، في حين أن الإدغام يقتصر على حالة الاندماج الصوتي الكامل، إذ يفقد الصوت المتأثر وجوده فقدانا كاملاً، كما أنه شامل لحالة التضعيف التي أشار إليها سابقًا.

وقد تكون المماثلة جزئية، وذلك إذا تشابه الحرفان و لم يَتطَابَقَا وقد سَاقَ أمثلة عن ذلك منها "**اضْطَجَع**" و"**ازْدَجَر**" فالطاء والدال أصلهما تاء فقلبت إلى طاء لتشابه الضد في اضطجع و إلى دال لتشابه الزاي في ازدجر فهذا تشابه وليس إدغام[3].

1- التطور النحوي، ص: 29.

2- السابق، ص:29.

3- السابق ص:29.

2 - المماثلة في الدرس الصوتي العربي الحديث:

اختلف اللسانيــون العرب المحدثــون في تحديــد مصطلح المماثلة، فإذا كان "**علي عبد الواحد وافي**" قد استعمل مصطلح **التشاكل** للدلالة على لفظ المماثلة، وهو ترجمة المصطلح الأوربي "**Assimilation**" الذي يشمل التفاعل بين صوتين متجاورين حيث يقول: « وتارة يتحول أحدهما إلى صوت من نوع الصوت الآخر، ظاهرة التشاكل فيتحول الأول إلى نوع الصوت الثاني »[1]، فإن **أحمد علم الدين الجندي** قد وظّف مصطلح **التشابه**، ويرى أن أصوات الكلمة الواحدة تتأثر وتتفاعل بعضها مع بعض، هادفة إلى التخفيف من بعض القيود النطقية بهدف تحقيق الانسجام بين الأصوات تيسيرًا لعملية النطق واقتصادا في الجهد العضلي[2]. يقول : « لا شك أن هذا التشابه يحدث مع توالي الزمن عبر التاريخ اللغوي، ويرجع إلى قوّة ذاتية في الصوت يجعله أن يحول مجاوره إلى مثله، لأن الحرف القوي له تأثير في الضعيف، إذ يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلي ويحوله إلى حرف أقرب ما يكون منه »[3].

أمَّا **كريم زكي حُسَام الدين** فقد أطلق على المماثلة مصطلح "**التَحْيِيد**" وقال عنه « هو تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيمًا واحدًا في سياق صوتي معين، أو بعبارة أخرى : إلغاء أو محو لفونيم معيّن نتيجة لتفاعله مع فونيم آخر، يختلف معه في ملمح صوتي واحد على الأقل، ويكون الفونيم الجديد الناتج عن عملية التحييد صورة جديدة أو وَسَطًا بين الفونيمين المحول عنه و المحول إليه نتيجة عملية المماثلة »[4].

1- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 273.

2- ينظر: اللهجات العربية في التراث، ص: 348.

3- السابق: 349

4- أصول تراثية في علم اللغة، د. زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1985، ص: 191، 192.

ومن اللغويين العرب المحدثين الذين آثروا استعمال مصطلح **المماثلة** أو أحد مشتقاها "**عَبْد الغَفَّار حامد هلال**"، الذي يقول: « فإذا كان النطق بالمتجاورين أمْرًا صعبًا يستلزم جهدًا كبيرًا لجأ صاحب اللغة إلى الطريق المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتيا، ويسمى ذلك بالمماثلة »[1]. وقد تعرض إلى درجات التأثر، وبَيَّن أن تأثير الصوت اللغوي بما يجاوره واقع في اللغة العربية قديمها وحديثها، وهو متفاوت الدرجة، فلا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس، أو يفنى في الصوت المجاور، فلا يترك له أثرًا كانقلاب النون الساكنة ميما إذا وليها باء، و تحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما في **عَمْبَر** و **شَمْبَاء**، **واصْطَبَر** و **اطَّلَع** و **اظْطَلَم**[2].

خصَّصَ "**إبراهيم أنيس**" في كتابه الأصوات اللغوية فصْلاً سَمّاه **المماثلة**، وكتب بعده مباشرة لفظ " **Assimilation**" للتدليل على أن مصطلح المماثلة هو ترجمة للفظ "Assimilation " في الدرس اللغوي الأوربي الحديث [3]، وإن كان قد آثر في كتابه: "في اللهجات العربية" تسمية الظاهرة **بالإدغام** يقول: « نؤثر هنا استعمال هذا الاصطلاح القديم ونعني به ما يشير إليه المحدثون من تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاوز، و يُسَمِّي المحدثون هذه الظاهرة اللغوية Assimilation، ولقد أطْلَقْتُ عليها في كتاب الأصوات اللغوية كلمة "المماثلة" لأن شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة فإذا اجتمع صوتان متماثلان كل المماثلة أو بعضها

1- أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ 1996م، ص: 230.
2- ينظر: اللهجات العربية: نشأة و تطورا، د. عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، 1418هـ 1998م، ص: 110.
3- ينظر: الأصوات اللغوية، ص: 179.

ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيرا تختلف نسبته تبعا للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات»[1].

وفي سياق حديثه عن مجاورة الأصوات بيَّن أنّها تتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، وأن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر،ومن لغة لأخرى، وهذا بهدف المماثلة أو المشابهة ليزداد مع مجاورتها قربها من الصفات أو المخارج، و يمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه، كما أشار إلى أن اللغة العربية في تطورها إلى لهجات مالت مَيْلاً كبيرًا إلى تأثر أصوات الكلام بعضها ببعض، وأن هناك ظواهر مختلفة لمثل هذا التأثر تحكمها قوانين خاصة، أدت إلى تطور في النطق ببعض أصوات اللغة الفصيحة، مُلَمّحًا إلى تفطن القُرَّاء والنُحَّاة منذ القديم إلى هذه التغييرات التي تحدث لبعض أصوات اللغة الفصيحة في أثناء النطق، الذين خَشوا أن يصيب النطق الفصيح، والنطق القرآني شيئًا من هذا التغيير الصوتي فعنوا بوضع قوانين صوتية خاصة بتأثر الأصوات في أثناء النطق وتفسيرها وتعليل ذلك التغير [2].

وفي حديثه عن تطور الأصوات، وتأثرها بعضها ببعض، بيّن أنه قد يتجاور صوتان لغويان، فيتأثر الأوّل منهما بالثاني، واصْطلح على تسمية هذا النوع من التأثر بالرجعي régressive وأحيانا يتأثر الصوت الثاني بالأول ونعته بالتأثر التقدمي progressive [3].

1- في اللهجات العربية، ص: 70.
2- ينظر:الأصوات اللغوية، ص: 180.
3 – السابق، ص: 181.

وقد ضرب أمثلة عن التأثر التقدمي، منها صياغة " **افْتَعل** " من: "**دَعَا**" و"**ذَكَر**" و"**زَادَ**" هي في الأصل: "**اتْدَعَى**" "**اذْتَكَر**" "**ازْتَاد**"، إذ اجتمع في هذه الأمثلة صوتان متجاوران الأول منهما مجهور، أي الدال والذال و الزاي على التوالي، والثاني مهموس أي التاء فتأثر الثاني بالأول و انقلب إلى صوت مجهور هو الدال

ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

ادْتَعَى ← ادَّعَى ⇐ د+ت ⇐ دد

اذْتَكَرَ ← اذْدَكَرَ ⇐ ذ+ت ⇐ ذد ثم أصبحت الصيغة **اذّكر**

ازْتَادَ ←ازْدَادَ ⇐ ز+ت ⇐ زد ثم تحولت الصيغة **ازّاد** [1]

كما تحدث عن درجات التأثر بين الأصوات المتجاورة من حيث الجهر والهمس ومن حيث الشدّة والرخاوة أو العكس، وكذلك انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر يقول: « فإذا انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك استبدل بها الكاف التي تشركها في الهمس والشدّة، وقد روى النحاة أنَّ " عصيت " أصبحت " عصيكا " في بعض اللهجات العربية القديمة »[2]. وهذا التأثر لا يقتصر على الأصوات الساكنة فقد يكون في أصوات اللين، وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين vowel hormony [3].

---

1 - السابق، ص: 182.

2- السابق ص: 186.

3- السابق، ص: 183.

وقد خَصّص قسما في فصل المماثلة سمّاه الإدغام بيّن فيه أنّه قد يترتب عن تجاور صوتين متجانسين، أو متقاربين أنّ أحدهما يفنى في الآخر، وهو ما اصطلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام [1].

يُفهم من عموم أقواله أنّ مفهوم الإدغام عنده يمثل جزءاً من مفهوم المماثلة كمصطلح حديث فالمماثلة عنده أعم من مفهوم الإدغام الذي يشترط فيه فناء أحد الحرفين في الحرف الآخر فناء تامًّا بأن يمنحه كل خصائصه الصوتية.

ثم ختم هذا الفصل بكلام عنونه بإشارة سيبويه إلى ظاهرة المماثلة الذي تناول في أكثر من موضع من كتابه ما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، وسمى هذه الظاهرة بالمضارعة، كما سمّاها أيضا بالتقريب، وتناول كذلك ما سميناه بأقصى درجات التأثر بين المتجاورين أي الإدغام [2].

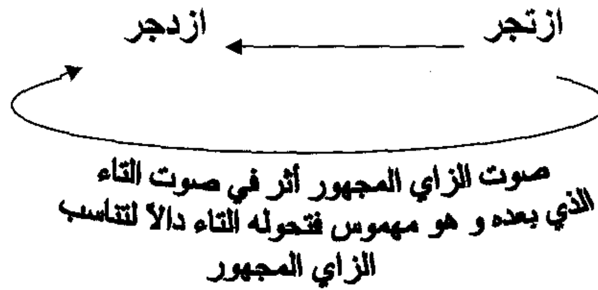
وخلص في الأخير إلى أن المماثلة تقرّب بين الأصوات المتجاورة في الصفة والمخرج، و قد يصل هذا التقريب بين الصوتين المتجاورين أن يصبحا متماثلين تمام التماثل وذلك بهدف تحقيق الانسجام الصوتي و الاقتصاد في الجهد العضلي [3].

يُعرِّف **أحمد مختار عمر** المماثلة بأنها: « التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته- ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى»[4]، ويُعَلِّل حركة ظاهرة المماثلة في

1- السابق، ص: 187.
2- السابق، ص: 204.
3- السابق، ص: 214.
4 - دراسة الصوت اللغوي، ص: 378.

المنظور اللساني بأنها تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق، و لا تلقى بالاً إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب الصوتين أو تطابقهما [1].

والمماثلة عنده إمّا أن تكون تقدمية progressive، وهي التي يكون التأثير فيها من الصوت السابق على الصوت الذي يليه مثل قلب تاء الافتعال دالاً بعد الزاي في :



أو تكون رجعية régressive، وهي التي يكون فيها التأثير من الصوت اللاحق على الصوت الذي يسبقه، فيتحول السابق إلى ما يناسب الصوت الذي يليه كتحول الواو في "**وَعَد** " إلى تاء لتناسب تاء افتعل حيث تبنى على هذا الوزن :

وَعَدَ ←——— **اوْتَعَدَ** ←——— **اتَّعَدَ**

والمماثلـــة في الحالتين السابقتين التقدمية و الرجعية تسمى **مماثلة تجاورية contact Assimiilation**، لأن الصوتين المؤثرين متجاوران، أمّا في حالة عدم تجاور الصوتين المؤثر والمتأثر، كالذي يحصل عندما تفخم السين في "**سِراط**" و"**مسَيْطر**" تحت تأثير الطاء المستعلية المفخمة فهذه المماثلة تسمى **مماثلة تباعدية Distant assimilation**

1 - السابق، ص: 386.

وقد تكون المماثلة جزئية و هذا حين لا يتطابق الصوت مع الآخر كما في **انْبَعَث** التي تتحول إلى **امْبَعَث** (1).

ن + ب ———————← م + ب

نطق النون ميما تحت تأثير الباء الشفوية

وقـــد تكون كليـــة حين يتطابق الصوتـــان فيؤدي ذلك إلى **المماثلـــة الكليـــة** **Complète Assimilation** كما في :

اذْتَكَرَ ——← اذْدَكَرَ ——← اذَّكَرَ

ذت ——← ذد ——← ذذ

جهرت التاء فيها تحت تأثير الذال ثم ادغمت الدال في الذال وهذا التأثير رجعي.

و كذلك في: **اتْطَيَّرَ ——← اطَّير** و **يَتْصَدَّقُ ——← يَصَّدَق** ،

واضْطَرَ ——← اطَّرَّ ، و **اخَذْتُم ——← اختُّم** و **عُدْتُ ——← عُتُّ**،

وعنده هذا النوع من التأثير كثير الشيوع في اللغة العربية(2).

قَدَّم **أحمد مختار عمر** تقسيما آخر للمماثلة من ناحية المخرج، والمماثلة من ناحية الكيفية، ولتوضيح النوعين استعان بالجدول التالي(3):

---

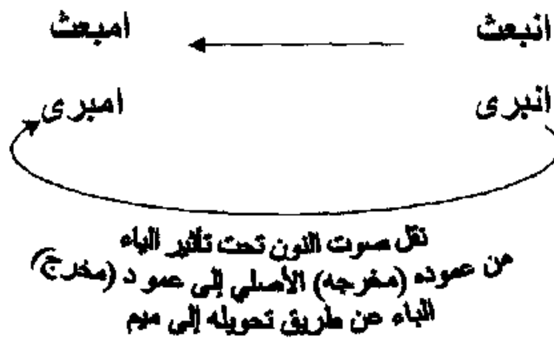
1 - السابق، ص:379.

2 - السابق، ص:388.

3- السابق، ص: 380.

المخرج 1	المخرج2	المخرج3	المخرج4	المخرج5
د	ذ	ج	ب	ن
ت	ث	ش	م	ل
س	ظ	ى	–	ر
ص	–	–	–	–

فإذا أدت المماثلة إلى إحضار الصوتين في عمود واحد كانت مماثلة في المخرج، ومَثَّل لذلك بالفعل **انْبَعَث** و**انْبَرَى**



وإذا لم ينقل الصوت من مخرجه فالمماثلة في الكيفية، أو في طريقة النطق كما في **سراط** المحولة إلى **صراط** تحت تأثير الطاء المفخمة [1].

1 -السابق، ص : 380.

كما تحدث **أحمد مختار عمر** عن نوع آخر من المماثلة كتلك التي تقع بين العلل والسواكن والنوع الشائع منها هو تأثير العلّة على الساكن، و هذا في حالة وقوع الساكن المهموس بين علتين. وقد يؤثر الساكن على العلّة، ومن أمثلته اتجاه العلة الأمامية إلى الخلفية بتأثير السواكن المفخمة، و مثال ذلك الكسرة في **طِبْ**، والفتحة في **صَبَرَ** تحت تأثير الطاء والصاد[1].

ويخلص في الأخير إلى أن المماثلة بشتى أنواعها تؤدي إلى تغيير ملحوظ في اللغة باعتبارها تطور يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضها ببعض، أو إدغامها وهذا تحقيقا للانسجام الصوتي [2].

تَعَرَّض "**عبد القادر عبد الجليل**" إلى هذه الظاهرة مستخدما المصطلح نفسه، أي "**المماثلة**" للدلالة على أنه ترجمة للفظ Assimilation [3]. وبَيَّن أنها أكثر الظواهر الصوتية رسوخا في بُنَى الصيغ العربية، وقد سجلت نسبة كبيرة من التحقيق خصوصا في جانبها التطوري إلى لـــهجات الكلام الحديث، وهي تدور على ألسنة المتحدّثين، يقول: « تسجل المماثلة الصوتية ظاهرة بيّنه الطالع في ميدان الدرس الصرفي الصوتي متخذة أشكالاً عدّة، وهي تدور على ألسنة المتحدّثين ويبدو أن الهدف الصوتي وراء هذه الظاهرة هو تحقيق نوع من التماثل الصوتي بغية التقارب في الصفة، و المخرج، اقتصادًا في الجهد العضلي المبذول »[4]. فمن خلال هذا التعريف نسجل ما يلي :

1- المماثلة ظاهرة تسجل في كل اللغات، وإنْ اختلفت في تحقيق نسب التأثر.

1- السابق، ص: 382- 383.

2- السابق، ص: 386.

3- ينظر : الأصوات اللغوية، ص: 283.

4 - علم الصرف الصوتي، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 146.

2- سجلت ظاهرة المماثلة في اللغة العربية نسبة كبيرة من التحقيق خصوصا في جانبها التطوري إلى لهجات الكلام الحديثة.

3- إن مجاورة الأصوات بعضها لبعض هو السرّ الكامن وراء ظاهرة المماثلة بهدف تحقيق نوع من التماثل أو التشابه، و اقتصادًا في الجهد العضلي المبذول.

و قد قسَّم **عبد القادر عبد الجليل** المماثلة إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

1- **التمـــاثل التقدمـــي** Progressive Assimilation : يتميز في كونه يبث من الصوت الأوّل إلى الصوت الثاني كما في صيغة **افْتَعَلَ** في: **"اصْطَبَرَ" "اضْطَرَبَ" "اظَّلَمَ" "اطَّلَعَ "**[1].

2- **التماثـــل الرجعـــي** Régressive assimilation : وهو الذي يبث من الصوت الثاني إلى الصوت الأوّل مثل تحويـــل فـــاء الافتعـــال إذا كان وَاوًا إلى تـــاء مثل **اتّعَد** من **وَعَدَ**[2].

3- **المماثلـــة التجاوريـــة** Contact assimilation: حين تكون الأصوات المتأثـــرة والمؤثـــرة متجـــاورة دون فاصـــل، وحين تتبـــاعد تسمى بالمماثلـــة التباعديـــة Distant assimilation كما يسمى التماثل الحادث في لفظ : سراط، صراط بالمماثلة الكيفية أي طريقة الأداء النطقي articulatory assimilation [3].

---

1 – ينظر: الأصوات اللغوية، ص: 286..

2 – ينظر: علم الصرف الصوتي، ص: 147، و الأصوات اللغوية، ص: 288.

3 – ينظر: علم الصرف الصوتي، ص:147.

3 - أنـواع المماثلـة:

المماثلة أنواع كثيرة، فإنْ أثَّر الصوت الأوّل في الثاني فالمماثلة حينئذ تَقَدُمية أو مُقْبِلة، وإن حدث العكس فالمماثلة رَجْعِية أو مُدْبِرة، وإنْ حدث تماثل كُلّي بين الصوتين المتجاورين فالمماثلة وقتئذ كُلّية، و إنْ كان التَأَثُّر في بعض خصائص الصوت فالمماثلة جزئية، وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصوتان مُتَّصِلين لا يفصل بينهما فاصل، ففي هذه الحالة تكون المماثلة مُتَّصِلة، وقد يفصل بينهما صائتٌ أو صامت فالمماثلة حينئذ منفصلة، وفيما يلي بيان لأنواع المماثلة.

أ- المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة:

وفيها يؤثــر الصوت الأول في الثاني، فيُقَرِّبــه إليه بأن يجعلــه يماثلــه في إحدى صفاته ويمثل علماء الأصوات لهذا النوع من المماثلة بطائفة من الأمثلة منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- تأثر تاء الافتعال بالأصوات المطبقة قبلها في صيغة "افتعل " فتقلبها إلى طاء في مثل :

ضَرَعَ ←اضْتَرَعَ ←اضْطَرَعَ ⇐ ض+ ت = ض ط

صَنَعَ ← اصْتَنَعَ ← اصْطَنَعَ ⇐ ص + ت = ص ط

طَلَعَ ←اطْتَلَعَ ← اطْطَلَعَ ⇐ ط + ت = ط ط

ظَهَرَ← اظْتَهَر ← اظْطَهَر ⇐ظ + ت = ظ ط

فالملاحظ في هذه النماذج أن مسار التأثير فيها انطلق من الصوت الأوّل باتجاه الصوت الثاني الذي يجاوره. والذي حدث هو مجاورة تاء الافتعال المنفتحة المستفلة

للأصوات المطبقة المستعلية، والانتقال من صوت مستعلي مطبق إلى صوت مُسْتَفِل منفتح فيه من الصعوبة ما فيه، إذ أنه يشبه الانحدار من أعلى إلى أسفل. وفي مثل هذه الأحوال تنشط القوانين الصوتية من خلال استدعاء عامل المماثلة الذي بواسطته يتم إشاعة الانسجام، وإبعاد التنافر بين الأصوات، فتعمد العربية إلى إبدال التاء طاء خضوعا لتأثير الضاد في "**اضْتَـــرع**" و الصاد في "**اصْتَنــــع**" و الطاء في "**اطْتَلـــع**" و الظاء في "**اظْتَهـــر**" لما لهذه الأصوات من صفات كالإطباق والاستعلاء والتفخيم، منحتها القـــوة و التأثير في التاء التالية لها [1].

2- تتأثر تاء الافتعال بالزاي أو الدال أو الذال قبلها فتصبح دالا نحو:

زَجَرَ ← ازْتَجَرَ ← ازْدَجَر ⇐ ز + ت = ز د

دَانَ ← ادْتَانَ ← ادْدَانَ (ادّان) ⇐ د + ت = د د

فهناك تباين صوتي بين الزاي و التاء في " **ازْتَجَر** " والدال و التاء في " **ادْتَـــان** " والذال والتاء في " **اذْتَكـــر**" فالتاء مهموسة، وهذه الأصوات (**الزاي، الدال، الذال**) مجهورة، فينبو اللســـان عن النطق السهـــل مما يدعو إلى تحقيق الانسجام الصوتي فقولنا:" **ازتجر**" و"**اتدان**" و"**اتْذَكر**" فيها ثقل على اللسان، وبالتالي تقلب تاء الافتعال دالا، فيتحقق الانسجام الصوتي [2].

ومن أمثلة جهر المهموس لاتصاله بالمجهور مباشرة جهر فونيم الجمع في الإنكليزية وهو" **S**" الذي يقابل السين العربية فانه إذا اتصل بصوت مجهور مباشرة يُجْهر بشكل

1- المدخل إلى علم الأصوات، صلاح الدين صالح حسنين، ص: 77 .

2 – أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، ص: 232.

آلي، فينطق زايا "z" فأل"S" في كل من: "tills" و "ribs" و "dogs " تنطق زايا "z" بينما تبقى مهموسة عند اتصالها بالصوامت المهموسة كما في" cats-rats[1].

3- تتأثـــر تاء الافتعـــال بصوت الجيـــم إذا كانت فاءً للفعـــل، فتقلب دالا في بعض اللهجات القديمـــة مثل:

- اجْتَمَعَ ← اجْدَمَعَ

- اجْتَـــزَ ← اجْـــدَزَ

يقول ابن جني: « وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات (اللهجات)، قالوا **اجدمعوا** في **اجتمعوا**، و **اجدز** في: **اجتز** وأنشدوا:

فقُلْت لصَاحِبِي لا تَحْبسَانِي بنَزْعِ أصُولِه و اجْدَزّ شيحا.

ولا يقـــاس ذلك إلا أن يسمـــع لا تقـــول في **اجْتَـــرَأ**: **اجْـــدَرَأ**، و لا في **اجْتـــرَحَ**، **اجْـــدَرَحَ** »[2].

ومن ذلك قول العرب في هذا الصدد **اجْدَبِيك** في موضع **اجْتَبِيك** يجعلون تاء الافتعال بعد الجيم دالاّ و يقولون **اجدمعوا**[3].

---

1 - Language bloomfield- 12th impression 1973- goerge allen and unwin l.t.d london p : 211-212.

2 – سر صناعة الإعراب، ابن جني ،ج 1، ص: 201.

3 – الصاحبي في فقه اللغة، ص: 71.

ب- المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة :

يكون ذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة بما قبلها من الأصوات غير المتصلة بها مباشرة، حيث يفصل بينهما فاصل و يتم التحول في ضوء القرابة المخرجية، أو الاتفاق في الصفة الصوتية ومن أمثلة ذلك:

1- تأثر الذال بالقاف قبلها، فتنقلب إلى نظيرها المفخم، وهو الظاء في بعض اللهجات العربية القديمة، يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت "**وَقِيذ**"[(1)] و" **وقيظ**" قال ابن جني: « والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عزّ اسمه **(والمَوْقُوذَة)** [(2)] بالذال،و لقوله **وقذه يقذه**، و لم أسمع **وقضه**، ولا **موقوضة** فالذال إذن أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هي الأصل »[(3)].

ولتوضيح الأمر أكثر ننطلق من معنى كلمة" **وقيظ** " في لسان العرب: « المثبت الذي لا يَقْدِر على النّهُوض كالوَقِيذ، عن كراع: أمّا الوقيظ فإنّ الليث ذكره في هذا الباب، قال: وزعموا أنه حوض ليس له أعضاد إلّا أنّه يجتمع فيه ماء كثير، قال أبو منصور: وهذا خطأ محض و تصحيف، و الصواب الوقط، بالطاء، وفي الحديث كان إذا نزل عليه الوحي وُقِط في رأسه أي أنه أدركه الثقل فوضع رأسه يقال ضربته فوقَطَه أي أثْقَلَه ويُرْوى بالظاء، بمعناه كأن الظاء فيه عاقبت الذال من وَقَذْت الرجل أَقِذُه إذا أثْخَنْتَهُ بالضرب، وفي حديث أبي سفيان، وأمية بن أبي الصلت قالت له هند عن النبي " صلى الله

1- ينظر لسان العرب مادة (و ق ذ)، ج 15، ص: 256.

2- سورة المائدة الآية رقم: 3.

3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ص: 228.

عليه و سلم " يزعُم أنه رسول اللّه، قال فَوَقَظَتْنِي ، قال ابن الأثير : قال أبو موسى : هكذا جَاءِ في الرواية، قال: وأظن الصواب فَوَقَذَتْنِي بالذال أي كَسَرَتْنِي و هَدَّتْنِي»[1].

فالذي حدث هنا تأثر الذال بالصوت المفخم قبلها وهو القاف، ففخمت. وتفخيم الذال يجعلها ظاء، فالقاف والغين والخاء، بالإضافة إلى الطاء والظاء والصاد والضاد هي الأصوات المفخمة في العربية، وهي التي يسميها النحاة واللغويون العرب القدامى بالأصوات المستعلية[2].

2– تقدم لنا اللهجات العامية أمثلة لا بأس بها عن هذا النوع، من ذلك ما ذكره الزبيدي من أن العامة على عهده كانت تقول في مْعَرْبد، مْعَرْبَض[3]، أي يفخمون الدال تحت تأثير الراء.

3– ذكر ابن مكي أنّ العامة في صقلية كانت تقول في المهراس مهراز [4]، إذ أثرت الراء المجهورة في السين المهموسة فقلبتها إلى إحدى صفاتها، وهي الجهر للمجانسة والتيسير في النطق [5]، و منها قولهم: « هذا نبيذ قارص، و لبن قارص، أي يقرص اللسان، والصواب القارس وأخذه قصْرًا و الصواب قَسْرًا، و القاف من الحروف المستعلية كالصاد ... فلعلهم أبدلوا من السين صَادًا لتوافق بالاستعلاء الذي قبلها استعلاء القاف قبلها » [6].

1- لسان العرب ابن منظور مادة (و ق ظ)،ج15، ص: 260.

2- ينظر: كتاب سيبويه، ج 4، ص: 478.

3- لحن العامة للزبيدي ،تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة، الطبعة الثانية 1981ص: 2.

4- تثقيف اللسان و تلقيح الجنان، ص: 85.

5- ينظر التطور اللغوي، مظاهره و علله و قوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 27- 28.

6- نصوص في فقه اللغة العربية، يعقوب بكر، دار النهضة العربية، د.ط د.ت، ص:127.

هذا النوع من المماثلة يوجد في كثير من اللغات الأخرى كالفرنسية حين يُؤَثر الجيم في السين في كلمة (jusque) ، فيجعله يماثله، يقول برتيل مالبرج Bertil malamberg: « ينطق بعض الفرنسيين كلمة (jusque) بالشين بدلا من السين، إننا بصدد تأثير السّاكن الأول الهشيشي أو الشين على الصفيري الذي تحوّل إلى ساكن هشيشي [الشين] و هذه هي حالة المماثلة المتباعدة »[1].

وفي الانجليزية تنطق لاحقة (ed) تاء [t] أو دالا [d] تأثرًا بالصامت سواء أكانَ الصوت الذي قبلها مجهورا أو مهموسا ، فإذا كان ما قبلها مهموسًا نطقت تاء [t] كما في الحال في (liked) التي تنطق (laikt) و إذا كان مجهورًا نطقت دالا [d] كما في الحال في [laved] التي تنطق [lavd] [2]

ج- المماثلة المقبلة الكلية المتّصلة:

وفيها يتأثر الصوت المعيّن بالصوت الذي قبله مباشرة، فيتحول إلى الصوت السابق، و يدغم فيه في صورة صوت واحد و الأمثلة على ذلك كثيرة منها:

1- مماثلة تاء "**افتعل**" بما قبلها إذا كانت فاؤها صادًا أو ضادًا أو طاء أو ظاء:

تتأثر تاء "**افتعل**" لما قبلها فتقلب طاء ثم تدغم في الصاد، فعند بناء " **افتعل**" من " **صَبَرَ**" نقول " **اصْتَبر**" فالناطق لهذه الصيغة يجد من الصعب على أعضاء جهاز نطقه أن تحقق صامتين متتاليين، أحدهما مطبق والثاني منفتح فتتحول التاء إلى نظيرها المطبق الطاء. يقول ابن يعيش: « كرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده و ينافيه، فابدلوا التاء طاءً لأنهما من مخرج واحد ... و في الطاء استعلاء و إطباق يوافق ما قبله ليجانس الصوت ،

1- الصوتيات، برتيل مالمبرج، ص: 119،118.

2- السابق، ص: 119.

ويكون العمل من وجه واحد ، فيكون أخف عليهم، و الغرض من ذلك كلّه تجانس الصوت وتقريب بعضه من بعض، و الملائمة بينهما»[1].

كما تتأثر الطاء بالصاد قبلها فتدغم فيها، قال سيبويه: « و أراد بعضهم الإدغام، حيث اجتمعت الصاد و الطاء، فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صَادًا فقالوا مصَّبَر»[2]، وقال ابن جني: « و من العرب من يبدل التاء على ما قبلها فيقول: اصَّبَر، ومصَّبر وقرأ بعض القراء:(**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا**)[3] يريد يفتعلا من الصلح»[4]

وتتأثر التاء بالضاد قبلها في " **اضْتَجَعَ** " فتتحول إلى طاء ثم تدغم الطاء في الضاد وذلك نحو قولهم : " **اضّجـــع** " والأصل " **اضتجـــع** " وقد ذكر ابن جني "اضَّرب" و"مُضَّرب" [5] وقـــال ابن يعيـــش: « وقالـــوا اضّرب واضّجـــع ويضَّرِبُ ويضّجع فهـــو مُضّرب ومضَّجع » [6].

تتأثر تاء الافتعال بالطاء قبلها فتصبح طاء مثلها ثم تدغم الطاء الثانية في الأولى، ففي بناء " **افتعل** " من " **طَلَب** " مثلا، الأصل فيها هو " **اطْتَلَب**" تأثر التاء بالطاء فقلبت إلى طاء فأصبحت الصيغة " **اطْطَلب** " ، ثم تحول إلى "**اطّلب**" وفق قانون المماثلة .

تتأثر الطاء بالظاء قبلها في " **اظْتغَـــن** " و" **اظْتلـــم** " فتتحول إلى طاء ثم تدغم الطاء في الظاء وذلك في قولنا " **اظْغن** " و " **اظَّلم** ".

1- شرح الملوكي في التصريف ابن يعيش تحقيق فخر الدين قباوة المكتبة العربية، حلب سوريا، ط1، 1973، ص: 317- 318.
2- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 467.
3- سورة النساء الآية رقم 128.
4- المنصف ،ج 2، ص: 327.
5- سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 223.
6- شرح المفصل، ج 10، ص: 149.

2- تأثير فاء الافتعال في تائه إذا كانت الفاء دالاً أو ذالاً أو زاياً من ذلك :

تأثر تاء الافتعال بالدال قبلها فتصبح دالاً نحو بناء "**افتعل**" من "**دان**" و"**دَعَا**" حيث نقول " **ادَّان**" و" **ادّعى**" والأصل" **اتْدان** " و"**اتْدعى**"، فتأثرت التاء بنظيرها المجهور الأقوى فأصبحت دالاً ثم أدغمت الدال في الدال .

تتحول التاء إلى نظيرها الدال المجهور تحت تأثير الذال، وذلك نحو "**اذْدَكَرَ**" والأصل "**اذْتَكَر**"، ثم تتحول الدال الشديدة إلى ذال رخوة تحت تأثير الذال الأولى، فتدغم فيها و على هذا الوجه تُفسّرُ قراءة الحسن (ت 110هـ): « **واذّكر بعد أمّة وهو مُذّكر**» [1] قال سيبويه: « ومن قال مُطّعن قال مُذّكر، وقد سمعناهم يقولون ذلك »[2]. وقال الفرّاء: « وبعض بني أسد يقولون مذّكر فيغلبون الذال فتصبح ذالا مُشدَّدَةً »[3].

تتأثر التاء بالزاي قبلها في " **ازْتَانَ** " فتتحول إلى نظيرها المجهور الدال تحت تأثير الزاي المجهورة، فتصبح الصيغة " **ازْدَان** " ثم تُدْغَم الدال في الزاي فنقول " **ازّان** " قال ابن جني: « وقالوا اصَّبَر في اصطبر و ازَّان في ازدان »[4]. وإنما تبدل في هذه الأمثلة تاء افتعل دالاً عندما تكون فاؤه دالاً أو ذالاً أو زايًا بغية التجانس الصوتي و فرارًا من تباينه من حيث أن الزاي والدّال و الذال أصوات مجهورة، بينما التاء صوت مهموس، فوافقت الدال بجهرها جهر الزاي والدال والذال ووقع العمل في ضرب واحد[5].

1- القراءات الشادة و توجيهها من لغة العرب، القاضي عبد الفتاح، القاهرة، 1952، ص: 55.
2- كتاب سيبويه، ج4 ص: 469.
3- معاني القرآن، ج 3 ص: 107.
4- سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 190.
5- ينظر: شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، ص: 322-323.

3- المماثلة بين أشباه الصوائت و الصوائت المجانسة لها : من أمثلة ذلك :

تأثير الياء في الواو التالية لها : ومن ذلك تصغير " **جَرْو** " فالبناء الصرفي يجب أن يكون "**جُرَيْوُ** " حيث نلاحظ التقاء ثلاثة أصوات متشابهة : الياء والواو وحركة الإعراب الضمّة، ممّا يشكّل صعوبة أثناء النطق. و للتخلص من هذا الثقل و تجاوزه قلبت الواو تحت تأثير الياء إلى ياء مماثلة لتصبح: " **جُرَيْيُ** " لتُصْبِح بعد الادغام **جُرَيٌّ** [1]، والشيء نفسه يقال عن تصغير " **عَصَا** " التي تتحول إلى " **عُصَيْوَة** " ثمّ **عُصَيَّة** بعد الادغام [2].

تأثير الكسرة في الواو التالية لها كما في "**ميعاد**" و "**ميزان**" و "**ميقات**" و"**ميلاد**" و"**الصيام**" التي أصلها على التوالي : "**مِوْعَاد**" و"**موزان**" و"**موقات**" و"**مِوْلاد**" و"**الصوام**"، إذ اجتمع في هذه الأمثلة صائت الكسرة الأمامي الضيق القصير مع صائت الواو الانتقالي الخلفي الضيق، مما سبب عُسْرًا في النطق بسبب اجتماع حركتين متناقضتين على اللسان الأولى بمقدمه و الثانية بمؤخره، ولتجنب هذا الثقل استبدلت الواو تحت تأثير الكسرة قبلها بما يناسبها و هو الياء ليصبح: **ميعاد وميزان وميلاد وميقات والصيام** ثم تحوّل الصائت الانتقالي إلى صائت قصير من جنسه مناسب أكثر للصائت قبله وهو الكسرة، فاجتمعت الكسرتان لتُكَوّنَانِ صائتا طويلاً هو الكسرة الطويلة في الكلمات في صيغها النهائية: **ميعاد "ميزان" "ميلاد" "ميقات" "الصيام"**[3].

1- ينظر: علم الصرف الصوتي، الطيب البكوش، ص: 419.

2- السابق، ص: 401.

3 - السابق، ص: 419.

د- المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة:

في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكن يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت، فيتحول إلى صوت مماثل بالصوت السابق. ولا نعثر في العربية الفصحى على أمثلة كافية على هذا النوع من المماثلة، مما يعطي انطباعا عاما بأن العربية لا تَسْتَسِيغ هذا النوع، و لا تميل إليه، و هذا ما يفسر ندرته و قلة شيوعه. و من ذلك :

1- تأثير صائت الكسر تأثيرًا كليا في حركة الضم للضمير المفرد المذكر الغائب و المثنى بنوعيه المذكر والمؤنث والجمع بنوعيه المذكر و المؤنث بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمة إلى كسرة و مثال ذلك :

- **المفرد المذكر** نحو: - بِرِجْلِهُ ← بِرِجْلِهِ ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُـ** إلى كسرة (**هِـ**) لتماثل كسرة اللام قبلها.

- فيهُ ← فيهِ ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُـ** إلى كسرة **هِـ** لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

- عَليهُ ← عَلَيْهِ ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُـ** إلى كسرة (**هِـ**) لتماثل الياء قبلها.

- **جمع المذكر** مثل: - بصَاحِبهُم ← بصاحِبِهم ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُم** إلى كسرة **هِم** لتماثل البَاء قبلها.

- قاضِيهُم ← قاضِيهِم ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُم** إلى كسرة **هِم** لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

- عَلَيهُم ← عَلَيْهِم ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُمْ** إلى الكسرة **هِم** لتماثل اليَاء قبلها.

- **جمع المؤنث** نحو: - هُن ← هِنَّ ⇐ تحولت الضمة في الضمير **هُنَّ** إلى كسرة **هِنَّ** لتماثل الكسرة قبلها

– **المثنى بنوعيه** : هُما ← هِمَا تحولت الضمة في الضمير **هُما** إلى كسرة **هِمَا** لتماثل اليَاء قبلها .

يقول **بروكلمان** Brockelman: « وتتحول الضمة القصيرة الخالصة " U" في ضمير النصب و الجر الغائب المفرد المذكر "hu" والجمع المذكر "hum" و المؤنث "hunna" والمثنى "huma" إلى كسرة قصيرة خالصة "i" أو الصوت المركب "ay" مثال :" riglihu " ← "riglihi" رجلِه kadihum، قاضيهُم← kadihim قاضيهِم alayhunna عليهُن alayhinna← عليهِن »[1].

قرأ أبو عمرو و ابن عامر ونافع وحمزة والكسائي و أبو بكر عن عاصم و أبو جعفر ويعقوب وخلف(**وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَان**) [2] بكسر الهاء وذلك لأن ما قبلها ياء فحَرَكَتُها من جنس ما قبلها[3].

وقد حافظت قراءة حفص عن عاصم على الضمة، ولم تحولها إلى كسرة (**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَان**) بضم الهاء مختلسة لأنّ الأصل في حركة الهاء الضم[4].

1- فقه اللغات السامية، بروكلمان ، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض، 1977، ج 1، ص: 64.
2- سورة الكهف الآية 63.
3- معجم القراءات، تأليف عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ج5، ص:255
4- السابق، ج5، ص: 255.

وفي قوله تعالى أيضا: (وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ)[1] قرأ حفص عن عاصم و الزهري و ابن محيصن و ابن أبي إسحاق في رواية "عَلَيْهُ " بضم الهاء على الأصل وتفخيم اللام من لفظ الجلالة[2]، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم و أبو جعفر وابن أبي إسحاق وخلف والحسن " عَلَيْهِ "بكسر الهاء [3].

كما حافظت القبائل الحِجازية على هذا الأصل في نطقها، يقول سيبويه: « وأهل الحجاز يقولون مَرَرْتُ بِهُو قبل، و لَدَيْهُو مَال، ويقرءون فَخَسَفْنَا بِهُو وبِدَارِ هُو الأرض »[4].

والذي دَعَا إلى هذا النوع من المماثلة أن اللسان يتعثر، و يجد صعوبة في الانتقال من الكسرة إلى الضمة، فتتدخل المماثلة لوضع التوازن باستبدال الضمة بصائت مماثل هو الكسرة، وذلك حتى يعمل اللسان في اتجاه واحد تيسيرًا للنطق لأن الجمع بين الضمة والكسرة عند العرب بناء ثقيل يأباه الذوق و تنفر منه السَّليقة، يقول الفرّاء : « يَسْتَثْقِلُون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة »[5] و يقول سيبويه في السياق نفسه: « كَرِهُوا في عُصِرَ الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا إنه بناء ليس في كلامهم إلاّ في هذا الموضع من الفعل» [6].

1- سورة الفتح الآية 10.
2- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ج9، ص: 48.
3- السابق، ج9، ص: 48.
4- كتاب سيبويه، ج 2، ص: 294.
5- معاني القرآن، ج 2، ص: 12.
6- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 114.

٥ – المماثلة المدبرة الجزئية المتّصلة :

يتم ذلك بأن يتأثــر الصوت بالصوت الذي يليــه مباشرة، فيتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو الصفــات. ومن أمثلة ذلك:

1- تتأثر الصاد الساكنة قبل الدال فتتحول إلى زاي و هذا ما نلاحظه في مثل قولنا "**مزدر**" في **مَصْدر**"، و"**التزدير**" في "**التصدير** " ونحوهما، فبعض القبائل العربية تقلب الصاد زايا، لما بين الصاد والدال من التنافر، فالصاد مهموسة والدال مجهورة، ويقتضي الانسجام جعلهما مَعًا مجهورين، فلمّا سكنت الصاد ضعفت به، وهي مهموسة فجاورت الدال، وهي مجهورة قربت منها بأن أشِمَّتْ شيئًا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر [(1)].

وقلب الصاد المهموسة زايًا تحت تأثير الدال المجهورة، هو في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض والانبساط في المزمار الذي يفتح مع المهموس ويضيق مع المجهور ليتذبذب الوتران الصوتيان [(2)].

2- تتأثر السين الساكنة بالدال بعدها فتجهر، أي تصبح زايًا، و من أمثلة ذلك :

أَسْدَلَ ← أَزْدَلَ

التَسْدِير ← التَزْدِير [(3)]

1- ينظر: المدخل إلى علم الأصوات، صلاح حسن حسنين، ص: 80.

2- ينظر: الخصائص، ابن جني، ج 2، ص: 144.

3- ينظر: كتاب سيبويه، ج 4، ص: 478.

3– تتأثر السين بالصوت المفخم بعدها، وذلك نحو "**اصطبل**" [1] وقد دخلت إلى العربية عبر الأرامية، فالأصل فيها هو السين، أمّا تفخيم السين في العربية، وفي الأرامية ISTABLA فهو بتأثير الطـاء التي نشأت في الآرامية بفضل إطبـاق التـاء في الصيغـة الأصليـة [2].

4- تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو الميم، إذ هو شفوي كالباء، و هو ما سمّاه علماء القراءات بالإقلاب في قوله تعالى : **(إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ)**[3] وفي قوله كذلك:(**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا**)[4].

و في : **من بعد ← ممـبْعد**

انبعث ← امـبـعث

عَنْبر ← عَمـبْر

مِنبر← مـمـبر

شَنباء ← شـمـباء

والتعليل الصوتي لهذه الظاهرة هو أن النون لثوية خيشومية، والباء شفوية، فالمخارج متباعدة، ثم إن النون بوصفها خيشومية تقتضي انخفاض الحنك اللين، وأما الباء بوصفها شديدة فتقتضي ارتفاع الحنك اللين،و الصعوبة تتابع هذين الصوتين، بسبب التباعد في المخارج والصفات كان الحلّ التسوية، هو المجيء بصوت يجمع في خصائصه ما

---

1 – هذه الكلمة وافدة من اللاتينية وأصلها" stabulum " ينظر: دراسات في فقه اللغة يعقوب بكر ، ص: 125.

2- ينظر: دراسات في فقه اللغة، يعقوب بكر ص: 125.

3- سورة البينة، الآية رقم: 04.

4- سورة الشمس، الآية رقم: 12.

تفرّق بين هذين الصوتين، فكان ذلك الصوت هو الميم. فهو يلتقي مع النون في الخيشومية، و يلتقي مع الباء في الشفوية ، فهو إذن يلتقي مع النون في الصفة،و مع الباء في المخرج [1].

5– تتأثر التاء في صيغة " **افْتَعَل** " بالصوت المفخم بعدها فتفخم في مثل :

صَبَرَ ← اتْصَبَر ← اصْطَبَر ⇐ ت + ص ⇐ ص ط

ضَرَب ← اتضَرَب ← اطْضَرَبَ ⇐ ت + ض ⇐ ط ض

ظَلَم ← اتْظَلَمَ ← اطْظَلم ⇐ ت + ط ⇐ ط ظ

طَرَبَ ← اتطَرَبَ ← اطْطَرَبَ ⇐ ت + ط ⇐ ط ط

إن ذوق العربية ونظامها الصوتي يأبيان نسقًا صوتيا يتوالى فيه صوتان قد تقاربا مخرجًا واختلفا صفة، فتتابع التاء المرققة، والصوت المفخم بعدها مستثقل مكروه في النطق، فالترقيق الذي تمثله التاء مناقض للتفخيم الذي تمثله (**ص، ض، ظ،ط**) فكان الحلّ هو تفخيم التاء وإطباقها على سبيل المماثلة الجزئية، وقد علّل ابن عصفور ذلك قائلا: « والتباعد الذي بين التاء وبين هذه الحروف، أن التاء منفتحة مستفلة، وهذه الحروف مطبقة مستعلية ، فأبدلوا من التاء أختها في المخرج و أخت هذه الحروف في الاستعلاء ، والإطباق وهي الطاء» [2].

1- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 227.

2 – الممتع في التصريف، ابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، بيروت، 1978، ج1 ص: 360.

و- المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة:

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت، بصوت بعده بشرط أن يفصل بينهما صوت آخر، فيتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي بعده في المخرج، أو في الصفات الصوتية الأخرى و من أمثلة ذلك مايلي:

1- تتأثر السين بالأصوات المفخمة التالية لها فتنطق صادًا، فكل سين وقعت بعدها غين أو خاء أو عين أو قاف أوطاء جَاز قبلها صَادًا، يقول ابن جني: « وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جَاز قبلها صَادًا، وذلك قوله تعالى: (**كأنما يُسَاقون**)[1] و يُصَاقُون ، و(**مَسَّ سَقَر**)[2] و صَقَر و (**سَخَّر**)[3] وصَخَّر و(**وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ**)[4] وأَصْبَغَ و(**سِرَاط**)[5] وصِرَاط وقالوا في سُقْت: صُقْت، وفي سُوَيْق: صُوَيْق »[6].

والتعليل الصوتي لهذا التماثل هو تخفيف العمل على اللسان نتيجة الحركتين المتناقضتين الناتجتين عن نزوله (أي اللسان) مستفلا مع السين نحو قاع الفم، ثم صعوده مطبقا مع الأصوات المستعلية، نحو أقصى الحنك، فجنح إلى العمل من وجه واحد. واختصرت العمليتان المكلفتان في حركة واحدة اقتصادا في الجهد العضلي، يقول المبرّد. «وإنما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية، قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد والحروف المستعلية، الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء

---

1 - سورة الأنفال الآية رقم: 6.

2 - سورة القمرالآية رقم: 48.

3- سورة الرعد الآية رقم: 2.

4 - سورة لقمان الآية رقم: 19.

5 - سورة الفاتحة الآية رقم: 6.

6 - سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 211- 212.

والغين والقاف وإنما قيل لها مستعلية، لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تمنع الإمالة، فإذا كانت السين مع حرف من هذه الحروف في كلمة جَاز قلبها صَادًا،وكلما قرب منها كان أوجب، ويجوز القلب على التراخي بينهما،وكلما قرب منها كان أوجب، وكلما تراخى فترك القلب أجود »[1].

2- تتأثر السين بالقاف الموالية لها و ذلك نحو : **سقر ← زقر.**

وقد نص اللغويون على أن جهر السين قبل القاف لغة خاصة لقبيلة كلب، يقول ابن جني: « وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا فيقولون في سقر زقر، وفي (**مَسَّ سَقَر**)[2] مَسَّ زَقَر »[3]. و يعلّل السلف جهر السين قبل القاف في لغة كلب بالتباين الكبير بين السين المهموسة والقاف المجهورة لأن القدماء يعدّون القاف صوتا مجهورا [4].

كما تجهر السين تحت تأثير الراء في "**سِرْدَاب**" فقِيل "**زِرْدَاب**" والذي حدث هو تأثير الراء المجهورة في السين المهموسة لأنّها لا تناسبها في هذا التموضع و لا تنسجم معها فتستبدلها بما هو أهل للانسجام و هو الزاي المجهورة [5].

ز- المماثلة المدبرة الكلية المتصلة:

يكون ذلك بأن يتأثر الصوت بما يليه مباشرة من الأصوات، فيتحول إلى نفس الصوت ثم يدغم فيه، وقبل أن نعرض لصور من التأثر المدبر، يجب أن نوضح أن هذا النوع من المماثلة هو الأكثر شيوعا ليس في العربية وحدها، بل في جميع اللغات، فقد

1- المقتضب، المبرد، ج1، ص: 226.
2- سورة القمر الآية رقم: 48.
3 - سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 196.
4- ينظر: كتاب سيبويه، ج 4، ص: 434.
5 - ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، رمضان عبد التواب، ص: 35.

ذكر بْلُومْفِيلْد Bloomfield :« أن المماثلة المدبرة هي الأكثر شيوعًا في عالم اللغات»[1] كما يشيع هذا النوع كذلك في العربية: « ويغلب على العربية أن يتأثر الصوت الأول بالثاني» [2] وهو ما يوافقه أحمد مختار عمر إذ يقول: « والشائع في لغة العرب هو التأثر الرجعي إلاّ في حالة ما إذا كان الأوّل أقوى (مجهور- مفخم...) فإنه يجوز أن يكون من التأثير التقدمي »[3].

ومن صور هذا النوع نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

1 – تتأثر التاء في " **افتعل**" بالتاء بعد فتقلب " تاء " نحو :

اثــتـَـرد ← **اثْتَرَدَ** ← **اتَّـــرد** و هو **مُتَّـــرِد** قال سيبويه : « فمن ذلك قولهم في مثترد مثرد لأنهما نتقاربان مهموسان و البيان حسن و بعضهم يقول: مثترد وهي عربية جيدة. والقياس مُتَّــــرِدُ لأن أصل الإدغام أن يدغم الأوّل في الآخر»[4] ومن ذلك اتَّـــــأَر في اثـتَـــــأر في قول لبيد بن ربيعة [5] ت (60)هـ :

و النيـــبّ أن تعرمني رمّة خلقا بَعْدَ المَمَاتِ فاني كنت اتَّئِرُ

و منه اتَّنى في اثْتَنَى في قول الشاعر[6] :

بَدَا بأبى ثم " اتَّنى " ببَنِي أبي وثلّثَ بالأدنين ثقف المخالب

---

1 - bloomfield language p :372.

2– في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 132.

3– دراسة الصوت اللغوي، ص: 388.

4 – كتاب سيبويه،ج 4، ص: 467.

5– سر صناعة الإعراب، ابن جني ج 1 ص: 172

6 – السابق، ج 1، ص: 172.

2- تتأثر الظاء في افتعل بالطاء بعدها فتصبح طاء نحو :

اظطَلَم ←اظْطَلَمَ ← اطَّلَم

أظعن ← اظْطَعَن ← اطَّعَن

وكذلك الحال في صيغة مفتعل : "**مُطَّلِم**" و" **مَطَّعِن** " ويقارن سيبويه بين "**مُطَّعِن**" و"**مُطَّلِم**" و" **مُظَّعِن**" و"**مُظَّلُم**" فيقول: « وأقيسها مَطَّعِن ومُطَّلم لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأوّل الآخر »[1].

3- تتأثر التاء في صيغة " **تفاعل** " بالثاء الموالية لها فتقلب تاء نحو :

- "**تثاقل**" المضارع منه" **يَتَثَاقَلُ**"بالتسكين " **يَتْثاقل**" الماضي منه" تْثَاقل" همزة الوصل "**اتْثَاقل**" "**اثَّاقل**" وعلى هذا جاء قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**)[2] .

- " **تدارك** " المضـــارع منه" **يتَدَارك** " ← بالتسكين" **يَتْدارك**" الماضي منه " **تْدَارك** " ← "**اتْدارك**" ← " **ادَّارك**" و منه قوله تعالى : (**وَإِذْ قَتَلْتُم نَفْسًا فَادَّارَأْتُم فِيهَا واللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**)[3] .

4 – تتأثر التاء بالطاء في صيغة " **يَتَفَعَّل** " فتقلب طاء و ذلك نحو :" **يَتَطَهَّرُ**" "**يَتْطَهَّرُ**" ومنه "**اتْطَهر**" "**اطَّهَر**"، قال تعالى: (**وَإِنْ كُنتُم جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**)[4] ومنه "**مُطَّهَر**" و"

1- كتاب سيبويه، ج4، ص: 469.
2- سورة التوبة، الآية رقم: 38.
3 - سورة البقرة الآية رقم: 72.
4- سورة المائدة الآية رقم: 6.

مطّهرون " قال تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)[1].

وقد عرض رمضان عبد التواب أمثلة تؤكد أن هذه الظاهرة كانت في سبيل تكونها وظهورها في اللغة العربية عندما جاء الإسلام بدليل أن القرآن الكريم فيه من الآيات التي تطورت كلماتها، والكلمات التي حافظت على صورها القديمة بغير تطور يقول: « ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم – كما قُلْنَا – جَنْبًا مع الصيغ القديمة التي لَمْ يَحْدُثْ فيها تغير للأصوات كقوله تعالى : (لَّوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ)[2] و(وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ)[3] و(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)[4] و هو يقول في آية أخرى : (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)[5] بل إنّ الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين مَعًا كقوله : (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ و لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)[6] [7].

5- في بعض قراءات القرآن الكريم تتأثر الراء باللام بعدها فتقلب لامًا وذلك قوله تعالى: (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم)[8] فقد قرأها أبو عمرو ويعقوب بإدغام الراء في اللام[9]. جاورت الراء اللام دون فاصل بينهما، وهما من نفس المخرج (لثوي) ويتفقان في المُيُوعة والجهر، فأدغمت الراء في اللام قصد الإسراع بالحركة النطقية وتخفيفها، و تجنب ذلك

1 – سورة التوبة الآية رقم: 108
2 – سورة القلم الآية رقم: 49.
3 – سورة غافر الآية رقم: 13.
4 – سورة يس الآية رقم: 18.
5 – سورة النمل الآية رقم: 47.
6 – سورة ص الآية رقم : 29
7 – التطور اللغوي ص: 29
8 – سورة الصف الآية رقم: 12.
9 – معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ج9، ص: 445.

التكرير الذي في الراء. يقول إبراهيم أنيس: « وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في الكلام هو ترك التكرار المختصة به الراء »[1]. غير أنّ الخليل وسيبويه وجميع البَصْريين ما خلا أبا عمرو زعموا أنّ الراء لا تُدْغم في اللام وحجتهم في ذلك أنّ الرّاء حرف مكرر قوي فإذا أدغمت الراء في اللام ذهب التكرير منها[2]، يقول ابن جني « واعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبي عمرو: " **يَغْفِر لَّكُم** " بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا، و غير معروف عند أصحابنا، إنما هو شيء رواه القرّاء ولا قوّة له في القياس »[3].

6– من صور المماثلـــة الكلية المدبرة المتصلة مماثلة لام التعريف للثلاثة عشر صوتا المقاربة لَهَا في المخرج، وتعرف هذه الّلاّم في الاصطلاح ب **اللام الشمسية** وهذه الحروف هي : **ذ، ث، ظ،د،ت،ط،ز،س،ص،ض،ن،ر،ش** وهي أصوات مجاورة لها المخرج، والذي يبرر إدغام اللام في كل هذه الأصوات هو كثرة شيوعها حيث تصل إلى سبع وعشرين ومائة (127) مرّة في كل ألف من الصوامت ممّا يعرضها أكثر عن غيرها للتطور اللغوي و فنائها في تلك الصوامت، كما أن جميع الأصوات التي تدغم فيها اللام تندرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج[4] يقول سيبويه: « ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معهن إلاّ الإدغام،وكثرة موافقتها لهذه الحروف»[5] .

---

1 – الأصوات اللغوية، ص: 200.

2– معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ج9، ص: 445.

3– سر صناعة الإعراب، ج1 ص: 193.

4 – ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 203.

5– كتاب سيبويه، ج 4، ص: 457.

7- من صور المماثلة الكلية المدبرة المتصلة ، مماثلة **لام** " **هَلْ** " و" **بَلْ** " لكلّ من الشين والثاء، والتاء بعدها، وقد أورد سيبويه شواهد على ذلك مثل قول طريف بن تميم العنبري:

تقول إذا استَهْلَكْتَ مَالاً لِلَذّة فُكَيْهَةُ هَشَّيْءُ بِكَفَّيْكَ لائِقُ

يريد هل شيء ؟ فادغم اللام في الشين[1] ؟ وقرأ أبو عمرو « هَثُوِّبَ الكُفَّارُ " يريد هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّار فادغم في الثاء »[2].

وقد قرأ حمزة والكسائي وهشام (بَلْ تُؤْثِرُون الحَيَاةَ الدُّنْيَا)[3] "**بَتُّؤْثِرُون**" بادغام اللام في التاء[4]، و قال مزاحم العقيلي :

فَدَعْ ذا و لكن هَتُّعين مُتيما على ضوء برق آخر بالليل ناصب

يريد هَلْ تُعين ؟ [5]

8- تؤثر الكسرة على الواو السابقة فتتحول إلى ياء ثم تتحول الكسرة و الياء إلى كسرة طويلة فتنتقل إلى الساكن قبلها نحو :

مُصْوِب ← مُصِيب

مُضْوِف ← مُضِيف

مُقْوِل ← مُقِيل[6]

1- السابق، ج 4،ص:458.
2 - السابق، ج4 ، ص: 459.
3 - سورة الأعلى الآية رقم:16.
4- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، ج10، ص: 389.
5 - كتاب سيبويه، ج 4، ص: 459.
6- ينظر: المدخل إلى علم الأصوات، صلاح الدين حسنين، ص: 79.

اجتمعت في هذه الأمثلة الواو مع الكسرة، وفي ذلك مشقة على اللسان عند صعود مؤخرته نحو أقصى الحنك مع الواو، ثم صعود طرفه الآخر الذي هو مقدمه نحو الغار في نفس اللحظة تقريبا مع الياء، و في هذه الحالة تؤثر الكسرة في الواو غير المجانسة لها فتقلبها إلى ياء مجانسة لها : مُصْيِب ومُضْيِف، و مُقْيِل التي تتحول إلى مُصِيب – مُضِيف – مُقِيل.

ح– المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة :

يكون ذلك بأن يتأثر الصوت المعيّن بالصوت الذي يليه و لكن مع وجود فاصل بينهما، و يتم هذا التأثر بسبب القرابة المخرجية، أو بالاتفاق في صفات الأصوات. ومن أمثلة ذلك :

1- كلمة " **مُنْذ** " التي تعمل الجر في الأسماء بعدها، فهي عبارة عن حرف مركب يتكون في الأصل من كلمتين هما: "**مِنْ**" حرف الجر، و "**ذو**" اسم الموصول تأثرت كسرة الميم في الكلمة "**مِنْ**" بصفة الذال في الكلمة "**ذو**"، تحوّلت الكسرة إلى الضمة فصارت الكلمة "**مُنذ**" بعد حذف الواو(1)، قال صاحب اللسان: « حكي عن ابن سليم: ما رأيته مِنذُ سِت بكسر الميم ورفع مابعده »(2).

2 – تأثرت كسرة الميم في صيغتي اسم الآلة (**مِفْعَل – مِفْعلَة**) بفتحة العين فيهما، فتحولت إلى فتحة فصارت الصيغتان **مَفْعَل** و **مَفْعَلَة** و حسب رأي رمضان عبد التواب أن هذا التحول مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، و ذلك نوع من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال

1- ينظر: التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص: 32- 33.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة (م ن ذ)، ج14، ص: 133.

مثل : **مَقْوَد** ، **مَسَنّ** ، **مَقْنَع** للثوب الذي يغطي به الرأس و **مَطْرَد** للرمح الصغير و **مَخَدة** و **مَزْدَغَة** للوسادة [1].

هذا التحول استمر فيما بعد فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (ت 577هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون "**مَصْيَدَة**" و"**مَطْرَقَة**" و"**مَفْرَغَة**" و"**مَرْوَد**" و"**مَشْرَط**" و"**مَنْجَل**" و"**مَنْبَر**" و"**مَكْنَسَة**" و"**مَرْوَحة**" و"**مَلْعَقَة**" [2].

3 – إذا كانت الفصحى لا تقدم لنا أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة فإن اللهجات الدارجة تزودنا ببعض الأمثلة عليها، ففي العامية التونسية و الليبية الدارجة هناك قاعدة عامة عندهم هي جعل الجيم السابقة للزاي زايًا فمثلا **عجوز** ← **عْزُوز**، ومن عباراتهم المشهورة: "**وْرَاسْ العْزُوزْ** " إذا أراد أحدهم أن يُقْسِمَ ، **وجَازَ** ← **زَازْ**

جْنَازَة ← **زْنَازَة**

جَزَر ← **زَزَارْ**

ففي الفعل تَجَوّز المقلوب عن تَزَوَّجَ يقول **تَزَوَّز**، و **جَوّزْته** المقلوبة عن **زَوّجْته** يقولون: "**زَوَزْته** "[3] .

1- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص: 33.

2- ينظر: لحن العامة و التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 274.

3 - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 219.

الفصل الرابع

ظواهر المماثلة في منطوق ندرومة

بعد الاستفادة من الدراسة النظرية حول المماثلة و مصطلحاتها، سأحاول الاعتماد عليها في دراستي التطبيقية لمنطوق نَدْرُومَة و ضواحيها، و لا بدّ أولا أنْ أُعَرِّف المنطقة أولا، ثم أتوغل في استقصاء مظاهر المماثلة في هذا المنطوق.

1- الفضاء الجغرافي والمعارفي لمنطقة ندرومة:

أ- جغرافية منطقة ندرومة:

في شمال الغرب الجزائري، وغير بعيد عن الحدود الجزائرية المغربية، وعلى بعد حوالي ستين (60) كلم عن عاصمة الولاية تلمسان تقع **نَدْرُومَة Nedroma**، التي تمتد جنوب سفـــح جبل **فَلَّاوْسَــــنْ**[1]، تتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق شاطىء **سيدنا يُوشَعْ**، كما تبعد عنه على خط مستقيم ب 10 كلم، يحدها غربا مدينة **مَغْنية** ومدينة **الغَزَوات** من الشمال الغربي و**هُنَيْن** من الشمال الشرقي و**بَنِي وَارْسُوسْ** و**فَلَّاوْسَنْ**، ويحدها جنوبا جَبل **فَلَّاوْسَنْ** (يُنْظر الخريطة رقم01).

تشرف على سهل مَزَاوْرُو الخصيب، تقع بين وادين: وادي الحمراء من جهة الشرق ووادي الدمين من جهة الغرب. وهذا الموقع الجغرافي المتميز أكسبها حصانة استراتيجية ودفاعية طبيعية، مكنها الصمود على مَرِّ التاريخ[2]. يقول أحد الباحثين: «نظن أن هذا المكان اختِير **لندرومة** القديمة ليكون موقعا لسببين رئيسيين وهما: وجود

1 - فلاوسن: كلمة بربرية مشتملة على قطعتين "أفلا" وتعني فوق وأعلى و"أوسن" تعني قرية.

2- Les villes précoloniales de l'Algerie occidentale, Djilali Sari, 2ème édition, SNED, Alger, 1977, P14.

المياه التي تتفجر وتتدفق من الجبال الشامخة والدفاع عن المدينة بسهولة ضد أعدائها ومحاربيها وغزاتها»[1]

ب – ندرومة عبر التاريخ:

حضيت **ندرومة** بأبحاث كثيرة لمؤرخين عرب وأجانب، إلا أنهم لم يجتمعوا على رأي موحد بخصوص تاريخ إنشائها واسم مؤسسها وأصل تسميتها.

يرى البعض أنها سميت أولا بمدينة البَطْحة أو البَطْحَاء، و تعني لغويا مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى، وهذا خطأ لأن البطحاء كانت بنواحي **شَلَف**[2]، وقيل إنها مشتقة من العبارة الآتية:" نَظَروا إلى الماء"، أو "انْظُروا إلى الماء" بصيغة الأمر، أي العبارة التي نطق بها الفرسان العرب عند رؤية الماء تعجبا من كثرته وغزارته[3]، كما قيل أنها آتية من تعريب كلمة بربرية ألا وهي "تَنَدْرُومَات" أو من قلب هائها نونا لسوء النطق بالكلمة البربرية "hund" هندرومة" [4].

تحدث الجغرافي والمؤرخ العربي **أحمد بن واضح اليَعْقُوبي** عن مدينة بربرية تدعى "فَلَّاوْسَن" في المكان الذي تقع فيه مدينة **نَدْرُومة** حاليا، وهي مدينة كبيرة يتألف سكانها من مجموعة من قبائل بربرية من مَطْمَطة وتَاجْرَة وجَزُولة وصَنْهَاجة وانجفَة وانْجِيزَه[5].

أما الجغرافي الأندلسي **البِكْرِي** (1090م - 1040م) فقد ذكرها في كتابه "**المسَالِك والمَمَالِك**" الذي ألفه سنة 1086م، أنها في طرف جبل تَاجْرا وغربيها وشماليها بسايط

1– مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ، السنة السابعة عشر، العدد 99 ،1987، مقال للطاهر زرهوني بعنوان: ندرومة بين الماضي والحاضر، ص: 143.

2 - مجلة الثقافة، ندرومة بين الماضي والحاضر، طاهر زرهوني، ص 142

3 - السابق، ص: 143.

4 – السابق، ص: 143.

5– كتاب البلدان: أحمد واضح اليعقوبي، السلسلة الجغرافية ، دار إحياء التراث العربي ، ط1، 1988 ، ص : 112.

طيبة ومزارع وبينها البحر عشر أميال وساحلها وادي ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه حصان ورباط...ومدينة ندرومة مسمورة جليلة لها نهر وبساتين فيها جميع الثمار(1).

يذكر **ابن خلدون** أن مدينة **ندرومة** أخذت إسم قبيلة كبيرة تدعى **كُومِية**، تكَوَّنت من مزارعين ومُرَبيين يتكلمون اللهجة الزناتية امتدت من **ندرومة** حتى **رَشْقُون**، وعلى هذا الخط نجد قبائل جُبّالَه وبَني خَلّادْ وبَني مَسْهَل ومنحدرات فَلّاوْسَن يقول : «كُومِية وهم المعروفون قديما بصَطْفُورة أحد مطَايَة ومصغرة وهم من وَلَد فَاتِن كما قَدَّمْنا، لهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي نَدْرُومة وصَغَّارَة وبَني يَلُّول... كانت مواطن أكدمية بالمغرب الأوسط بسيف البحر من ناحية ارَسْكُول وتلِمْسان» (2).

كما وصفت **نَدْرومة** في كتاب **"نزهة المشتاق"** للجغرافي العربي **"الإدْرِيسي"** في القرن السادس الهجري (1100م- 1165م) أنها مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور وسوق، وموضعها في سند، ولها مزارع كثيرة ولها وادٍ يجري في شرقَيْها وعليه بساتين وجنات عامرة وسقي كثير(3).

وممن تحدثوا عن **ندرومة** في القرن السادس عشر (16م) " **الحَسَن الوازن** " المعروف ب"**لِيُونْ الإفريقي**" "**Leon L'africain**" في كتابه " **وَصْف إفريقيا** " (4).

1- Nedroma l'évolution d'une médina E.P.H.E section sciences economiques et sociales 1976 P13

2- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ -1971، ج6، ص: 126.

3- ندرومة بين الماضي والحاضر، طاهر زرهوني، ص: 143.

4- M A prenent thumelin : Nedroma en 1954 ,étude Urbaine D.E.S en geagraphie sous la direction de M.J DRESCH, 1955.

وكذلك "مَارْمُول" " Marmol" في القرن السابع عشر في كتابه "افريقيا" (1) و" شَاوْ " "Shaw" في القرن الثامن عشر (2) كما ورد إسم "ندرومة" في القرن العشرين في الدراسات التي قام بها كل من "كَنَالْ " "J.canal" (3) و"رُونِي بَاسِي" "R.Basset" (4) و"أَلْفرِيد بَال" "Alfred Bel" (5).

المتفق عليه أن ندرومة شيِّدت في (555هـ-1160م) من طرف السلطان عبد المؤمن بن علي (487هـ-558هـ) (1094م- 1163م) على انتقاض وخراب مدينة بربرية كبيرة. حيث اعتمد في تسيير شؤون دولته على قبيلة كومية فازدهرت ندرومة في عهده، وعلا شأنها، كما تحولت إلى حصن حصين: « ازدهرت مدينة ندرومة وقبائلها الكومية، أخذت مكانة مرموقة في أيام عبد المؤمن ولعبت لفائدة دولته دورا سياسيا هاما في الناحية ولا يخلو تاريخها من الأساطير التي اختلقها بدون شك الخيال لتفسير ما عجز عنه العقل ولتعظيم المعالم» (6).

كانت ندرومة والقبائل المجاورة لها محط أطماع سلاطين بني عبد الواد بتلمسان، وبني مرين بفاس، فشهدت المنطقة أثناء تواجد المريني بها حصارات متكررة نتج عنها خراب معالمها التاريخية، وبعد 1532م أصبحت ندرومة تابعة لحكم بني عبد الواد(7).

1- l'afrique Marmol, trad .P. d'ablancourt 3 tomes Paris 1876.
2- voyage dans la regence d'Alger, Shaw, trad M.carty, Paris, 1830.
3- Monographie de l'arandissement de Temcen, Nedroma et les Traras , canal joseph, Bulletin de la socièté d'archeologie de geographie d'Oran, 1988.
4- Nedroma et les Traras, réné Basset, Paris ernest leroux, 1901.
5- Nedroma metropole musulmane des Trares , Alfred Bel, Alger,1934, bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, n° :140
6- مجلة الثقافة طاهر زرهوني: ندرومة عبر التاريخ ص 152 .
7- Nedroma l'évolution d'une Médecin, Gilbert Grandguillaume E.J Brill 1976 P13

وفي سنة 1548م عقد ميثاق الوحدة بين القبائل البربرية والعربية لشمال الغرب الوهراني والمغرب الشرقي تحت لواء الولي الصالح سيدي **عبْد الرَّحْمَن اليَعْقُوبي** لمحاربة الإسبان المقيمين بتلمسان[1].

استمر الحكم العثماني **لندرومة** وضواحيها من 1791م إلى غاية 1831م، حيث أصبحت المنطقة فيما بعد تحت حكم **الأمير عبد القادر الجزائري** الذي أسس في 1839م اتحادا يضم قبائل بَني وَارْسُوسْ و بَني مَسْهَلْ و بني مْنِير، ووضعها تحت قيادة خليفة لمحاربة الاستعمار الفرنسي. وقد شاركت هذه القبائل في إحداث ثورة 1845م التي ميزتها مجزرة سيدي إبراهيم التي « انهزم فيها العدو رغم توالي النجدات عليه يوم 25 أكتوبر 1845، وذلك أن الأمير كان قد غادر هو جيشه مكان الدائرة التي كانت بناحية وادي التافنة وبعث من هناك بالطلائع إلى الغزوات وكان العدو جاثما بوادي تاولة، فأسرع إليه بعض الخونة من جواسيسه فوصفوا له مسير الأمير وما هو عليه حاله وكان على رأس جيش الاحتلال يومئذ الكولونيل **دُومَانْطَانْيَاكْ** فالتقى الجمعان بمكان مرتفع هناك على تل واحتدم القتال، وقتل فيه أغلب جيش الاحتلال وقضى على كبار ضباطه منهم "**دُومَانْطَانْيَاكْ**" و"**كُورْبِي**" و "**كُونْيَار**" و"**فرُومَانْطون**" و "**كُوسْط**" وغيرهم»[2].

بعد مجزرة سيدي إبراهيم واستسلام الأمير عبد القادر بقيت **ندرومة** وضواحيها تحت سيطرة إدارة الاحتلال الفرنسي، وعان سكان المنطقة من ويلات الاستعمار حيث أقدمت سلطات الاحتلال على مصادرة أملاكهم وأراضيهم وسلطت عليهم أنواع العذاب، مما دفع بالكثير منهم إلى الهجرة نحو فرنسا بحثا عن فرص العمل، فقد بلغ عدد

---

1 - Nedroma et les Traras, René Basset, P65 , 66.

2- تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،دار الثقافة، بيروت، ج4، ص214، 215.

المهاجرين من المنطقة نحو فرنسا خمسمائة مهاجرا سنة 1935، ليرتفع إلى تسعمائة سنة 1936، ثم ألف و أربعمائة مهاجرا سنة 1937، وألفين مهاجرا سنة 1938م[1].

لما اندلعت حرب التحرير الكبرى (1954-1962) شارك أهالي المنطقة، وقاموا الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل فكانت معركة "**فَلّاوْسَن**" المشهورة في جويلية 1956، ثم اشتباكات مع العدو في شهر أفريل 1957 "معركة **فَلّاوْسَن الثانية**"، حيث أسقط الثوار فيها طائرة للعدو[2].

1- les traras étude d'une région musulmane d'Algérie Robert Tinthom – bulletin de la sociètè de geographie et d'archéologie, tome 73 1953 P 238.

2- هذه المعلومات مأخوذة بناءا على شهادات أهل المنطقة ممن عايشوا أحداث حرب التحرير .

2 - ظواهر المماثلة في منطوق ندرومة:

تتعدد مظاهر المماثلة في منطوق ندرومة منها:

أ – المماثلة المقبلة الكلية:

1 – تتأثر التاء في "فَعَلْتُ" بالطاء قبلها فتصبح طَاءً في مثل قولهم:

رْبَطّهَا بْسَنّيك حَلْهَا بْيَدِّيك رْبطْتْهَا ← رْبَطّهَا

ط + ت← ط ط.

الملاحظ في هذا المثال أن مسار التأثير انطلق من الصوت الأول (**الطاء**) نحو الثاني (**التاء**)، أي أن الطاء أثّرت بحكم موقعها و قُوّتِها[1] في التاء، لأن الأصوات المطبقة والمفخمة لها سطوة ونفوذ شديدان يمكنانها من التأثير فيما قبلها، وما بعدها من الأصوات. وقد يمتد هذا التأثير إلى المقاطع المجاورة، فقد تجاوزت الطاء والتاء في "**رْبطْتها**"، وهما من مخرج واحد أسناني لثوي، غير أن الطاء صوت مطبق، مفخم ومستعل اجتذبت قوتُه صوت التاء، المنفتح، المرقق والمستقل فتحول إليه. فالتاء متى اتصلت في النطق بالطاء اتصالا مباشرا وجب نطقها طـــاء، ذلك لأنه لا يمكن الجمـــع بين المطبـــق و نظيره المنفتـــح كما لا يمكن الجمع بين المجهـــور ونظيره المهموس إذا اتصل به مباشـــرة[2].

وقد لاحظ **سيبويه** أن من العرب من عاملوا بناء "**فَعَلْتُ**"، وما اشتق منه معاملتهم (**افْتَعَل**)، متى كانت اللام من المجموعة المطبقة، لأنها مفخمة المرقق في مثل هذه

---

1 – ينظر: أثر القراءات القرآنية في الأصوات و النحو العربي، عبد الصبور شاهين، ص: 217.

2 – ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 289.

الأبنية فعملوا على إبدال التاء من جنس ملاصقها تخفيفا للنطق وتسهيلا له[1]، ويبدو هذا لديه فيما أورده على لسان بعض الفصحاء أنهم قالوا في : خبَطْتَه ← خَبَطُّه[2] واستشهد ببيت لعَلْقَمة بن العَبْد[3]:

و في كلّ حَيٍّ قد خَبَّط بنعمَةٍ   فحَقٌّ لشأسٍ من نَدَاك ذَنُوبُ [4]

وقد عزيت هذه اللهجة إلى تميم[5] وهي من القبائل التي طبعتها ظروف البداوة بطابع السرعة حتى في أداء كلماتها، والجنوح إلى تفخيم الأصوات لأنه يصعب عليها الانتقال من مرقق إلى مفخم، فآثرت المطبق لما فيه وضوح في السمع ومزجت فيه الصوت المرقق، وقد ذهب **الرَضِي الاسْتِرْبَاذي** إلى أن إطباق تاء "**فعلت**" لغة تميم، ولَكِنَّه وصفها بالقِلّة، قال: « هذه لغة تميم، وليست بالكثيرة أعني جعل الضمير طاء إذا كان لام الكلمة صادًا أوضادًا، وكان بعد الطاء و الظاء نحو فحَصْط برجلي و حِصْطُ عنه، أي حِدْتُ و احَطُّ و حفِظُّ و إنما قل ذلك لأن تاء الضمير كلمة تامة فلا تغير، وأيضا هو كلمة برأسها فكان القياس أن لا تؤثر حروف الإطباق فيها» [6].

2- و من نماذج المماثلة التقدمية الكاملة ما جاء في لهجات الخطاب اليومي عند سكان ندرومة في قولهم:

---

1 - ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري. رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللغة إعداد الطالب مهدي بوروبة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ - 2002م ، ص 208.

2 - ينظر: كتاب سيبويه، ج4، ص: 471.

3 - كتاب سيبويه، ج 4 ص: 471، و كذلك شرح المفصل ابن يعيش ج 10 ص 48.

4 - يخاطب الشاعر الحارث بن أبي شمر الغساني و كان قد أيسر من بني تميم تسعين رجلا فيهم شأس بن عبدة أخو علقمة، فوفد علقمة على الحارث مادحا و راغبا في إطلاق سراح أخيه، فتم له ما أراد و الشاهد: خبط أصله خبطت أبدلت التاء طاء ثم ادغم فيها الطاء. شرح المفصل ابن يعيش ج 10، ص: 48.

5- كتاب سيبويه، ج 4 ،ص: 240.

6 - شرح الشافيه، الرضي الاستربادي، ج 3، ص: 226.

" محمّد سْبَغّا فَلْعَسْكَر" أي محمّد سَبَغَهَا فِي العَسْكَر.

فالذي حدث في هذا المثال تجاور الغين و الهاء في "سْبَغَّها" فصعب نطق الغين ثم الهاء، لأن الهاء أنْزَل في الحلق، ومن ثم تكون أثقل فقلبت إلى جنس الأخف منها وهو الغين، لأن الغين صوت مجهور والهاء صوت مهموس[1]، فأثَّر المجهور في المهموس وهو تأثير رجعي ثم حدثت عملية الإدغام على الأصل وهو تأثير تقدمي، وبذلك تكون المعادلة:

غ + هـ ⇐ غ غ مماثلة تامة.

ومنهم من يقول "يَسْبَخَّا" في "يَسْبَغْهَا" بدلاً من الغين و هو أمر جائز من الناحية الصوتية لأن الصوتين من مخرج واحد، وصوت الخاء هو النظير المهموس لصوت الغين[2] فتكون المعادلة:

غ + ه ⇐ خ خ أي خاء مشددة.

3- لا تحقق الهمزة في اللهجات العامية إلا نادرا، لأن في تحقيقها صعوبة على جهاز النطق، فانحباس الهواء عند فتحة المزمار انحباسا تاما، ثم انفراجه فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي، فقد اتضح أن نطقها يحدث بعملية ضد عملية التنفس، وهي عملية لا يطيق المرءُ الاستغناء عنها لحظات معدودات، فهي تحدث بقطع النَفَس، وبذلك توصف بأنها

---

1 - ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 178.

2 - ينظر: السابق، ص:179.

صوت شاق مجهد إذا ما قورنت بالأصوات الأخرى[1] مما نحا بها إلى أن تُصبح أحد الصوائت أو شبيهة بها لنقطة التضييق الحنجري المصاحبة لها[2].

والهمزة من أشق الحروف و أعسرها حين النطق لأن مخرجها من فتحة المزمار، ويحس المرء حين ينطق بها كأنه يختنق، وقد عرف القدماء لها هذه الصفة، وأحَسُّوا بها فشاع بينهم من أجل هذا التخلص من الهمزة بجعلها حرف مد حينا، وإسقاطها من الكلام حينا آخر[3]، ولثقلها جاز فيها التحقيق والتخفيض والبدل والحذف وبين وإلغاء الحركة[4].

وهذه الظاهرة عامة في اللهجات العربية الحديثة، يقول **جَانْ كَانْتِينو**: « أما في لهجات المغرب العربي فان تطور الهمزة قد بلغ حدا ابعد مما بلغه في الشرق، وذلك أن الهمزة لم تعد تمثل صوتا Phonème وكادت تضمحل تماما في اللغة... إما تسقط تماما، وإما تُعَوَّض بنصف حركة أي بواو أو بياء كما في اللهجات الشرقية »[5].

والتخلص من الهمزة وإسقاطها من النطق ظاهرة من ظواهر قانون السهولة والتيسير، فالذين مالوا إلى التخلص منها كانت غايتهم من ذلك طلب الخفة وإيثارا للسهولة في النطق ليس غير[6].

---

1 - الهمزة : مشكلاتها و علاجها، د. شوقي النجار، ص: 17.

2 - ينظر: الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص: 189.

3 - موسيقى الشعر إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1978، ص: 28.

4 - ينظر: الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية، دمشق، سوريا 1973، ص :133.

5 - دروس في علم الأصوات العربية، ص: 134.

6 - ينظر: اثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص 455.

ومن أمثلة المماثلة التقدمية الخاصة بصوت الهمزة أنها تبدل في المنطوق العامي إلى الحرف الذي منه الحركة التي قبلها إذا كانت ساكنة فتخفف، وتُمَدُّ الحركة السابقة لها تعويضا عنها فتَتَحول إلى:

– ألف مد بتأثير الفتحة السابقة لها في مثل قولهم:

دِير رَّايْ لِلِي يْبَكِّيكْ ← رَاي في رَأي

لمَنْدَبة كْبِيرَة و لمَيَّت فَارْ ← فار في فأر

واشْ ادَّاك لَعْرَاصْ يَا مَنْتُوفت ارّاص ← رّاص في رأس بتفخيم السن.

ء ← ألف مد

بتأثير الفتحة السابقة لها

– واو مد بتأثير الضمة السابقة لها في قولهم:

لمُومَن مُصَاب ← مُومَنْ في مُؤمن

ء ← ياء مد

بتأثير الضمة السابقة لها

– ياء مد بتأثير الكسرة السابقة لها في مثل قولهم:

دِيب حْلال، دِيبْ حْرَام تَرْك حْسَن ← دِيب في دِئْب

ء ← ياء مد

بتأثير الكسرة السابقة لها

والذي سَهَّل هذا الإبدال هو كون الهمزة وردت ساكنة، والحرف إذا سُكِّنَ ضَعُفَ، فالقصد من هذا التصرف هو التخفيف من ثقلها، والسعي إلى جعل موضعها أقل أثر، لأن الناطق يستثقل نطقها و هي ساكنة، و في تحقيقها عملية تحتاج إلى جهد عضلبي قول الرضي الإسترابادي: « ثم اعلم أن الهمزة لما كانت أدْخَلَ الحروف في الحلق ولها نَبْرة كريهة تجري مجرى التَهَوُّع[1] فثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها، فخَفَّفَها قوم، وهُم أكثر أهل الحجاز و لا سيما قريش» [2].

كما أنها تكون في هذه الحالة نهاية مقطع مغلق"**رَأْ**"- "**دِئْ**" – "**مُؤْ**" (ص ح ص) فتخفض و تتحول إلى ما يناسب الحركة التي قبلها وهو الصائت المماثل للفتحة ألف المد في "**رَاس**" "**رَايْ**" "**فَار**"، و الصائت المماثل للكسرة (ياء المد) في: "**دِيب**"، والصائت المماثل للضمة (واو المد) في "**مُومَن**" و ذلك بإدغامها في الحركة السابقة لها فتُطيلُها[3] وبذلك يتحول المقطع الطويل المغلق بصامتين (**ص م ص ص**) في" **رَأْسْ- رَأيْ- فَأْرْ- ذِئْبْ**" إلى مقطع أخف منه و أسهل نطقا (**ص م م ص**)، و هو مقطع طويل مغلق بصامت واحد فقط.

وقد أشار النحاة و اللغويون العرب إلى المواضع التي تُخَفّف فيها الهمزة بإحلال ألف أو واو أو ياء مد محلها، يقول **المبرد:** « و اعلم أن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب- إذا أردت تخفيفها- على مقدار حركة ما قبلها و ذلك في قوله رَأْس، و جُؤْنه، ذِئْب إذا أردت التخفيف: رَاس، جُونَه ذِيب » [4] و يؤكد ذلك **جلال الدين السيوطي** الذي يقول: « أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فتبدلها ألف

---

1 - التهوع: تكلف القيىء.

2 – شرح الشافية ،الرضي الاسترباذي، ج 3، ص: 31 ، 32.

3 - ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، ص 111.

4 - المقتضب، ج 1، ص: 157.

بعد الفتح نحو: وامُرْ اهْلَكَ و واوًا بعد الضم نحو يومنون، وياء بعد الكسر نحو جيت... و سواء أكانت الهمزة فاء أم عينًا أم لامًا» [1].

4- و من نماذج المماثلة المقبلة التامة في حالة الاتصال، تأثير الهمزة المتحركة بالحرف الذي قبلها، فتُبَدَّل إلى جنس الصوت الذي منه حركتها في مثل قولهم:

سَالْ لمْجَرَّب وْ لَ تْسَالْ اطّبيب ← سَال في اسْأل

هْدَرْ و اصنّْت للفَالْ ← الفَال في الفَأل

الذي دعا إلى هذا التماثل المقبل في مساره التام هو التخفيف من ثقل الهمزة، والسعي إلى جعل موضعها أقل أثر على الجهاز النطقي فخُففَت بأنْ جعلت حرف مد من جنس حركة ما قبلها تحقيقا للانسجام الصوتي.

وقد وردت عدة شواهد في مصادر التراث العربي أُبْدِلت فيها الهمزة المتحركة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، يقول سيبويه: « فمن ذلك قولهم مِنْسَاة، و إنّمَا اصْلَها منسَأة» [2].

من ذلك قول حسان بن ثابت [3]:

سَالَت هُذَيْل رَسُولَ الله فاحِشَة   ضَلّت هُذَيْلُ بِمَا سَالَتْ و لَمْ تُصِبِ

الشاهد في هذا البيت " **سَالَت** " و المراد سألت بالهمزة، وإن كان أحمد علم الدين الجندي يرى أن الشاعر ليس من لغته ترك

1- الإتقان في علم القران، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ج 1، ص: 100.
2- كتاب، سيبويه، ج 3، ص: 554.
3- السابق، ج 3، ص: 554، وكذلك: شرح المفصل ابن يعيش، ج9، ص: 114.

الهمـــزة فيقـــول سَالَت إنما هو على التخفيف البدلي الضروري[1].

و من الشواهد الأخرى الدالة على وجود هذه الظاهرة في الفصحى قول الشاعر[2]:

راحَتْ بمسلمة البغّال عَشِيه فارعى فزارة لاَ هَنَاكَ المرتّع

و الشاهد إبدال الشاعر الألف من همزة هنأك.

ب – المماثلة المقبلة الجزئية:

هناك ظواهر واستعمالات كثيرة للمماثلة المقبلة منها:

1– يتحول صوت الدال في منطوق **نَدْرُومة** في بعض الحالات من صفة الجهر إلى صفة الهمس فينطق تاء في مثل قولهم:

- **نْخَاله مَا ثْوَلِّ تْقِيق وْ لعْدُو مَا يْوَلِّ صَنْدِيق** ← **"تْقِيق"** في **"دْقِيق"** بتأثير الكسرة السابقة لها.

- **طويل لْسَان يَفْزَع بَكْلاَمُ و اسَّارق يَلْدَغْ بْصَبْعَانه وْلاَتْ لحْرَام فايَن بَانُو** ← **"اوْلات"** في **"أولاَد"**.

وقد نجد من بين القواعد الصوتية ما يُعِين على تفسير بعض الحالات المماثلة، حين يتنازل الصوت عن جهره إلى الهمس، أو العكس فيقال أنّ المهموس قد جاور حركة مهجورة أو صوتا مهجورا، فاستفاد من جهره. وفكرة تأثير الحركة السابقة واللاحقة

1- ينظر: اللهجات العربية في التراث، ص: 328.

2- كتاب سيبويه، ج3، ص: 554. وكذلك: شرح الشافية للرضي الإستراباذي، ج3، ص: 47.

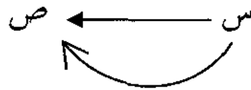
على المهموس فكرة صحيحة من الناحية الصوتية، فقد بين العالم الدانمركي "فَرْنَر **Verner**" أن بعض المهموس قد يصبح مجهورا إذا وقع بين حركتين[1].

و قد وردت عدة أمثلة في مصادر التراث العربي تعاقبت فيها الدال و التاء منها:

« يقال الدَّوْلَج و التَّولج، يقال مَدّ في السَّيْر و مَتَّ، و يقال السِبَنداة و السِبنتاة للجريئة، و يقال للنمر سَبَنْتَى و سَبَنْدَى، و يقال هَرَتِ القصار الثوب و هردَه إذا خرَقه وكذلك هَرَد عرضه و هَرَته» [2].

2- يميل صوت الراء إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له في مثل قولنا:

- **خْطَاكْ لغَرْص في مَارص** ← غَرْص في غَرْس- مَارَص في مَارَس



و كذلك في:

- **كُلْ مَحْنَه تْزِيدْ فرَّاصْ عْقَل** ← رَاص في رَأْس

- **لغْروصة فُوقْ لكُرْسِي مَا تَحْصِي وين تَرَصِّي** ← عْرُوصَه في عَروسَة.

فالناظر إلى هذه الأمثلة يدرك أن مسار التأثير فيها انطلق من المتقدم نحو اللاحق امتثالا لموجبات الصوت المُؤَثِّر (**الرّاء**) عندما يكون مفخما لمجيئه مضموما أو مفتوحا مثل: "**رَاصْ**" "**عْرُوصَه**" "**مَارَصْ**"، وما يستلزمه النظام الصوتي تَخَلِّي صوت السين عن

1- ينظر: اللغة، لفندريس، ص: 67.

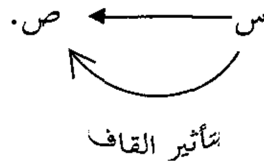
2- الأمالي، أبو إسماعيل بن القالي البغدادي، ج2، ص 112.

استفالِه لصالح نظيره الصاد المستعلي المطبق، لتقاربهما في المخرج، واتحادهما في صفتي الرخاوة والهمس، تحقيقا للانسجام الصوتي وتيسيرا للنطق.

فالتأثير في صوت السين في " **غَرْسْ** " نتج عن تأثير مزدوج أوله تأثير حركة الغين في الراء فأكسبها التفخيم، وثانيه تأثير في السين الذي نقلها إلى مخرج الصاد، وفي حالة تغير حركة العين بالضرورة تتغير صفة الراء دون تأثير على السين.

- **لَعْرِيس يَتْعَرَّس و مُول دّار يتهَرّسْ** ← عْرِيس - يتهَرَّسْ بالسين.

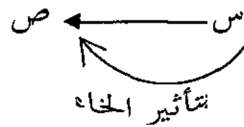
كما ينطق صوت السين صادا إذا كان عليه تأثير من أحد الحروف اللهوية كالقاف في: **يْقَصَّرْ** بمعنى يَسْهَر.



أو الخاء في قولهم:

- **لَبْسَه مُورْ لمَيَّت غِير خْصَارَه** ← خْصَارَة في خَسَارَه.

- **اطْمَع يخَصَّر طَبَع** ← يخصَّر في يخسر.



أو الطاء المطبقة في: "**يَعْطَص**" بالصاد عوض السين.

و يكاد يكون هذا التأثير الصوتي شاملا للّهَجَات العربية الحديثة، فلم تخْلُ منه أيةُ لهجة من هذه اللهجات[1].

3- من صور التماثل المقبل الجزئي في منطوق ندرومة تفخيم صوت اللام إذا كان مسبوقا بأحد الأصوات المستعملة في مثل قولهم:

- طلاّب يَطلُب و مْرَاتُ تصدّق.

- عَمَّر الطلاّب لتطلب علِيه و عمّر اسّارَحْ لا تَسْرَحْ عْلِيه.

- تَكْبَر لبَصلْه و تَرْجَع لأصله.

- نْهَارْ ازّلط قطّع بَصلْه وْ نُص.

- لقَار مْقلّق مَزْهَرْ لقط.

- لْخَمَّاسْ يَا عَاصِي رّاص يَا للِي مَخَلّ وْلادَك و تَخْدَم عْلَ وْلاد نّاس.

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن اللام فخّمت اللام في: "**طَلاب**" "**يطْلب**" "**بصْلــه**" "**اصْلــه**" "**مْقلــق**" "**خَــل**"، بتأثير أحد الأصوات المستعلية السابقة لها، والفرق بين اللّام المرققة واللّام المفخَّمة يكون في وضع اللسان، إذ أنها ترتفع ناحية الطبق في حالــة اللام المفخمــة، وتنخفض إلى قاع الفم في حالــة اللام المرققــة[2]، يقول

1- ينظر: فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، ص: 142.

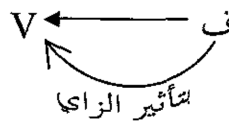
2 - ينظر: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، ص: 48.

جَانْ كَانْتِينو: « إذا كانَت اللام مسبوقة مباشرة بإحدى الحروف المطبقة الأربعة هي الصاد والطاء و الضاد و الظاء لزم التغليظ» [1].

4- يتحول صوت الفاء في اللهجة من صفة الهمس إلى صفة الجهر فيقترب من مخرج حرف (v) اللّاتيني لما يتميز به من خاصية الجهر إذا جاوز صوت الزاي في قولهم: "**زْفَطْ** "بمعنى ضْرُب.

زَافَطْ بْرَيه بمعنى بعث بِرِسَالة.

والذي دعا إلى هذا التماثل أن الفاء صوت مهموس جاور صوت الزاي المجهور فانْجَرَّ عن هذا التتابع نسق صوتي مرفوض، و لإزالة هذا التنافي والاستثقال وبَعْث الانسجام بين المُتَمَاسَين تحولت الفاء من صفة الهمس إلى صفة الجهر فاقتربت من مخرج حرف (v) اللاتيني.



5 – كما تتغير صفة الباء من الجهر إلى الهمس فيتحول إلى نظيره المهموس الذي يرمز إليه في الكتابة الأوربية بالرمز (پ) (P) بتأثير الطاء المهموسة سواء أكانت أصيلة أومنقلبة عن الظاء أو الضاد في مثل قولهم:

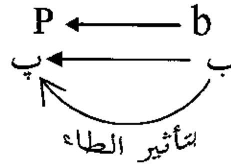
- سَالْ لَمْجَرَّبْ وْ لَ تْسَالْ طّبِيب ← طْبيب

---

1 - دروس في علم الأصوات العربية ، ص: 79.

- طَرْپه بَلفَاس خِير عشرة بَلقادوم ← طَرْپه في ضَرْبه بالطاء بدلا من الضاد.

و في طْپابْ في ضْبَاب.



كما نجد اللهجة قد أحالت صوت الباء المجهور (**ب**) في كلمات نحو:

"**سَبْت** Sabt" و "**نَبْت** Nabt" إلى صوت الباء المهموس"**پ**" وذلك لمجاورة الباء المجهورة صوتين مهموسين فنطقت "**سَبْت** Sapt"، و "**نَبْت** Napt".

6- يتحول صوت السين من صفة الهمس إلى صفة الجهر بتأثير الراء المجهورة قبله فينطق زايا في قولهم:

مهراس ← مهراز



أثرت الراء المجهورة في السين المهموسة و أبدلتها إلى مجانسها المناسب لها جهرا وهو الزاي، وقد أشار اللغويون القدامى منهم **ابن مَكّي الصقَلّي** إلى أن هذا الاستخدام كان جاريا على ألسنة منطقته في القرن الخامس و السادس الهجريين: «يقولون مهراز

والصواب مهراس، ويقولون أمر مزَجَّل والصواب مسَجَّل أي مطلق ويقولون للسرب: زِرْداب والصواب سِرْدَاب بالسين مكسورة»[1].

1- تثقيف اللسان، ابن مكي الصقلي، ص: 85.

ج- المماثلة المدبرة الكلية:

1- مماثلة الهاء للعين مماثلة تامة.

من هذا القبيل ما ورد في قولهم:

- كُلْ شَاة تَتْعَلَّقْ مَكْرَاحًّا ← من كُرَاعْهَا.

وفي: اتَّاعْهُم ← اتَّاحُّمْ
سْمَعْهَا ← سْمَحًّا
شْفَعْهَا ← شْفَحًّا
بَاعْهَالُ ← بَاحًّ لُ
مْنَعْهَا عْلِيه ← مَنَحًّا عليه
طْبَعْهَا ← طْبَحًّا

ع + هـ ← ح ح

والتحليل الصوتي لهذه المماثلة أنّ التقريب الصوتي بين العين والهاء وقلبهما إلى حاءين ثم إدغامهما، جاء نتيجة صعوبة النطق بالعين ساكنة مع الهاء[1]، فصعب نطقهما متتاليين، لأن أصوات الحلق أصعب الأصوات نطقا، وأقلها تآلفا في الكلام، وذلك لصلابة عضَلَة الحلق إذا قيست بمرونة عضلة اللسان والشفتين، فالنطق بواحد منها يتطلب مجهودا أكبر مما لو نطق بغيرها، وأن التلفظ بصوتين حلقيين يضاعف من المجهود ويجعل ذلك عسيرا، فالعين مجهورة مائعة (بين الشدة والرخاوة)، والهاء مهموسة رخوة[2] فثَقُل

1- الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، د. عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص:11.

2 - ينظر: الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص: 180، 183.

النطق بهما، لأن كل واحدة منهما مستثقلة لِنُزولِها في الحلق فكيف بهما مجتمعتين مع تنافرهما[1]، و لم يكن إدغام أحدهما في الآخر لاختلاف صفة الجهر والهمس فيهما، وإنما قلبت العين المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الحاء المناظر المهموس لصوت العين المجهور[2] لمجاورته لصوت الهاء المهموس فصار.

" **انْتاحْهُم** "في" **انْتاعْهم** " –" **شَفَحْهَا** " في "**شَفَعْها**"–" **صَرَحْهَا** " في "**صَرَعْها**"، وهكذا في الأمثلة الأخرى، وهذا تأثر رجعي، ثم حدث تطور رجعي آخر إذ تأثرت الهاء بالحاء تأثرا كاملا حتى فَنِيَت فيها فصارت: " **انْتاحُّم** "- " **شَفَحَّا** "- " **صَرَحَّا** " و هذا تأثير تقدمي.

وقد عزا اللغويون القدامى منهم **سيبويه** هذا النطق إلى بعض بني تميم حيث يقلبون العين والهاء حاءين ثم يُدْغِمُون أحدهما في الأخر نحو "**مَحَّم**" و "**مَحَّاؤلاء**" في معهم و مع هؤلاء[3].

وعلى لهجة الإدغام نجد قراءة "يحي بن وثاب": (**أَلَمْ أَحَّد إِلَيْكُم يَا بَنِى آدم**) [4] أحّد في اعْهَد[5].

والمعروف في العربية الفصحى أن الهاء لا تدغم في مُقَارِبها الثاني، وهو العين سواء تقدمت الهاء أم تأخرت، ولا تدعم فيها العين أيضا، إلَّا أَنْ يُقْلَبَ كلٌّ من العين والهاء حائَيْن، يقول **سيبويه**: « فان أُدْغِمت لقرب المخرجين لا يُدْغم في الذي قبله، فأبْدِلت مكانها أشبه الحرفين بها، ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه، ولكنْ لِيكون

1 – شرح الشافية، الرضي الاستراباذي، ج3، ص: 265 ، 266.
2 – ينظر: الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص: 182.
3 – ينظر: كتاب سيبويه، ج4، ص:450، و كذلك: شرح الشافية، ج3، ص: 266.
4 – سورة يس الآية رقم :60.
5 – ينظر: البحر المحيط، ج9 ، ص:87، 88.

في الذي هو من مخرجه ولَمْ يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق لأنها خالفتَا في الهمس والرخاوة فوقع الإدغام لقرب المخرجين، ولَمْ تَقْوَ عليها العين، إذْ خالفتها فيما ذَكَرْتُ لك، ولَمْ تكُنْ حروف الحلق أصلا للإدغام، ومع هذا فإنّ التقاء الحاءين أخَفّ في الكلام من التقاء العينين، ألا ترى أن التقاءهما في باب رددت أكثر، و المهموس أخَفّ من المجهور، فكل هذا يباعد العين من الإدغام إذا كانت هي والهاء من حروف الحلق و مثل ذلك: اجْبَه عَنَبَهُ في الإدغام و البيان وإذا أردت الإدغام حولت العين حاء ثم أدغمت الهاء فيها فصارتا حَاءَيْن و البيان أحسن»[1].

وقد أكّدَ **جَانْ كَانْتِينو** قولَ **سيبويه** عندما أشار إلى التغييرات التي تطرأ على العين وانتقالها من الجهر إلى الهمس و أبدالها حاء في اللهجات العربية[2].

2- من صور التأثير المدبر التام، إدغام الهاء في الحاء فو قولهم:

- **قَتَحَّا و الله لاَ يَرْبَحَّا** ←" فْتَحَّا" في فَتَحَها – "يَرْبَحَّا" في يَرْبَحَها.

- **صَيَّحَا بْعِيد** ← "صَيَّحَّا" في صَيَّحَها أي رمَاها بعيدا.

ما يلاحظ: أن الهاء -و هي الأنزل إلى الحلق- تأثّرَت بالحاء تأثرا رجعيا، فقلبت إليها وأُدْغِم المِثْلَان تخفيفا وتكون المعادلة كالتالي: **ح + هـ ⟸ ح ح** مماثلة رجعية.

والعلّة الصوتية في هذا التماثل هو أن الصوتين مُتَقاربين مخرجا، وليس بينهما كما يقول **المبرد** إلّا أنّ الحاء من وسط الحلق و الهاء من أوّله، و هما مهموستان رخويتان[3]، كما أن النطق بصوتين حلقيين يحتاج إلى جهد، والتقاؤهما مستثقل فانقلبت الهاء حاء ثم

1- كتاب سيبويه، ج4، ص:449 ، 450.
2- ينظر: دروس في علم الأصوات العربية، ص : 120 ، 121.
3- المقتضب، المبرد، ج 1، دار الكتب العلمية، ص: 234.

حدثت عملية الإدغام على الأصل، ومِثْل هذا الإدغام الذي آلت إليه اللهجات العامية موجود في العربية الفصحى: « و لكن إن شئت قلبت الهاء حاء إذا كانت بعد الحاء وأدغمت، ليكون الإدغام فيما قرب من الفم و ذلك قولك "**اصْلِحَّيْثمَا**" تريد :" **اصْلِحْ هَيْثَمًا**" فأما أن تَدَعها من غير أن تقلبها فلا »[1] فاللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية تتَّجِه في الغالب إلى تخليص أنساقها الصوتية من الثِقَل وعُسْر النطق بالتِمَاس ظاهرة التماثل، ونشير ههنا أن الحاء لا تدغم في الهاء، والدّاعي الذي أفضى بذلك هو أن الهاء أدخلُ في الحَلْق من الحاء والإدغام في حروف الحَلْق لا يقلب فيه الأخرج إلى الفم إلى جنس الأدْخَل في الحَلْق يقول **سيبويه**: « و لا أقوى على الإدغام ومثل ذلك امْدَحْ هِلَالا فلا تُدْغَم»[2].

3- من قبيل المماثلة المدبرة التامة، ما جاء في المثل الشعبي:

- سَبْعْ **خَافْ نْهَر دِ طَاحْ زَحَّاف** ← سْبَخَّاف في: سْبَعْ خَاف.

و في قولهـــم:

- **وَسَخَّاطْرَك** في وَسِّع خَاطرك.

- **صْفَخَّاه** في صْفَعْ خَاه.

يتضح من هذه الأمثلة أن العين الساكنة جاورت الخاء التالية لها فقلبت إلى خاء التي أُدْغِمَتْ في أختها و هذا تأثر رجعي، وتصبح المعادلة الصوتية كالتالي:

ع + خ ⇐ خ خ.

1-السابق، ج1، ص: 234.

2- كتاب سيبويه، ج4، ص: 449.

وتَحَوّل العين إلى خاء مستقيم في اللغة العربية، معروف جائز[1]، وهو انتقال من الأثقل إلى الأخف لأن الخاء أدنى حروف الحلق إلى الفم[2]، وهذا ما أقرته الدراسات اللغوية الحديثة، ويتماشى كذلك مع طبيعة الإنسان التي تنشُدُ الخِفَّة واليُسْر و الاقتصاد في الجهد، وقد علَّلَ **المبرد** إدغام العين في الخاء بقوله: « لأن الغين والخاء أدنى حروف الحلق، والحاء من الثاني، وليس حروف الحلق بأصل للإدغام، فالمخرج الثالث أحرى أن يُدْغَمَ فيما كان معه في الحلق، وهو متصل بحروف الفم ... تقول "**اسْمَخّلَفَا**" تريد **اسْمَع خَلَفًا**» [3]

4- من نماذج التماثل الكلي في حالة إدبار مماثلة العين للحاء مماثلة تامة، كما جاء في قولهم:

- **قطَّحَّبْلْ و اصبْحْ كلّى مَاعَنْدُ وَالو** ← قَطَّحَّبْلُ في قَطَّع حَبْلُه بإدغام العين في الحاء.

تتابع في "**قَطَّعْ حَبْل**" صوتان حَلْقِيان الأول منهما مجهور يُمَثِّل نهاية مقطع وهو بِحُكْم موقعه ضعيف، والثاني مهموس يمثل بداية مقطع وهو موقع يمنحه القوة والحصانة، فأَثَّرَ الثاني في الأول تأثيرا رجعيا، وأدغم المثلان، لأن المتماسين إذا كان الثاني منهما أَشَدّ تَمَكُّنًا مِنَ الذي يَسْبِقُه وتَقَاربا لَمْ يَصْلُحْ إلا إدغام الأول في الثاني، لأن من أسباب حدوث المماثلة بين الأصوات في الإدغام الرجعي هي القُوَّة الموْقِعية، وذلك حين يكون الصوت المؤَثِّرُ يُمَثِّل بدايَةَ مَقْطَع في حين يحتل الصوت المُتَأَثِّر نهاية مَقْطَع[4] وتكون المعادلة:

1- ينظر: المقتضب، المبرد، طبعة دار الكتب العلمية، ج1، ص: 235

2- ينظر: شرح الشافية، ج3، ص 265

3 - المقتضب المبرد،ج 1، ص: 235.

4- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص: 238.

ع + ح ⟸ح ح مماثلة رجعية.

ويرى النحاة واللغويون العرب القدامى أنه إذا اجتمعت العين والحاء سواء أكانت العين متقدمة أو متأخرة عنها جاز الإدغام على لفظ الحاء، لأنهما من مخرج واحد، خاصة إذا كانت العين متقدمة وساكنة يقول **سيبويه**:« العين مع الحاء كقولك **اقْطَعْ حَّمَلًا** الإدغام حَسَنٌ والبَيَانُ حسَنٌ لأنهما من مخرج واحد، ولَمْ تُدْغَمْ الحاء في العين في قولك **امْدَحْ عَرَفَه** لأن الحاء قد يَفِرُّون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجْرَيَتْ مجرى الميم مع الباء فجعلتها بمنزلة الهاء كما جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء، ولَمْ تَقْوَ العين على الحاء، إذ كانت هذه قصتها و هما من المخرج الثاني من الحلق وليست حروف الحلق بأصل للإدغام»[1] و يمثل **المبرد** لهذا النوع من الإدغام الرجعي بِ "**اصْلَحَّامِر**" و "**اذْفَحَّاتِمًا**" والأصل: **اصْلَحْ عَامِرًا**، و **اذْفَعْ حَاتِمًا**[2].

5- قد تخرج اللهجة أحيانا عن القاعدة الصوتية التي تقول إنّ الصوت الأثقل يُقْلَب إلى الأخف، ولا يُدْغَم حَلقي في حَلقي آخر أَدْخَل منه[3] و هي ليست شائعة في الخطابات اليومية عند سكان المنطقة، لأن الإنسان ميَّال بطبعه إلى السهولة والتيسير ومن ذلك قولهم:

"**صْبَخَّايَفْ**" في صْبَحْ خَايف ⟸ ح خ ⟸ خ خ.

"**بَصَّخَّبَرْتَه**" في بَصَّحْ خَبَرْته ⟸ ح خ ⟸ خ خ.

---

1 - كتاب سيبويه، ج 4، ص: 451.

2- ينظر: المقتضب، ج 1، ص: 264.

3- شرح الشافية، الرضي الإستراباذي، ج1، ص 264.

حيث تتابع في: "**صَبَحْ خَايَفْ**" و "**بَصَّحْ خَبَّرْتَه**" صوتان حلقيان الحاء والخاء فصَعُب نطقهما، لأن أصوات الحلق أصعب الأصوات نطقا، وعلّة هذا التأثر أنّ صوت الحاء رخو مهموس مرقّق والخاء رخو مهموس شبه مفخم[1]، فلما جاورت الحاء الخاء تأثرت بها وفَنِيَتْ فيها و هو تأثر رجعي و بذلك تصبح المعادلة:

ح + خ ⇐ خ خ.

و هذا التأثير الرجعي بين الحاء والخاء له ما يفسِّرُه في المنطقة التي يغلب على سكانها طابع البداوة، والبدو يميلون في نطقهم إلى الحروف المفخمة التي لها رنة في الآذان مما يُلَائم طباعَهُم و خشونَتَهُم.

6- من نماذج التأثير المدبر التام في منطوق ندرومة، مماثلة النون للّام مماثلة تامة، ويتجلى ذلك في قولهم:

- **لِلِي كالّك عَبْد كُولُّ خَادَم** ← كَالَّكْ فِي كَانْ لَك.

- **شَرْبَه مَلّبْحَرْ وْلَ جْمِيلَ لقرّاب** ← مَلَّبْحَر من البحر.

- **فِيَدُّ پيطه وْ خَاتَمْ ذهبية و خَاي جَايْ مَلّعْروبيه** ← مَلّعْروبيه في: من العروبية.

التقت النون الساكنة في " **كَانْ لَكْ** " " **كُونْ لُ** " " **مَنْ الْبَحَرْ** " باللام المتحركة و لتقاربهما في المخرج (صوتان لثويان)، واتفاقهما في الجهر وفي التَوَسُّط بين الشدَّة والرخاوة[2] سوغَ قلب النون لاما و إدغامها في اللّام الأصلية فتصبح المعادلة:

1- ينظر: الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص 179 ، 182.

2- ينظر: السابق، ص: 173 ، 174.

ن + ل ⇐ ل ل.

وقد عَلَّل **سيبويه** إدغام النون في اللام قائلا: « و تدغم في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان، ولذلك قولك: منْ لَكَ فإنْ شئت كان إدغاما بلا غُنَّة فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإنْ شئت أدغمت بغُنَّة لأن لها صوتا من الخياشيم فتُركَ على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب فيغلب عليه الاتفاق» [1].

7- كما تماثل النون للياء مماثلة تامة، جاء في قولهم:

- كَلْمَة عْطِينِي مَا خَلاَّتْ مَيَّبْغِينِي ← مَيَّبْغِينِي في: مَنْ يَبْغِينِي.

جاورت النون الياء، فكان بينهما هذا التجافي والتنافر الصوتي، لأنَّ الناطق يستثقل هذا المركب الذي يتشكل من نون ساكنة متبوعة بياء دون فاصل بينهما، وذلك لأنَّ اللسان يعمل معهما في موضعين، فالنون يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثّة، حتى إذا وصل الهواء إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف[2]، وفي صناعة الياء ترتفع مقدمة اللسان باتجاه الغار مع انفراج في الشفتين، فإنتاجها من شَجَرِ الفم [3]، ولا شك أن في نطق هذين الصوتين متتابعين جُهْدًا و مَشَقَةً، وللتخلص من ذلك تُقْلَبُ النون ياء وتُنْطَقُ أي الياء من الفم و الأنف معا، فهو نوع من القلب تبعه إدغام، و لكنه إدغام ناقص لأنّ النون لم تتحَوّلْ إلى كل صفات الياء[4].

1- كتاب سيبويه، ج4، ص: 452.
2- ينظر الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل، ص: 173 – 174.
3- نفسه، ص: 176 ، 210.
4- ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص:73.

ومما جاء في القرآن الكريم مؤيدا لهذا التماثل نذكر قوله تعالى: (**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً، وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْماً مُبِينًا**) [1].

وقد ذكر **المبرد** أن النون تدغم في الياء: «وتدغم في الياء نحو: مَنْ يُريد ومَنْ يَقُوم»[2].

8- كما تدغم النون في الراء إدغاما رجعيا من ذلك قولهم:

- **زيادة مَرَّاص لَحْمَق** ← مَرَّاص في: "مَنْ رَاسْ" بتفخيم السين.

جاورت النون وهي ساكنة الراء وكلاهما صوت لثوي، متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور[3] فتأثرت النون بالراء تأثيرا رجعيا، و أدغمت فيها فأصبحت الصيغة:

ن + ر = ر ر.

وقد وردت عدة أمثلة في مصادر التراث العربي، أدغمت فيها النون في الراء منا قول **الخليل بن أحمد الفراهيدي:** « ضَرَبْته فَمَا اصْعَنْرَر... و لكنهم يدغمون النون في الراء فيصير كأنه اصْعَرَّر »[4]، و ما ذكره **سيبويه** من أنَّ النون تُدْغَم مع الرَّاء لقرب

---

1 - سورة النساء، الآية رقم: 110، 111، 112.
2 - المقتضب، ج1، ص: 241.
3 - ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 173، 175.
4 - العين، ج1، ص: 351.

المخرجين على طرف اللسان وذلك قولك: «**مَنْ رَّاشد و منْ رَّأيت** »[1] وقد موثلت النون في الرّاء بعدها، وذلك في قوله تعالى: (**أن رآه استغنى**)[2]حيث تنطق" **أرَّآه** "

ومن بين الأسباب التي جعلت النون تفنَى في الراء، القُوّة التي يتميز بها صوت الراء نتيجة التكرير الناتج عن القَرَعَات المتتابعة والسريعة لِلّسان ضد اللّثة فكأنها في النطق أكثر من صوت، وهذا يكسبها وضوحا في السمع و قوَّةً و تفخيما، ولهذا كانت الراء أقوى الصوامت إسماعا ووُضُوحا، ومن أكثر الصوامت شيوعا في العربية[3]، ونظرا لوضوحها السمعي وتفخيمها اللذين هما ثمرة تكريرها فقد تغلبت على النون في الأمثلة الواردة.

9- قد تخرج اللهجة أحيانا عن القاعدة الصوتية التي تقول إنّ النون لا تدغم إلا في خمسة أحرف هذا باتفاق النحاة و هي الياء و اللام و الراء و الميم و الواو[4]، فقد أدغمت في الدّال من ذلك قولهم:

- **هْرَبْ مَدِّيب طَاح في جْرَاه** ← "**مَدِّيب**" في "**منْ دِيبْ**" و هناك من يقول:

- **هْرَبْ مَدِّيبْ حَطّ عْلَ غَاره** ← "**مَدِّيب**" في." **منْ دِيبْ**"

- **يا مْزَوق مَمْبَرّ كيف حَالَك مَدَّاخَل** ←" **مَدّاخل**" في "**من الداخل**".

والذي دعا إلى هذا التماثل التام في صورته الرجعية أن النون والدال يتقاربان في المخرج، فكلاهما يتشكل عن طريق التصاق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا مع

---

1 - كتاب سيبويه، ج 4، ص: 452.

2 - سورة العلق، الآية رقم 7.

3- ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، علي موسى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، د.ط، ص: 25.

4- المقتضب، المبرد، ج 4، ص: 452.

تسرب الهواء عبر التجويف الأنفي، عند النطق بالنون، كما يشتركان في صفة الجهر [1]، وقد أدى هذا التقارب بينهما إلى إدغام الصوت الأول في الثاني.

10- كما تدغم النون في أصوات أخرى، مثل القاف من ذلك قولهم:

- مَا يْدَه بْلَ مَا مْقَلّت لقْهَامَه ← " مْقَلَّتْ "في "مِنْ قِلّة".

رغم أن مخرج القاف لهوي، بعيد عن مخرج النون (لثوي)، إلا أن القاف أثرت على النون، لما تتميز به من قوة اكتسبتها من صفة الاستعلاء والتفخيم. و معروف أن الإنسان يميل عادة إلى كل ما من شأنه تيسير عملية النطق، فَكَأَنَّ هنا ثَقُلَ عليه الجمع بين مُسْتَعْلي ومُسْتَفِل في كلمة واحدة فآثر المستعلي، لما فيه من قوة ووضوح استلزاما للنظام الصوتي وتسهيلا للنطق، و هو ما يميل إليه البدو لما للأصوات المستعلية من رنّة في آذاهم.

11- اللّام أكثر الأصوات عرضة للتغير والتأثر بما جاورها والفناء فيه لكثرتها في الكلام أكثر من غيرها، اتصالها بجميع الأصوات، خاصة إذا كانت لاما للتعريف[2]ومن ذلك مماثلة اللام للراء في قولهم:

- لْفُورَّاح مْعَ مْوَالِيه ← "لْفُورَّاح" في "الفُولْ رَاح".

- **يْبَدَرُّوحه** ← في "يْبَدَّلْ روحه".

أدْغِمَتْ اللَّام في الرّاء لكون اللام أقرب الحروف إلى الراء في المخرج و يشتركان في المتوسط بين الشدة و الرخاوة و في الجهر، فتكون المعادلة:

1- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 174.

2 - ينظر: المقتضب، المبرد، ج1، ص : 238 ، 239.

ل + ر = ر ر.

و في العربية الفصحى نماذج كثيرة لإدغام اللام في الراء، من ذلك قولك:

هَرَّأيت[1] في **هَلْ رأيت**، و **اشغَرَحبة**[2] في **اشغل رَحبَه** و يعلّل **سيبويه** هذه المماثلة : «لقرب المخرجين، و لأن فيهما انحرافا نحو اللام قليلا، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجرى الصوت سواء و ليس بين مخرجيهما مخرج» [3].

و قد نص علماء القراءات على وجوب إدغام لام "**هَلْ**" و"**بَلْ**" في الراء إذا اتصلت بها بسبب قرب المخرج، ومن تم فقد قرأ بعض القرَّاء " **بَرّانَ** " بإدغام اللام في الرّاء[4] في قوله تعالى: (**بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم**)[5] قال الزمخشري: « و قرئ بإدغام اللام في الراء، و بالإظهار والإدغام أجود» [6]

و قد اجتمعت القراءات على مماثلة اللام للراء في مثل: (**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم**)[7] وفي قوله: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**) [8] نظرا للقرب الشديد بينهما في المخرج.

و في منطوق ندرومة و ضواحيها أمثلة كثيرة لمماثلة اللام فيما جاورها، مماثلة تامة من ذلك:

---

1 - كتاب سيبويه، ج4، ص: 457.
2 – السابق، ج4، ص 452.
3 – السابق، ج4، ص: 452.
4 – معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، ج10، ص: 347.
5 –سورة المطففين الآية رقم: 14.
6 – الكشف عن حقائق الترتيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، القاهرة، 1966، ج4، ص: 232.
7 – سورة الكهف الآية رقم 22.
8- سورة طه الآية رقم 114.

أ - إدغامها في التاء في قولهم:

- أنَا بَتَّمْرَة لفمُّو وْهُوَ بَلعُودْ لعَيْنِي ← "بتَّمْرَه" في "بالتَّمْرة"

- ماش لفَايْدَه في مْسَاسَك ارّاص لفَايده فلخبزه و اتّقراص ← "اتَّقْرَاص" في "التقْرَاص".

- لوَّل بلّولْ و اتّالي بتّالي ← "اتّالي" في "التالي".

فالمعادلة تكون: ل + ت ⟸ ت ت.

ب- في الدال:

- اجّار قبَلْ ادّار ⟸ "ادّار" في "الدَار".

- كِ ادِّيك يَعْرَفْ لُوقَاتْ و مَا يصلّيش ← "ادِّيك" في "الديك".

- لحُرْ بلهَمْزَة و لبَرْهُوش بدَّبزة ← "بدَّبزة" في "الدبزة".

ل + د ⟸ د د.

ج - في الطاء:

- اللهْ غَالبْ يَا اطّالبْ ← "اطَّالَبْ" في "الطَّالَب".

- لكَانْ مَا لخُبْزة مَا عْرَفْتَك يا اطّاجين ← "اطّاجين"في "الطَّاجِين".

ل + ط ⟸ ط ط.

د- في السين:

- مَا خَصْ اسَّاسِي غِيرْ لخواصِي ← "اسَّاسي" في "السَاسِي".

- لبَابْ لمَحْلُوله دَّخَلْ اسَّبَعْ و لغُولة ← "اسْبَع" في "السَّبع".

ل + س ⇐ س س.

هـ - في الصاد:

- اصَّابَرْ يْنَالْ ← "اصَّابَر" في "الصَابر".

ل + ص ⇐ ص ص.

و ـ في الزاي:

- لبْعِيدْ عْلَ ازّازه يَسَّمَّى عَاقَل ← "ازَّازه" في "الزازة".

- انْهَارْ ازَّلط قطَّع يَصْلَه و نُصْ ← "ازّلْط" في "الزَّلْط".

ل + ز ⇐ ز ز.

ز- في الشين:

- اشّيعَة عْلَ ضِيفْ و اشّبْعَة عْلَ مُولْ ادّار ← "اشّيعَه" في "الشيعة"، و "اشّبْعَه" في "الشبعة".

ل + ش ⇐ ش ش.

ح- في الضاد:

- اضّيف ما يَتْشَرَّط وْ مُولْ ادَّار مَا يْفَرَّط ← "اضّيف" في "الضيف".

ل + ض ⇐ ض ض.

ط- في النون:

- لِلِي يْرَبِّ اوْلاَد انَّاسْ كِلِّي يْدق فلمَهراز ← "انّاس" في "النّاس".

- لِلِي كَمْلَت ايَّامُ مَا يطْمَعْش في ايّامْ انّاسْ ← "انّاس" في "النّاس".

يتضح مما ذكرناه أن جميع الأصوات التي أدغمت فيها اللام تندرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج، الأصوات الأسنانية اللثوية « فهذه الحروف منها أحد عشر حرفا مجاورة ل "اللام" و هي الراء- النون- الطاء- وأختاها الدال والتاء و الظاء وأختاها الذال والثاء والزاي وأختاها الصاد والسين والحرفان اللذان يبعدان من مخرجهما ويتصلان بها في التفشي الذي فيهما الشين و الضاد»[1].

وعلّة مماثلة اللام لهذه الأصوات تكون صوت اللام هو الأضعف لأن لام التعريف أبدا ساكنة، وسكونها يعني أنها في نهاية مقطع مغلق، بينما الأصوات التالية لها تمثل بداية مقطع قصير و لهذا كانت هي الأقوى فأثّرت في اللام كما يتفق مثلها يقول **المبرد:** «وإنما كان ذلك لازما في لام المعرفة لعلتين: أحداهما كثرة لام المعرفة، وأنه لا يعرى منكور منها، إذا أردت تعريفه، والأخرى أن هذه اللام لازم لها السكون فليست بمنزلة ما يتحرك في بعض المواضع»[2].

كما يتفق **مكي بن أبي طالب** مع **المبرد** في تعليله لمماثلة اللام لهذه الأصوات قائلا: « وعلة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلمَّا سكنت و لزَمَها السكون أشبهت اجتماع المثلين و الأول ساكن وكثر

1 - المقتضب ، المبرد، ج1، ص: 238.

2- السابق، ج 1، ص: 238.

الاستعمال لها، مع أن أكثر هذه الحروف أقوى من اللام ليس فيها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء فكان في إدغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك»[1].

ولا شك أن الأصوات التي شيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتغير اللغوي من غيرها، فقد وردت اللام في القران الكريم 33022 مرة[2]. كما أن نسبة شيوعها حوالي 127 مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة[3].

12- من صـــور المماثلـــة المدبـــرة الكليـــة: مماثلـــة الراء للام مماثلـــة تامـــة كما جـــاء في قولهـــم:

- نْدِلّكْ سَعْدَلْ فَيْدَّك ← **"نْدِلّكْ في نْديرْلَكْ"**

- مَا يَنْفَعَكْ غِيلّليك ← **"غِيرْ لليكْ"**.

إن مسار التأثير في **"نْدِيرلَك"** و **"غِيرْلِلِيكْ"** انطلق من صوت اللام نحو صوت الراء، أي أن هذا التأثير رجعي، والذي دعا إلى ذلك هو قرب اللام والراء في المخرج، واتحادهما في الصفة فهما صوتان لثويان يشتركان في التوسط بين الشدة والرخاوة و في الجهر[4]، كما أن الصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها مما يتطلب بذل مجهود أكثر، فأدغمت في اللام تجنبا لتلك الضربات المتكررة، قصد الإسراع بالحركة النطقية وتخفيفها :« وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء »[5].

1- الكشف عن وجوه القراءات تحقيق محي الدين رمضان، القاهرة، 1974، ج1، ص: 141.

2- ينظر: البنية اللغوية،لبردة البوصيري، رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط ، 1993، ص : 59.

3 – ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 203.

4 – ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص: 175،174.

5 – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 200.

بالإضافــة إلى أن الراء في " **نْديرْلَك** " وفي " **غيرْللِيك** " تمثل نهايــة مقطــع وهو بحكم موقعــه ضعيف، واللام تمثل بدايــة مقطــع، وهو موقع يمنحــه القــوة فأثّر الثاني في الأول تأثيــرا رجعيــا.

ومن صور هذا التماثــل في القــرآن الكريــم قولــه عــز وجَــلّ: (**قُل إنْ كُنتُمْ تُحِبُّون الله فاتبعوني يُحْبِبْكُم الله و يَغْفِر لّكم ذنوبكم**)[1] بإدغــام الراء في اللام في "**يغفر لكم**".

13- تتنازل الدال الساكنة عن جهرها لصالح مماسها التاء في صيغة "فعلت" فتفنى فيها فناء تاما في مثل قولهم:

- **سِيدي زِينْ و زاتُّه حَبَّه فْلعِين** ← "**زَاتُّه**" في زادته.

و في:

- **وْعَتُّه** ← وَعَدْتُه.

- **رْفَتُّه** ← رَفَدْتُه.

- **حْسَتّهُ** ← حْسَدَتَه

في هذه الأمثلة جاورت الدال و هي ساكنة التاء، وكلاهما صوت أسناني لثوي، فتأثرت الدال المجهورة بالتاء فهمست مثلها ونطقت تاء فصار لنا تاءان، فأدغمت الأولى في الثانية ونطقتا صوتا واحدا، و يمكن تفسير ذلك على النحو التالي:

زَادَته ← زاتْتَه ← زاتُّه ⟸ **د + ت ⟸ ت ت.**

---

1 - سورة آل عمران الآية رقم 31.

وْعَدْتُه ← وْعَتْتُه ← وْعَتُّه ⇐ د + ت ⇐ ت ت.

رْفَدْتُه ← رْفَتْتُه ← رْفَتُّه ⇐ د + ت ⇐ ت ت.

حْسَدْتَه ← حْسَتْتَه ← حْسَتُّه ⇐ د + ت ⇐ ت ت.

والتفسير الصوتي لهذا التماثل المدبر الكلي هو أن الناطق بحرفين متواليين إذا تماثلا أو تشابها فإن آلة النطق لكي تنطق بالحرف الثاني تحتاج إلى أن تُحَرِّك الحركة التي تحركها لكي تنطق بالحرف الأول منها لأن الناطق لا يجيء بهذه الحركة إلا مرة واحدة فحين ينطق بكلمة "وْعَدْتُ" دون إدغام يضع لسانه النطق بالدال ثم لا يزيله عن موضعه بمجرد النطق بها لكي يعيده إلى الموضع نفسه، لينطق بالتاء، بل يظل لسانه في موضعه حتى يتم نطق التاء التي هي من مخرج الدال. فرغم أن الدال أقوى من التاء بالجهر، و لكن تغلبت على الدال ههنا نظرا لكونها في بداية مقطع مغلق، فالذي في بداية المقطع هو الأقوى وهو المؤثِّر أيّا كان مجهورا أو مهموسا[1] و لأجل السهولة والاقتصاد في الجهد تدغم الدال في التاء.

وقد وردت أمثلة كثيرة في القرآن أدغمت فيها الدال في التاء مثل قوله تعالى : (وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ) [2] تنطق "عَبَتُّم" وفي قوله عز وجل: (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَ الأَنْصَارِ) [3] حيث تنطق" لَقَتَّابَ" وقوله كذلك: (وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ) [4] فتنطق " قَتَّعْلَمُون ".

1 - ينظر: اثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د.فوزي الشايب، ص: 212.
2 - سورة الكافرون الآية رقم 04.
3 - سورة التوبة الآية رقم 117.
4 - سورة الصف الآية رقم 5.

14- من صور التماثل المدبر التام في الخطابات اليومية لسكان المنطقة، تأثر تاء (**تفعَّل وتفاعَل**) في المضارع بفاء الفعل بعدها إذا كانت صوتا من أصوات الصفير، والأسنان، وقد قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي في قولهم:

يَصَّوَر- يطَّوَع- يذَّكر- يدَّافَع- يَسَّاهل- يَصَّالَح.

ويمكن إبراز التصور الصوتي الذي آلت إليه هذه الأفعال على النحو التالي:

يَتْصَوَر ← يَصْصَور ← يَصَّوَر الماضي منه اصَّور⇐ **ت + ص = صْ صَ⇐ صّ.**

يَتطَوَع ← يَطْطَوع ← يْطَّوَع الماضي منه اطَّوع ⇐ **ت + ط ⇐ طْ طَ ⇐ طّ.**

يَتْذَكَر ← يَدْذكر← يَدَّكر الماضي منه ادَّكر ⇐ **ت + ذ ⇐ د ذ ⇐ دّ.**

يَتْدَافَع ← يَدْدَافع ← يَدَّافَع الماضي منه ادّافع ⇐ **ت + د ⇐ دْ دَ ⇐ دّ.**

يَتْسَاهَل ← يَسْسَاهَلْ ← يَسَّاهَل الماضي منه اسّاهل ⇐ **ت + س⇐سْ سَ⇐ سّ.**

يَتْصَالَح ← يَصْصَالَح ← يَصَّالَح الماضي منه اصّالح ⇐ **ت + ص⇐صْ صَ ⇐ صّ**

الملاحظ في هذه الأمثلة أن التاء جاورت صوتا من جنسها أو مقاربا لها، وأنّ مسار التأثير اتجه من الصوت الثاني (فاء الفعل) نحو الصوت الأول (تاء الفعل) التي تُبَدّل بعد تسكينها صوتا من جنس مماسها ثم تفنى فيه فناء كليا تيسيرا للنطق، وتنتهج العربية سبيلا معينا في تجاوز هذه المعضلة النطقية وذلك بتسكين التاء تخفيفا لها حتى تتصل بمقارها اتصالا مباشرا، ويعلّل **ابن جني** لتسكين حرف التاء ههنا بقوله: « ألا ترى أنك

إنما أسكنته لتخلطه بالثاني و تجذبه إلى مضامّته و مماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه و بينه»[1].

فالتاء الساكنة في: "يَتْصَوَّر" جاورت الصاد، و هما من مخرج واحد (الأسنان واللثة)، فالتاء صوت منفتح و الصاد صوت مطبق و للمطبق قوة التأثير في المنفتح حسب قانون الجهد الأقوى[2] فأدى ذلك إلى إدغام التاء في الصاد.

وكذلك بالنسبة للتاء في "يَطّوّع".

وفي "يَذّكَر" و" يدّافَعْ" تنازلت التاء عن همسها لصالح مماسها المجهورين الدال و الذال.

يرى بعض الدارسين العرب المحدثين أن هذا الاستخدام الذي آلت إليه الصيغتان كان في سبيل التطور في العربية الفصحى عندما نزل القرآن الكريم، ودليل ذلك وجود أمثلة كثيرة في النص القرآني حدث فيها مثل هذا التطور[3] كقوله تعالى:(اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضِ)[4] و قوله:(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ)[5] وقوله :(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)[6] وقوله: (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)[7].

1 - الخصائص، ابن جني، ج2، ص: 140.
2- أشرنا إلى نظرية قانون الجهد الأقوى في الصفحة 59 من بحثنا.
3- ينظر: التطور اللغوي علله و مظاهره و قوانينه، د.رمضان عبد التواب، ص: 28.
4- سورة التوبة، الآية رقم 38.
5- سورة البقرة الآية رفم 269.
6- سورة عبس الآية رقم 03- 04.
7- سورة النمل الآية رقم 47.

و نجد أمثلة في القرآن الكريم لم يحدث فيها هذا التغيير للأصوات كقوله تعـالى : (لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ) [1] وقوله:(وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) [2] وقوله: (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) [3].

وقد نص المتقدمون من النحاة و اللغويين أن العربي يميل إلى الإدغام إذا اجتمع في كلامه صوتان متجانسان أومتقاربان، لأن رفع اللسان رفعة واحدة في موضع واحد أيسر عليه[4] وعرض **سيبويه** لما يحدث في صيغة "**تفعل**" و "**تفاعل**" من تطور معللا ذلك قائلا: « مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يَطّوعُون من يَتَطَوعُون، ويَذّكَرُون في يَتَذَكَرُون و يَسّمَعُون في يَتْسَمَعون، الإدغام في هذا أقوى إذ كان يكون في الانفصال»[5].

يذهب المستشرق الألماني **كارل بروكلمان** إلى أن مَنْحَى التماثل الرجعي الذي اتجهت إليه صيغتا (تفعّل و تَفَاعَل) في تطورها عرفته كل اللغات السامية: « في كل اللغات السامية تدغم تاء الصيغة الانعكاسية في أصوات الصفير، والأصوات الأسنانية، إذا كانت فاء الكلمة، وقد حدث ذلك أول ما حدث في صيغة المضارع... و في العربية قيست الماضي على المضارع الذي حدثت فيه تلك المماثلة»[6].

و مما يؤيد بقاء هذا الاستخدام في اللهجات العامية العربية نذكر ما نقله رمضان عبد التواب من أن صور التخاطب اليومي في مصر ظلّت محتفظة بالتطور الذي أصاب

1- سورة القلم الآية رقم 49.
2- سورة غافر الآية رقم 13.
3- سورة يس الآية رقم 18.
4 - ينظر: كتاب سيبويه، ج4، ص 474.
5 - السابق، ج4، ص: 474.
6 - فقه اللغات السامية،كارل بروكلمان، تعريب رمضان عبد التواب، الرياض، ط1، 1977، ج1، ص: 59 ، 60.

صيغتي "**تَفعّل**" و**تفاعَل**" يقول: « ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلا: فلان **اصّدّعَتْ** دماغُه **واسّرّع** في كلامه **واشّهَى** الأكْل **واصّوَر** و **اطّوَعَ** في الجيش، ولا أثَر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب، إذ لا يقال فيها مثلا فُلَانٌ تَصَدَّعَتْ دِمَاغُهُ و تَسَرَّعَ في كلامه وتَشَهَّى الأكل وتَصَوّر وتطوّع في الجيش»[1] ومن الصيغ التي ماتت أيضا صيغة "**تفَاعَل**" وحلّت محلّها صيغة "**اتْفَاعَل**" فنسمع الآن: «فلان **اطّاوَل** على فلان و **اشّاتَم** هو هو، **واسّاهَل** معاه و **اصَّالْحُوا** سواء بدلا من تَطَاول عليه، يشَاتم و تَسَاهل و تَصَالحَ »[2].

15- من صور التماثل المدبر التام في منطوق ندرومة: أن التاء تتنازل عن همسها لصالح مَمَاسِها الدال من ذلك قولهـــم:

- **ادّخَنْ و لاَ طَاقيه.**

- **لبَاب لمَحْلُوله ادّخَل اسْبَع و لغُولَة.**

فالذي دعا إلى هذا التماثل هو أن التاء الساكنة جاورت الدال، وهما من نفس المخرج (الأسنان و اللثة)، غير أن التاء صوت مهموس والدال صوت مجهور، وللمجهور قوة التأثير في المهموس حسب قانون الأقوى، فأدى ذلك إلى إدغام التاء في الدال تحقيقا للانسجام الصوتي وتيسيرا لعملية النطق واقتصادا في المجهود.

د- المماثلة المدبرة الجزئية:

1- تتأثر النون الساكنة في اللهجـــة بالباء التالية فتقلب إلى صوت من مخرج الباء و هو صوت الميم في قولهـــم:

1 - التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 30.

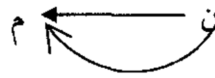
2- السابق، ص: 30.

- بَرْزَانة تَمْبَاع اصَّوف ← تَمْبَاع في تَنْبَاع.

- يَا مْزَوَّقْ مْمَبر وَاش حَالَكْ مَدَّاخل ← مَمَّر في مَنْ بَر.

- اطرَب فَصَّح يمْبَت ← يمْبَت في يَنْبَت.

و في العبارة المعروفة: نْوَرِيك ازنْباع[1] فَايَنْ يَمْبَاع ← يَمْبَاع في يَنْبَاع.



تحت تأثير الباء

تأثرت النون في "مَنْ بَرَّ "، "يَنْبَت"، "يَنْبَاع " وكذلك في "عَنْبَر" "حَنْبَل" "يَنْبَح" بالباء تأثرا رجعيا، فانتقلت من مخرجها إلى مخرج الباء، ونتج عنه أن استُبْدِلَت بصوت نظيرها في المخرج وهو الميم، فالنون من طرف اللسان مع اللثة العليا، والباء من الشفتين، والنطق بالصوتين متتاليين يحتاج إلى بذل جهد كبير لتباعد المخرجين، فالنون بوصفها خيشومية تقتضي انخفاض الحنك اللين، و أما الباء فبوصفها انفجارية تقتضي ارتفاع الحنك اللين، فتحول صوت النون إلى صوت من مخرج الباء له صفة الغنة وهو الميم، وهذا يقلّل من الجهد العضلي[2]،لأن النون تستثقل عند الباء لما بينها من تباين في الصفة، فالأول صوت متوسط بين الشدة والرخاوة والثاني صوت شديد مجهور، فيصعب إظهار

1- نوع من الفاكهة.

2- ينظر: أصوات اللغة العربية، د. حامد عبد الغفار هلال، ص: 235.

النون فأبدلت حرفا وسطا بينها وبين الباء وهو الميم لما فيه من الشبه بالنون في الغُنّة والتوسط و لاشتراكه و الباء في المخرج الشفوي(1).

ولعلّ تعليل **الرضي الاستراباذي** هو أوضح ما يمكن أن تُعَلّل به هذه الظاهرة يقول: « وذلك أنه يعسر التصريح بالنون الساكنة ما قبل الباء،لأن النون الساكنة يجب إخفاؤها مع غير حروف الحلق... والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف فقط، والباء معتمدها الشفة، ويتعسر اعتمادان متواليَان على مخرجي النفس المتباعدين فطلبت حرفا تقلب النون إليها متوسطة بين النون والباء فوجدت هي الميم، لأن فيه الغنة كالنون و هو شفوي كالباء »(2).

وقد نَصّ المتقدمون من النحاة واللغويين على أن سبيل العربية في معالجة ثقل النطق الناجم من تتابع النون و الباء، أن تعمد إلى التقريب بينهما و ذلك بجعل الثانية تؤثر في الأولى فتبدلها صوتا يتفق وإياها مخرجا (3)، إذ يمتنع في الكلام العربي أن يقع في شيء منه ميم ساكنة قبل الباء، و قد وَسَم **سيبويه** هذا النوع من المماثلة بالإبدال يقول: «والميم تكون بدلا من النون في "**عَنْبَر**" و "**شَنْبَاء**" و نحوهما، إذا سكنت وبعدها باء»(4)، فلما آمنوا اللبس أبدلوا النون ميما لأنّ كليهما صوت أَغَن و هذا بغية تيسير النطق والتقليل من الجهد المبذول. و قد عزا **ابن منظور** هذا النطق إلى "عكّل" قولهم: "قَلَمْبَس" في قَلَنبس (5)، ومما جاء في القرآن الكريم مؤيدا لهذا الاستخدام في العربية الفصحى

1- ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 74.
2- شرح الشافية، ج 2، ص: 216.
3- ظواهر التشكيل الصوتي، د. مهدي بوروبة، ص: 216.
4- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 240.
5- لسان العرب مادة (ق ل م س)، ج12، ص: 183.

ولهجاتها نذكر قوله تعالى: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِم)[1] وقوله عز و جل: (لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ)[2]، و في قوله تعالى: (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا)[3].

وقلب النون الساكنة في اللفظ ميما ظاهرة صوتية لا تقتصر على العربية وحدها، بل نجد نظائرها في اللغات الأخرى فكلمة "**Tin**" مثلا يتغير شكلها الصوتي إلى "**Tim**" إذا ما وقعت قبل الصوت الشفوي، كما في"**Tinpan**" فإنها في السياق تنطق"**Timpan**" و المثل البارز:

In + possible → Impossible [4]

بقي أن نشير إلى أن بعض علماء الأصوات المحدثين[5] يذهب إلى وَسْم هذا النوع من التأثير بالمماثلة المخرجية، لأنها أدت إلى اشتراك صوتين في مخرج واحد، فالباء إذا تلت نونا ساكنة جرت مخرجها من اللثة إلى الشفتين حيث مخرج الباء لتصبح النون بذلك ميما في شكل: "**انْبَعَث**" و "**انْبَرَى**" اللتين تنطقان "**امْبَعَث**" و "**امْبَرَى**"[6]

2- تتأثـــر النون الساكنة بالفاء الموالية لها فتقلب إلى صوت قريب من مخرج الفاء و هو صوت الميم في قولهم:

- بُوسْ لكَلب ممفمّه تَقض جَاجتك منّه ← مَمْفمه في من فمه:



1- سورة البقرة الآية رقم: 33.

2- سورة الروم، الآية رقم 4.

3- سورة الشمس، الآية رقم: 12.

4 - Phonetics, O. conner,3rd impression,1976, penguim, great Britain,p:250.

5- منهم على سبيل المثال: د. أحمد مختار عمر، و الأنطاكي.

6- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 326.

إنّ مسار التأثير في هذا المثال انطلق من الصوت الثاني الفاء نحو الصوت الأول النون والتفسير الصوتي لهذا التماثل المدبر الجزئي أن النون صوت لثوي، و الميم صوت شفوي، ونطقها يحتاج إلى بذل جهد كبير لبعد المخرجين، و للتقليل من الجهد العضلي قلبت النون إلى ميم لما بينهما من صفة التوسط و الغنة و لاشتراك الميم و الفاء في المخرج الشفوي [1].

3- يقتـــرب صوت الجيـــم من صوت الشيـــن إذا ورد ساكنا متبوعا بصوت التـــاء في قولهـــم:

- **اشْتَمْعُوا عْلَ رَاصِ** بمعنى اتفقوا عَلَيَّ ← اشتمعُوا في اجتمعوا.

فقدت الجيم في هذا المثال جهرها، ثم ازدادت رخاوتها، و بذلك ماثلت الشين في المخرج، والهمس والرخاوة، والشين تماثلت مع التاء التالية لها في الهمس، فصارت النظير المجهور للشين و هي الجيم الشامية، فكلاهما (**الجيم و الشين**) من أصوات وسط الحنك، ومخرج الجيم عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، ومخرج الشين عند التقاء اللسان و جزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى[2]

والتفسير الصوتي لهذا التطور أن تكون الجيم تحولت من صوت خال من التعطيش إلى صوت معطش، لأن الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك، و يُرَجّح إبراهيم أنيس أن تكون الجيم الخالية من التعطيش هي الأصل وأنها قد بقيت على هذا الأصل السامي في اللغات السامية الأخرى كالعبرية، والسريانية، أما

1- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 74.

2- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص : 77.

في العربية فيبدو أنها تطورت إلى التعطيش ثم زادت نسبة التعطيش مع الزمن، حتى صارت على النحو المألوف لنا في بلاد الشام و بلاد المغرب[1].

وقد حرص القُرّاء على نطق القرآن الكريم نطقا سليما بعيدا عن الزلل، ولشدة حرصهم على الأصوات الشديدة المجهورة التي تعرضت للهمس في بعض اللهجات الكلامية سموها أصوات القلقلة و قلقلوها في نطقهم ليأمنوا بهذا من همسها، فالقلقلة مبالغة في الجهر بالصوت حتى لا تشوبه شائبة من همس، كما شاع في لهجات الكلام، فحين يقع صوت الجيم ساكنا في كلمة من الكلمات مثل اجتمعوا فالجيم المشكلة بالسكون تميل إلى قلبها شينا إذا وليها حرف مهموس مثل التاء.[2]

ويؤكد السلف هذا النوع من التأثير، يقول ابن يعيش: «و أما الجيم التي كالشين فهي تكثر في الجيم الساكنة إذا كان بعدها دال أو تاء نحو قولهم: في **اجْتَمَعُوا**، **والأَجْدَر**، **اشتمعوا**، و **الأَشْدَر** فتقرب الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد» [3]

ذكر ابن مكي الصقلي أن العامة تقول:« **اشْتَرّت** الماشية و الصواب: **اجْتَرّت**، وهو أن **تجْتَرّ** ما في بطنها، و من أمثالهم: "لا أُكَلِّمُكَ مَا اختلفت الجرَّة و الدِّرَّة" أي لا أكلمك أبدا، والدِّرة: اللّبن، و اختلافهما أن الجرّة تعلو الفم و الدرة تسفل إلى الضّرع. و يقولون فلان **مُشْتَهِد** في حاجتك، والصواب **مُجْتَهِد** و هو مفاعل من الجهد» [4].

1- السابق، ص: 82، 83.

2- ينظر: مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، العدد الثالث: المجلد الأول، مقال للدكتور: عزه عبد الفتاح عبد الحكيم بعنوان : مفهوم المضارعة في الفكر النحوي عند سيبويه ص: 16.

3- شرح المفصل، ج 10، ص: 137.

4- تثقيف اللسان، ص: 81.

4- ينطق صوت الجيم في منطوق **ندرومة** شديدا لا رخاوة فيه، حيث يتحول مخرجه من مقدم اللسان إلى ظهره، ليَقْتَرب من أقصى الحنك فيزيد شدة وينطق قَافًا بتأثير صوت الزاي في قولهم:

- قزّار وْ يَنْعَشْ بَوْرَقْ لَقْت ← قزّار في جزّار.

- قُوزْ عْلَى عْدُوك جِيعَان و ما تقُوشْ عْلـــيه عــريان ← قُوزْ في جُوز.



تأخرت الجيم عن مخرجها بالتأثير المدبر للزاي الصفيرية فقلبت إلى جيم وسط حنكية شبيهة بالجيم القاهرية " **ق**".

وهذا النطق المحدث كما في مصر وبعض مناطق اليمن في مثل "جَمَل" إذا اضطروا قالوا "كمل" وهو صوت يشبه صوت الكاف من حيث ظلاله التكوينية في مثل كلمتي: Goal و Game الانجليزية [1] .

يشير **أحمد مختار عمر** إلى أن هذا النطق موجود في اللهجة الحديثة، خاصة في صعيد مصر، وبعض مناطق الجزائر، كما يمكن أن تفسر على أساسه بعض الكلمات الموجودة في سوريا والعراق [2] .

1- ينظر: الأصوات اللغوية ،د.عبد القادر عبد الجليل ،ص: 177.

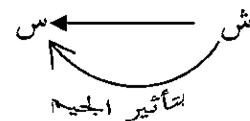
2 – ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 338.

5- من صور المماثلة المدبرة الجزئية في منطوق **نَدْرُومــة** قلب الشيــن إلى سيــن بتأثيــر الجيم التاليــة لها في قولهــم:

- **سَجْرَة لَبّان ادَّخل لـوْطـانْ مَـا يَـكُلْـه غيـر دِ مْرِيـط بَـلْعَلّـه وَ لَّ دِ يْخَـافْ مَلْمـلّه** ← سَجْرَة في شجرة.

و في قولهــم:

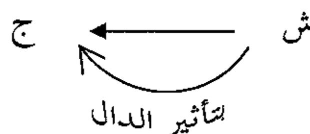
- **اشْهَدَه لَبْطَالْ سُجْعَان حَرُّوا فْرَنْسَا لَخَدَّاعه فِي كُلْ مْكَان** ← سجعان في شجعان.



قلبت الشين إلى سين لاستثقالها الناتج عن التنافر، بتأثير صوت الجيم القريب من مخرجها والمخالف لصفتها فالجيم صوت مجهور، و الشين صوت مهموس، وتأثير الجيم في الشين يتمثل في فقدها ذلك التفشي الذي يُسْمَع عند الالتقاء في نقطة الإخراج الصوتي، فتتسع درجة التضييق و تقلب إلى سين.

6- كمــا يقتــرب صوت الشــين من الجيــم حين تكون ساكنــة متبوعــة بصوت الــدّال في قولهــم:

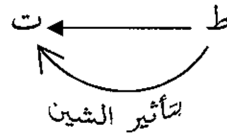
- **طالَب يَخْدَم على اجْدَق و مْرَاتُ تصَدَّق** ← اجْدَق في الشدق.



وعلّة هذا التأثير أن **الشين** صوت رخو مهموس جاور صوت **الدّال** الشديد المجهور، فلما كان بين جَرَسَيْهِما هذا التّنَافي أبْدِلت الشين جيما، حتّى يتماثل الصوتان (**الجيم** و **الدال**) لأنهما يشتركان في صفة الجهر و بذلك يتحقق الانسجام الصوتي والتوافق بين المتماسين عن طريق إدناء الشين من الدال و جعلهما معا مجهورين.

7- من قبيل المماثلة المدبرة الجزئية في منطوق **نَدْرُومة**، ترقيق صوت الطاء في بعض الحالات، و ذلك إذا كان ساكنا متبوعا بحرف الشين، فيقترب من مخرج التاء و قد ورد ذلك في قولهم:

- **وْصَلْ للوَاد وَ لَّ عَتْشان** ← عَتْشَان في عطشان.



والسبب في هذا التأثير هو انحباس الهواء عند مخرج الطاء، وبعد حدوث الانفجار ينحرف جزئيا نحو مخرج الشين فتتحول الطاء إلى تاء، لأنّ الطاء هو النظير المفخم لصوت التاء المرقّق[1].

وقد وردت عدة شواهد تعاقبت فيها الطاء و التاء قال **الأصْمَعي**: « الأقْطار والأقْتار، النواحي يقال وقع على أحد قطْرَيه، و على أحد قتْرَيه، أي إحدى ناحيته، ويقال طَعَنَه فَقَطَره، وقَتَرَه إذا ألقاه على أحد قطريه و يقال رجل طَبِن و تَبِن أي فَطِن حَاذق و يقال ما استَطِيع وما استَتِيع» [2].

1- ينظر: الأصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل، ص: 161.

2- الأمالي، أبو إسماعيل بن القالي البغدادي ، ج2، ص: 156.

8- و بالمقابل تفخّم التاء فتنطق طاء تحت تأثير صوت الراء المجاور لها في مثل:

- فْلاَن طْرَاري.

- لِيطْرَه زيت.

- مِيطْرَة كتّان.



إن مسار التأثير في هذه الأمثلة انطلق من الصوت الثاني (الرّاء) نحو الصوت الأول (التاء). والتفسير الصوتي لهذا التماثل المدبر الجزئي هو أنّ كلا الصوتين أسناني لثوي شديد مهموس، ومخرجهما واحد، غير أن الطاء صوت مطبق مستعل مفخم، والتاء نظيره المرقق كما ذكرنا آنفا، فلما جاورت التاء صوت الراء المفخم ههنا تأثرت به فنطقت طاء تحقيقا للانسجام الصوتي.

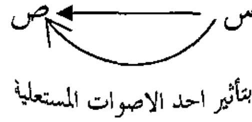
ونطق التاء المرققة طاء مطبقة تحت تأثير الراء له ما يبرره من الناحية الصوتية في هذا المنطوق، فقبائل **ندرومة** يغلب عليها طابع البداوة، و البدو كما هو معروف يميلون في نطقهم إلى الحروف المفخمة لأن لها رنة في الآذان مما يلائم طباعهم و خشونتهم، فاختَصّت الأصوات المطبقة باللسان البدوي، و في ذلك تيسير لعملية النطق، وهو ما تَحْرِص عليه القبائل البدوية، و نحرص عليه نحن في عاميتنا.

9- تتأثر السين بالأصوات المفخمة بعدها فتُفَخّم في منطوق **نَدْرومة** و تنطق صادا بتأثير أحد الأصوات المستعلية في قولهم:

- صُلْطان بتَّاج و يَحْتاج ← صُلْطان في سُلْطان.

- الله يْصَخَّر ← يصَخّر في يسَخّر.

- اجْمَل ما يَمْضَغْش فصُّوق ← صُوق في سوق



بتأثير احد الاصوات المستعلية

فالذي دعا إلى التماثل الجزئي في هذه الأمثلة أنه اجتمع صوتان الأول منهما السين صوت مستقل، يتخذ معه اللسان وضعا مستويا في قاع الفم و ثانيها الطاء والخاء والقاف، وهي أصوات مستعلية يعمل اللسان معها متصعدا صوب الحنك الأعلى، فيصعب الانتقال من وضعية الإستفال إلى وضعية الاستعلاء لما في ذلك من كُلْفة، وهروبا من هاتين الحركتين المتناقضتين القريبَتَيْن من بعضهما، وحتّى يعمل اللسان فيهما متَصَعدا في الحنك عملا واحدا، واستلزاما للنظام الصوتي وإرْضَاءً للذوق، وحتى تقترب من ملاحقها صفة وتسهيلا للنطق وتيسيرا له، تخَلّت السين عن استِفَالها لصالح نظيرها المستعلي المطبق الصاد التي تشترك مع السين في المخرج، الهمس و الرخاوة و توافق الطاء و الخاء و القاف في الإطباق و الاستعلاء، و هو ما يميل إليه البدو في نطقهم لما للاستعلاء و الإطباق من رنة في آذاهم.

وقد فَسّر السلف قلب السين صادا منهم **ابن مجاهد** الذي يعلّل تفخيم السين في "**مُصْطَبَر**" قائلا: « إنما كُتِبَتْ بالصاد ليُقَرِّبُوها من الطاء، لأنّ الطاء لها تَصَعّد في الحنك وهي مطْبَقة والسين مهموسة وهي من حروف الصفِير فثَقُل عليهم أن يعمل اللسان

منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة فقلبوا السين إلى الصاد لأنها مؤاخِيَة للطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفير ليعمل اللسان فيهما متصعدا في الحنك عملا واحدا» [1].

وقد أشار **ابن جني** وغيره من اللغويين القدامى إلى قوّة الأصوات المستعلية على اجتذاب صوت السين المستفل إليها و تحويله إلى صاد: « ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا.. وذلك قولهم في سُقْت صُقْت، وفي السّوق: الصُّوق، وفي سَبَقت: صَبَقْت، و في سَمْلَق و سُوَيق: صَمْلَق وصُوَيْق وفي سَالِغ وسَاخِط: صَالِخ و صَاخِط، و في سَقْر: صَقْر و في مَسَالِيخ: مَصَالِيخ» [2].

ومما جاء في القرآن مؤيّدا لهذا التَمَاثل نذكرقوله تعالى: (**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**)[3] وفي قوله: (**وَسَخَّرَ الشَمْسَ وَالقَمَرَ**)[4] وقوله :(**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم**)[5] بالصاد عوص السين.

وقد عقد **أبو الطيِّب اللّغوي** بابا لما أبْدِلَت فيه الصاد سينًا فَمِن ذلك على سبيل المثال قوله:« سقَب و صَقَب و هو أخوه سوغه و صوغه و الأَسْلَخ و الأصْلَخ للأَصْلَع وقد كُتِبَت سَطْرا و صَطْرا و كذلك السَطْر و الصَطْر من النَّخيل» [6].

كما عزا **سيبويه** هذا النطق إلى قبيلة بَلْعَنْبَر، و بَنُو العَنْبَر من تَميم التي تميل عادة إلى كل ما من شَأْنه تيسير عملية النطق، فكأنما هنا ثَقُل عليها الجمع بين مُسْتَعْلٍ ومُسْتَفلٍ في كلمة واحدة، فآثرت المستعلي لما فيه من قوّة و وضوح وجانسَتْه بنظير السين

1- السبعة في القراءات ، تحقيق شوقي ضيف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، الطبعة الثانية، د.ت، ص: 49.
2 - الخصائص، ج2، ص: 142، 143.
3 - سورة الغاشية الآية رقم 22.
4 - سورة الرعد الآية رقم 02.
5 - سورة الفاتحة الآية رقم 06.
6 - ينظر: الإبدال أبو الطيب اللغوي،ج2، ص 180 و ما بعدها.

المستعلي وهو الصاد: «لَمَّا كَانَ يَثْقل عليهم أَنْ يكُونوا في حالة تَسَفّلٍ ثم يصْعِدون ألسِنَتَهم، أرادوا أن يكونوا في حالة اسْتِعْلاء، و أَلَّا يَعْمَلوا في الإصْعَاد بعد التَسَفُّل فأَرَادوا أن تقَعَ ألسِنَتُهم مَوقِعا وَاحِدًا»[1].

وقد نَصَّ **يُوهَانْ فُكْ J. Fuck** على أنّ تفخيم السين شبه مُطَّرَد في لهجة بَلْعَنْبَر يقول: « وفي لهجة بَلْعَنْبَر أحد أفخاذ تميم يكاد يوجد هذا التغيير باطّرَاد إذا جاء بعد السين أحد الأحرف الأربعة التالية **ط– ق–غ–خ**، و قد ذهب متأخِرُو النُحّاة إلى تَعْميم جواز ذلك التغيير الصوتي بالشرط المذكور»[2].

كما عُزِيت هذه الظاهرةُ إلى بَنِي كَلْب و إلى قريش[3] غير أن **إبراهيم أنيس** يشُكّ في عَزْو **الصراط** إلى قريش لأن هذه القبيلة تأثرت بالبيئات الحضرية التي تُؤْثِر التَخلّص من أصوات الإطباق [4]،و إنْ كَان **أحْمد علَم الدين الجُنْدي** يرى أنّ قريشا قد آثَرت الصاد على السين في **الصّرَاط** فقط لعامل صوتي محض هو وجود الطاء [5].

10– يتحوّل صوت الصاد في المنطوق من صفة الهمس إلى صفة الجهر فينطق زايا إذا كانت الصاد ساكنة متبوعة بصوت الدال نحو قولهم:

– **اغْرَسْ لَحْبَقْ يَزْدَق** ⟵ يَزْدَقْ في يَصْدَقْ

– زْدَمْ عليه في صْدَم عْليه.

– قَزْدير في قَصْدِير.

---

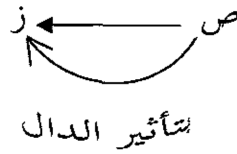
1 - كتاب سيبويه، ج4، ص 130.

2 – العربية ص: 103.

3– لسان العرب، ابن منظور، مادة (س.ر.ط)، ج7، ص: 170.

4– في اللهجات العربية، ص: 129– 130.

5– ينظر: اللهجات العربية في التراث، ص: 445.



إن مسار التأثير في هذه الأمثلة انطلق من الصوت الثاني الدال نحو الصوت الأوّل الصاد، وعلّة هذا التَأْثير هي أنّ الصّادَ صوتٌ مهموس جاور صوت الدال المهجور، فانْجَرّ عن هذا التتابع نَسَقٌ صوتِيٌّ مرفوض، ولإزالة هذا التَنَافي والاستثقال، وبعث الانسجام والتوافق بين المتماسين أبدلت الصاد زايا، لأن الزاي تشترك مع الصاد في المخرج، وفي الصفير والرخاوة، وتؤاخي الدال في الجهر فتجانس الصوتان وزال التنافر عن طريق إدناء الصاد من الدال وجعلهما معا مجهورين [1]. يقول **ابن جني**:« فلما سكنت الصاد ضَارَعُوا بها الدال التي بعدها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهي الزاي، لأنها مجهورة كما أن الدّال مجهورة فقالوا "**فزْد**" فإن تحركت لم يجر فيها البدل» [2].

والتعليل الصوتي لتحول الصاد في مثل كلمة "**يَصْدَقْ**" بسكون الصاد إلى زاي مفخمة كما يراها أحد الباحثين هي أن الحركة أو الحركات عادة مجهورة تُكْسِب الصاد بعض صفة الجهر فيضيق الفرق بين صفة الهمس في الصاد وصفة الجهر في الدال أي يصبح هناك نوع من المماثلة الصوتية الجزئية اللاشعورية فتَزُولُ الحاجَةُ الفسيولوجيةُ الماسّة لِتَحَوّل الصاد من الهمس إلى الجهر [3].

---

1 - ينظر: أصوات اللغة العربية، د.عبد الغفار حامد هلال، ص 233.

2- سر صناعة الإعراب،ابن جني،ج1 ص 50 ، 51.

3- الأصوات العربية المتحولة و علاقتها بالمعنى، د.عبد المعطي نمر موسى، دار الكندي للنشر و التوزيع ،الأردن، الطبعة الأولى 2001 ص: 119.

والنص القرآني يؤيد مثل هذا التأثير بين الصاد الساكنة و الدال فقد نقل **الفـرّاء** أن حمـزة الزيـات كان يبدل الصاد الساكنـة زايا خالصـة عند مماستهـا للدال[1] في مثـل قولـه تعـالى : (وَمَـنْ أَصْـدَقُ مِـنَ اللّـهِ حَدِيثـاً» [2]، وقـوله : (وَ مَـا كَـانَ صَلَاتُهُـمْ عِنـْدَ البَيْـتِ إِلَّا مُكَـاءً وَتَصْدِيَـةً) [3]، وفي قولـه: (فَـاصْدَعْ بِمَـا تُؤْمَـرُ وَ اعْـرِضْ عَنِ المُشْـرِكِيـنَ) [4]، وقـوله: (مَـا كَـانَ حَدِيثًـا يُفْتَـرَى وَ لَكِـن تَصْدِيـقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْـهِ) [5].

وقد نقل **سيبويه** عن بعض الفصحاء من العرب أنهم أبدلوا الصاد الساكنة عند مجاورتها الدال زايا و ذلك في قولهم: "التَصْدير"، "التَزْدير"، و في "الفصْد" "الفزْد"، وفي "اصْدَرْت" "ازْدَرْت" [6]، و يعلّل جهْرَ الصـاد في هذه الحالات، وإبدالهـا زايا خالصـة لأجـل:« أن يكون عمَلُهم من وَجْه واحد وليَستعْمِلوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلـوا إلى الإدغـام و لم يجْـسروا على إبدال الـدال صادا، لأنها ليست بزيادة كالتـاء في افتعـل» [7].

وقد ذهب **أبو الطيب اللغوي** إلى أن قلب الصاد الساكنة زايا قبل الدال لغة لطيء [8] إذ يحكى عن الأصمعي أن حاتما كان أسيرا في قبيلة عنزة فجاءته النساء بناقة وبمفصَد و قُلْنَ له: أفْصِدْ هذه النّاقَة، فأخذ المفصد فَلَتَم في سبلتها أي نَحرها و قال :

1- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص: 108.
2- سورة النساء الآية رقم: 87.
3- سورة الأنفال الآية رقم: 35.
4- سورة الحجر، الآية رقم: 94.
5- سورة يوسف الآية رقم: 111.
6- ينظر: كتاب سيبويه، ج 4، ص: 478.
7- السابق، ج4، ص: 478.
8- الإبدال، ج2 ص: 126.

«هكذا فَـزدي أنّه أي فَصْـدِي أنا»[1] وعلى هذه اللهجـة جـاء المثل العربـي : "لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فُزْدَلَهُ".

وإذا كان **أبو الطيب اللغوي** قد نسب هذه الظاهرة إلى طَيّء فإن بعض اللغويين يَعُدّ جهر الصاد و إبدالها زايا قبل الدّال لهجة خاصة بقبيلة كَلْب، قال **أُولِيري Oleary** «تُقَرّب الصاد المفخمة إلى الزاي قبل ساكن مجهور أوْ "Sonant" فتَحَوّل "**Sd**" ← **Zd** في العربية مميز للّهْجَة القديمة لكَلْب مثل "مَزْدَر" لمصْدَر»[2].

11- يتحول صوت السين في اللهجة من صفة الهمس إلى صفة الجهر بتأثير صوت الدال الموالي له فينطق زايا في مثل قولهم: زْدَل ← في سْدَل.

- عمّر لنخالة ما توّل تقِيق و عمّر لغْدَ ما يرجع زْدِيقْ.

فالذي حدث هو تأثير الدال المجهورة في السين المهموسة المنفصلة قبلها في "سْدَل"، لأنها لا تناسبها في هذا التموضع، ولا تنسجم معها فتَسْتَبْدِلها بما هو أهل للانسجام وهو صوت الزاي المجهور فالسين حرف مهموس و الدال حرف مجهور فكرهوا -كما يقول ابن يعيش- الخروج من حرف إلى حرف ينافيه و لم يكن الإدغام فقرّبوا أحدهما من الآخر فأبدلوا من السين زايا لأنها من مخرجها وأختها في الصفير وتوافق الدال في الجهر فيتجانس الصوتان[3].

والعلة الصوتية في ذلك أن صوت السين ورد ساكنا في "سدل" متبوعا بحركة مجهورة تجعل بين السين المهموسة و الصوت المجهور الذي يليه بعض التوافق الصوتي أو ما

1- السابق، ج2، ص: 126.

2 -o.leary comparative grammar of the semetic language, phigo press,1962 Amsterdam,Holland p:75 . نقلا عن: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، ص: 231.

3 - شرح المفصل، ج10، ص 52.

نسميه مماثلة صوتية جزئية[1]، وذلك أن المجهور أقوى من المهموس لأن الجهر الناشئ عند تذبذب الأوتار الصوتية يمنح الصوت قوّة ووُضُوحا في السمع أكثر من المهموس، فالوضوح في السمع هو محَك القوة في المجهور وهو الذي يجعله الأقوى عند مجاورته لمقاربه من هناك كان قول سيبويه: "والمهموس أخَف من المجهور"[2]، و من الأمثلة عن هذه الظاهرة ما ورد عن كلام العرب: التَّسْدير: التزْدِير و في يسْدُل ثوبه: يزدل ثوبه[3].

12- من صور المماثلة في منطوق ندرومة، ما يسمّى بانكماش الأصوات المركبة Dightongue وهي ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير في اللغة[4]، حيث يتحوّل الصوت المركب المكوّن من الحركة والصوت الساكن إلى صوت مُمَال، سواء أكان الصوت المركب يتكون من الفتحة والواو "**aw**" أو الفتحة والياء "**ay**".

ففي الخطابات اليومية لسكان المنطقة يتحول الصوت المركب المكون من الفتحة والواو "**aw**" إلى صوت بسيط مُمَال "**o**" في مثل قولهم:

لْــيُــومْ عْــلِــيَّ وْغَــدَّ عْلــيكْ ــــــ◄" **يُــومْ yōm**" المتحولَة عن "يَــوْمْ yaym"

تُــومْ فــي تَــوْمْ ــــــ◄ " **Tawm**" تتحول إلى" **Tōm** "

لُــوزْ فــي لَــوْزْ ــــــ◄ **Lawz** تتحول إلى **Lōz**



1 - ينظر: الأصوات العربية المتحولة و علاقتها بالمعنى، عبد المعطي نمر موسى، ص 116.
2- كتاب سيبويه، ج4، ص :450.
3- السابق، ج4، ص 478.
4- ينظر : لحن العامة و التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص: 51

تحت تأثيـــر الواو

كمـــا يتحَوّل الصوت المركب المكون من الفتحـــة واليـــاء"ay" إلى صـــوت بسيـــط مُمَال "e" في قولهـــم:

- دِيرْ لْخيرْ وْ نْسَاهْ، دِيرْ اشّرْ وْ عْقَلْ عْلِيهْ   خَـيْــر Khayr

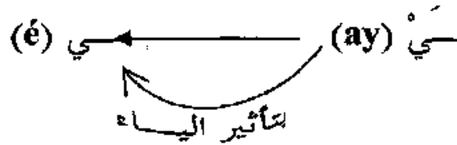
تحولت إلى خـــيـــرْ Khér

- لْـلِي فَـاتَــكْ بْلِـيــلَــة فـاتَــكْ بْحِــيـلَــة ← لِــيلَــة **LéLa**

المتحولة عن لَـيْـلَـه **LayLa**

- يَــخْــرَقْ لْخــيــمَــه وْ يَــبْـنِـك مْـعَ مُـلاَهَ ← خــيـمَــه Khéma

المتحولة عن خَـيْـمَــه Khayma



والتعليل الصوتي لهذا التأثيـــر المدبـــر أن للصوامت أثـــرا كبيـــرا في الحركـــات المجاورة، فهي تؤثر في مخرجها، وقد تغيرها إلى نوع يناسب طبيعتها قال بروكلمـــان:« تتأثر الحركـــات الثلاثة الأصليـــة: الفتحة والكسرة والضمّة، في كل اللغات السامية وعلى الأخص في العربية بما حولها من الأصوات الصامتـــة وكذلك الحال في الساميـــة القديمـــة»[1].

1- فقه اللغات السامية، ص 53 .

وتأثير الصوامت في الحركـــات عن طريق تحويلهـــا إلى حركات مماثلـــة إلى طبيعتهـــا ظاهـــرة معروفـــة من العصـــور العربيـــة الأولى، وهذا مَا يُفهم من كلام ابن السكيت (ت 244هـ) في قولـــه:« وتقول الكَوْسَح ولا تقول الكَوْسَج وهو الجوْرَب ولا تقول الجُورَب» (1)

وقد حَدَث مثل هذا التطور في عصور الفصاحة يقول الأصمعي: يُقال هو الضَّوْء والضُّوء (2) وفيه أيضا أن بني فلان لفي دَوْكَة ودُوكَة يَعْنُون خصومة وَسُرًّا(3)، وفيه أيضًا حَوْبه الرجل أُمَّه، وقال بعضهم حُوبَه (4).

13- كما تتطور الحركة الممالة الناتجة من الصوت المركب فتصير فتحة طويلة، ومثل هذا التماثل مَا حَدَث في الخطابات اليومية في عبارة " **مِنْ أيْن**" و " **أيْن**" و " **فِي أَيْن** " "**Min Ayn**" "**Ayn**" "**Fi Ayn**" التي أصبحت على التوالي " **مَــنَــايَــنْ** **Manayan**" و"**وِيــن Win**" و" **فَــايَــن Fayen**"، فما حدث هو أن النون الساكنة اتصلت بالألف بعد سقوط همزها، وانتقل سكونها إلى الصوت الأول وهو الميم بينما فتحت النون حتى تجانس صوت المد الذي يليها وأعطانا "**مَــنَــايَــنْ**"، أمّا في الثانية حذف الهمز وأعطانا "**وَايــن Wayan**" وفي المثل الشعبي:

وَايَنْ هَمَّك وَايَنْ دَمَّكْ ← "وَايــن Wayan" في "أين Ayna ".

1- إصلاح المنطق، ابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر و عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1970، ص : 162.

2- السابق، ص: 91.

3- السابق، ص: 13.

4 - السابق، ص: 114.

وفي العبـــارة الثالثـــة " **فِي أَيْن**" حذفت الياء (يَاء في) وهمزة الألف واتصلت الفـــاء الباقية بألف المد وانتقـــل كسرها إلى فتحـــة لتجانس حركـــة المـــد وأصبحت " **فَـــايَـــن Fayen**" وفي المثـــل:

- **دِ يَلْقِ رَايْ اَلْنَاسْ مَا يَيْجْبَرْشْ فَايَنْ يَلْقِ دْيَـالْو** ←‏ **فَـــايَـــن** Fayan المتحولة عن " **فـــِي أين Fi ayn**".

14- من نماذج تأثير الصوامت في صفات الحركات، تفخيم الصوامت في اللهجة بتأثير الأصوات المفخّمة من ذلك أن الفتحة تفخم بتأثير إحدى هذه الأصوات في مثـــل:

- اطْمّاع مْشَ حْتَ لْقَاس وْرجَعْ بْلاَشْ.

- عْطِينِي ضْحُكْتَكْ وْلْهْلاَ خُبْزْتَكْ.

- طَـلاَبْ يَطْلَبْ وُمْرَاتْ تْصُدَّقْ.

- لْقطْ يْعلّم بّاه انّطْ.

- كُلْ طير يَلْغ بَلْغاه.

- كِ شْبَعْ صالح قَالْ اثْرِيدْ مَالْح.

ففي هذه الأمثلة وردت فتحة الطاء مفخمة في :"**طمّاع** " و" **طلّاب**" وفي الصاد في: "**صَالَح** " "**تْصَدّق**"، وفي الضاد في:" **ضحَكت**" وفي العين في:" **يعلّمْ** "، وفي القاف في: " **قط** "، وفي الغين في: "**يَلْغَ** " **لْغَاه** " وهذا بتأثير الأصوات المفخمة هو أن المفخمة في وضع الترقيق عند النطق بها، ينخفض مقدم اللّسان إلى أقصى ما يمكن، أمّا الشفتان فتكونان في وضع محايد، فلا نلاحظ فيها صفة الاستدارة أو الانفراج، أمّا في وضع

التفخيم فاللّسان ينخفض إلى أقصى ما يمكن، ويمكن في وضعه الطبيعي وتكون الشفتان أقرب إلى الاستدارة منها إلى الانفراج.

كما تفخم الضمة في منطوق **ندرومة** بتأثير الأصوات المفخمة في مثل قولهم:

- خُبْزَة عَشرَة مَا طّيب وَيْلَ طابَت تَحْتْرَق.

- قْصِيرْ لُودَنْ لاَ ثْرَبّيه، رَاكْ تَرْجَعْ فَرّايْ نَادَمْ، مَا تَعْرَقْشْ الغُولْ، الغُولْ هُوَ بْنَادَمْ.

- لَبْلاَدْ كِ تَخْلى يْعَمْرّا زَعْطُوطْ.

وردت ضمّة الخاء في " **خُبزة** " وضمّة العين في " **الغُول** " وضمّة الطاء في "**زعطوط**" مفخمة بتأثير هذه الأصوات، فعند النطق بها يرتفع مؤخر اللّسان إلى أقصى ما يمكن وتكون الشفتان في هذا الوضع في أقصى حالات الاستدارة.

أمّا عند النطق بالضمّة، فالوضع يختلف شيئا مَا لأن مؤخر اللّسان يرتفع نحو سقف الحنك، مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء، وتقل استدارة الشفتين مع هذه الحركة عند الدرجة التي تصل إليها الاستدارة مع الضمّة المفخمة.

أمّا الكسرة فتفخيمها قليل في منطوق **ندرومة**، ومن الأمثلة التي وردت فيها مفخمة قولهم:

- قْصِيرْ لُودَنْ لاَ ثْرَبّيه، رَاكْ تَرْجَعْ فَرّايْ نَادَمْ.

- وفي: **صْغِير – طِيرة** ...

فالكسرة في "طِ" وفي "غِ" وفي "صِ" عند النطق بها يرتفع مقدم اللّسان نحو وسط الحنك الأعلى، وتكون الشفتان في وضعية الاستدارة لكن بدرجة أقل من الاستدارة أثناء الكسرة المرققة كما في:

- كْتيرْ لصْحَابْ يْبَاتْ بْلَ صَاحَبْ.

- كِ شْبَعْ صالح قَالْ اثْرِيدْ مَالْح.

فالكسرة في هذه الأمثلة وردت كلها مرققة، حيث يرتفع معها اللّسان إلى أقصى ما يمكن وتكون الشفتان في حالة انفراج كامل.

15- الحالة الأكثر شهرة لأثر الحركات في الصوامت في منطوق **ندرومة** هي ظاهرة "**التَحْنيك أو التَغْوِير palatilization**"، التي هي تأثير الصوامت الأسنانية والطبقية خاصّة بالحركة الأمامية اللاحقة لها، ففي معظم اللغات يَتْرك كل من فونيم "**الكاف k**" و"الكَاف **g**" مكانهما النطقي تحت تأثير الحركة المجاورة لهما، فبمصاحبة الضمة أو الضمة الممالة يكون المخرج لهويا ويكون حنكيا قليلاً أو كثيرًا مع الكسرة ويكون متوسطا مع الفتحة [1].فقد لاحظ علماء الأصوات المحدثون أن أصوات أقصى الحنك تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، إذا كانت متلوة بكسرة التي تجتذب أصوات أقصى الحنك إلى الأمام قليلا[2].

والذي يَهُمّنا في هذا الموضوع هو تحنيك "**الكاف k**" في هذا المنطوق حيث نسمع سكان مدينة الغزوات والقرى والمداشر المجاورة لها يقولون:

1- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة. د. فوزي حسن الشايب، ص 246 .

2- صراع الأنماط اللغوية- دراسة في بنية الكلمة العربية- رانيا سالم الصرايرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، 2002، ب.ط، ص: 180 ، 181.

شَبْشَة تَطْحَشْ عْلَ لَغْرْبَالْ وْتْكُولْ مَا تشْبَرْ عِينَاشْ يَا لْهَرْوَالْ ← شَبْشَة في شَبْكَة – تَطْحَش (تَضْحَكْ) – تشْبَر (كْبَرْ) – عِينَاشْ (عيناك).

وجاء على لسانهم:

ثْشُونْ يَنْشَرَبْ عْلِيشْ ازَّميطْ نْهَارْ لْعِيدْ ← ثْشُون في (شْكُون) – يَنشْرَب (يَنكْرَب) – عْلِيش (عْليك).

الملاحظ في هذين المثلين أن صوت الكاف تقدم إلى الأمام، أي من أقصى اللّسان إلى وسطه، فأصبح أدنى حنكيا مصادفا مخرج الشين، حيث يمرّ الهواء، وتقترب الأسنان العليا من السفلى بصورة تسمح بإحداث احتكاك طفيف مع عدم ذبذبة الأوتار الصوتية فينتج الشين كما في " **شَبْشَه** " و" **تَطْحَشْ** " و" **عِينَاشْ** " و" **عْلِيشْ** ".

وبتقدم قليل عن حيّز إصْدَار **الشين** يحدث صوت "**ثْشَ**" "Tch" بتلامس الجزء الأوسط من اللّسان مع سقف الحنك الطلب فيمرّ الهواء محدثا احتكاكا مهموسًا، يتَشكّل مضيقُه على مستوى المنطقة الخلفية للفم كما في : "**يَنْشرَب**"، "**ثْشَبَر**".

وقد اختلف اللغويون وعلماء الأصوات في تفسير هذه الظاهرة صوتيا، فإذا كان السلف قد تنبهوا إلى ظاهرة تحنيك الأصوات الطبقية عند مجاورتها للكسرة وزعموا أن كُلًّا من الكَشْكَشَة والكَسْكَسة مَا هي إلا شين أو سين استبدلت بالكاف المؤنثة المكسورة، أو أُضِيفَتْ إليها عند الوقف لغرض بيان الحركة، حيث يقول **سيبويه** : «وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف...وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن

الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموسًا من الحلق، لأنها ليست من حروف الحلق وذلك قولك: انَّشْ ذاهبة ومَالَش ذاهبة تريد أنّك ومَالك» [1]، فإنهم لَم يوفقوا في تفسيرها وتعليلها، فهم يزعمون بأن الشين أو السين قد أبدلت أو ألحقت بكاف المؤنثة المكسورة لبيان الحركة في الوقف، يقول سيبويه:« واعْلَم أنّ نَاسًا من العرب يلحقون الكاف السين ليُبّينُوا كسرة التأنيث، وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في (استفعل) و ذلك في اعْطَيْتُكِسْ و اكْرَمْتُكِسْ، فإذا وَصَلوا لَم يجيئوا بها لأن الكسرة تبين» [2] وقال بالنسبة للشين أيضًا:« وقوم يلحقون الشين ليبيّنوا بها الكسرة في الوقف أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولهم اعطَيْتُكِشْ واكْرَمْتُكِشْ، فإذا وصلوا تركوها وإنما يلحقون السين والشين في التأنيث لأنهم جعلوا تركهما بيان التذكير» [3].

مع أن الأمثلة التي يمثلون بها لا تصلح - في كثير منها- إلاّ للوصل كالبيت المشهور الذي يسوقه اللغويون كمثال بارز على هذه الظاهرة:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاها وجِيدُش جِيدُها   سِوَى عَن عَظْم السَّاق منْشِ دَقِيقُ [4]

يُريد، فَعَيْنَاك، وجِيدُك، ومِنْك.

ومثل ما رواه ثعلب في مجالسه رواية عن ابن الإعرابي (ت 231هـ)

عَلَيَّ فيمَا ابْتَغِي أبْغِيش

1- كتاب سيبويه،ج،4 ص: 199.
2- السابق، ج4، ص: 199.
3 - السابق، ج4، ص: 199.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 206 .

بيْضَاءَ تُرْضِينِي ولا تُرْضِيش

وتطبّي وُدَّ بَنِي أبيش

إذا دَنَوْتِ جَعَلت تُنْئِيش

وإنْ نَأيْت جَعَلت تُدْنِيش

وإنْ تَكَلَمْتِ حَتَتْ فِي فِيش

حَتَّى تَنِقَّى كَنَقِيق الدّيش (1)

ففي هذه الشواهد الشعرية دليل قوّي على أن هذه الظاهرة لا تقتصر على حالة الوقف، وهو ما يجعلنا نستنتج أنها ظاهرة صوتية عامّة لا تقتصر على حالة الوقف قوامها تحنيك الصوت الطبقي المهموس وهوالكاف تحت تأثير الكسرة اللاحقة له. فما يعرف بالكشكشة والكَسْكَسَة يمكن تفسيرها عِلْميا على أساس قانون الأصوات الحنكية، ذلك القانون الذي تَوَصّل إليه العلماء من خلال مقارناتهم اللغة السَنْسِكْرِيتِيَة باللغة اليونانية واللاتينية في أواخر القرن التاسع عشر، فقد لاحظوا من خلال مقارناتهم تلك أن الأصوات الأساسية مثل: **الكاف** "k" أو **الكَاف"g"** تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأساسية حين تليها الكسرة لأن الكسرة تؤثر في الصوت الطبقي فتجذبه إلى الأمام قليلا فينقلب الصوت الطبقي إلى نظيره من أصوات وسط الحنك(2).

1 - مجالس ثعلب، ثعلب أبو العباس أحمد بن يحي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف، القاهرة،د.ت، ج1، ص 116، وكذلك سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص: 207.

2- ينظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 123 .

وعليه فإن ما يعرف بالكشكشة والكسكسة ما هو إلاّ ظاهرة عامّة في لغات العالم، فقد ذكر **كانتينو** أن الحروف الشديدة الحنكية من شأنها أن تتغير فتبدل "**تش**" أو "**ش**" أو "**تس**" أو "**س**" إذا كانت بجوار حركات من وسط الحنك أو من أدناه من ذلك الكاف في اللاتينية، ففي جميع اللغات الرومانية، أي المتفرعة عن اللاتينية تبدل على هذا النحو إذا كانت بجوار كسرة(**i**) أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (**e**) أو حتى الفتحة العادية (**a**) نحو كلمة "**كِرَام ceram**" في اللاتينية ومعناها الشمع فقد آلت في الإيطالية "**تشيِرَا cera**" وفي الفرنسية "**سِيْر cire**" ونحو كلمة "**كِنِرَام cineram**" اللاتينية أي الرماد فقد آلت في الايطالية "**تشنِري cenere**" وفي الفرنسية "**سَانْدْر cendre**" وكذلك كلمة "**كَنَامْ canem**" في اللاتينية أي الكلب فقد آلت في الفرنسية إلى "**شْيَانْ chien**" [1] وقد بَيَّنَ **كانتينو** خطوات تطور الكاف الطبقية المجهورة إلى "**ش**" قائلا:"فقد أصبحت الكاف أدنى حنكية من جرّاء جوار الكسرة فأصبحت ملينة بياء خفيفة (**كْــ يْ**) ثــم صارت (**تْ يْ**) ثــم (**ت شَ**) ثم آلت في النهاية إلى (**ش**) "[2].

لا شك أن النحاة واللغويين العرب القدامى قد قيّدوا هذه الظاهرة بالكاف المؤنثة المكسورة، وهذا التقييد -كما أشرنا- مبني في الحقيقة على استقراء ناقص للنصوص الواردة، والدليل على ذلك اللّهجات العامية في جهات متعددة من الوطن العربي، والتي تنتشر فيها ظاهرة الكشكشة والكسكسة على نطاق واسع، والتي لا تفرق بين الكاف المؤنثة المكسورة أو غيرها، بل هي في الكاف مطلقا، فالكشكشة تنتشر لدى سكان الأرياف الفلسطينية والأردنية، ولدى البدو في الأردن وسوريا وفي جنوب العراق

1- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ص: 102، 103 .

2- السابق، ص: 102 .

وإمارات الخليج العربي وفي بعض قرى محافظة الشرقية في مصر، وفي بعض مناطق شمال إفريقيا أيضًا[1] وتنتشر الكسكسة بوجه خاص بين البدو في جنوب الأردن والمناطق الحدودية بين الأردن والسعودية[2].

ونشير إلى أن اللهجات العربية الحديثة ومنها اللهجات الجزائرية لَمْ تَأْتِ من فراغ، فهي ولا شك امتداد للهجات قديمة، وهو ما يجعلنا نعتقد أن ظاهرة التحنيك في منطوق ندرومة تَمُتُّ بصلة بشنشنة اليمن من جانب واحد وهو قلب الكاف المتطرفة مُطلقا إلى الشين[3]

أمّا قلبها إلى "تْشَ" فالاحتمال الوارد إلى تأثرها باللهجة البربرية، يقول **كانتينو** : « ففي القبائـــل الصغرى تبدل الكـــاف (**تش**) مطلقا (**فْلُوتْشَه Fluca**) (**فْلُوكَة**) و(**بُوتْش Būc**) (**أبوك**) و(**نَاتْشُلْ** Načōl) نأكل أي آكل وأمّا عند قبيلتي المْسِيرْدَة والطْرَارَة فإن الكاف تصير بخلاف ذلك إلى حرف رخو أدنى حنكي شبيه بالشين يرمز إليه بـــ **c** وهو ال(**ch**) في الألمانية kh أي أنا نحو قولهم فْلُوشَة Flūca وبُوشْ Būc ونَاشُل Nācöl بهذه الشين الخاصة» [4].

1- ينظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ص :123.

2- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ص: 102 - 103.

3 -حين دخل العرب الأندلس كانوا يمثلون مختلف القبائل وتغلبة عليهم الصبغة اليمنية فتأثر بهم برابرة شمال إفريقيا، ولم يَعُد في القرن التاسع يتكلم ببربريته، وبعد سقوط الأندلس عادوا بثافتهم المكتسبة إلى موطنهم الأصلي ينظر الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف. ألبير جيب، صَيْدَا، بيروت، 1967، ص: 29.

4- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ص: 104.

وقد تكون كذلك قد تأثرت بلهجة تِطْوان حيث تنطق الشين عند سكان هذه المنطقة بزائدة تائية "تْشَ" فيقولون في حَتْشَ في حَشّهَا[1].

إن ظاهرة التحنيك أدّت إلى نشوء أنماط لغوية تُستَعْمَل ضمن نطاق اللهجات العامية، يمكن تفسيرها على أساس قانون الأصوات الحنكية، والمُسَوّغ الرئيس لهذا التغير هو توخي السهولة و التيسير في النطق، لكن يجب أن نَنَبِّه إلي أن هذه الأنماط محدودة جدا، إذ تستعمل في بيئات لغوية معينة،وبذلك نعدّها استعمالات لهجية تَمُتُّ بصلة إلى ظواهر لهجية قديمة كالكشكشة و الشنشنة و الكسكسة.

1- لهجة شمال المغرب، تطوان وحولها، د. عبد المنعم سيد عبد العال، ص: 83 .

الفصل الخامس

المخالفة الصوتية

تعريفها مصطلحاتها وأنواعها

1 - تعريف المخالفة الصوتية :

تعد المخالفة الصوتية مظهرًا آخر من مظاهر الاقتصاد اللساني، ومن التطورات التي تعرفها الأصوات اللغوية في تجاورها بعضها مع بعض .

والمخالفة ضد المماثلة فإذا كانت هذه الأخيرة تعمل على التقريب بين الأصوات المتنافرة، فإنّ المخالفة تعمد إلى التفريق بين الأمثال والمتقاربات فهي: « أن تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصـــوتين المتماثلين» [1]، ومن ذلك تحول "**ش ش**" إلى "**ش س**" في شمس في العربية [2]، وكذلك كلمة "Shibbolet" العِبْرية التي تحولت إلى "**سُنْبلة**" في العربية [3]، وتحول "**رر**" أو "**ن ن**" إلى "**ب ر**" أو "**ب ن**" نحو: " **قِرّاط** "و "**وائِق**" و "**أوَائِق**" [4].

فالمخالفة معناها حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين و يُقْلَب إلى صوت لين طويل أو إلى أحد الأصوات الشبيهة به وهي اللام والنون والميم والراء[5].

1- اللهجات العربية في التراث، القسم الأول، د. أحمد علم الدين الجندي، ص: 349.

2- المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة ، د. صلاح الدين صالح حسنين، ص: 81.

3- السابق، ص: 81.

4 - السابق، ص:81.

5- مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق مقال بعنوان: الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، عبد الفتاح المصري ص: 262.

والمخالفة في منظور الدرس الصوتي الحديث هي : « تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيـــادة مـــدى الخلاف بين الصوتين» [1].

فالمخالفة بوصفها أثرًا لقانون الاقتصاد في الجهد، تَعْمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات، فتَدْفع أحدهما إلى التغاير، ويغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية بإسم Liquida وهي اللام والميم، والنون، والراء[2] وهي ظاهرة صوتية تشيع في معظم اللغات[3].

يؤكد اللغوي **بْرُوسْنَهَان Brosnahan** أن معظم اللغات تستعمل الأصوات الأنفية والترددية كاللام والميم والنون والراء لتحقيق ظاهرة المخالفة التي يمكن في ضوئها تفسير الكثير من الظواهر التشكيلية التي تطوف على سطوح بعض الوحدات اللغوية[4].

وقد فسِّرت المخالفة بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تمام المماثلة في كلمة فإن أحدهما قد يتغير إلى صوت ثالث يغلب أن يكون من أصوات العلّة، أومن الأصوات المائعة، ولعلّ السرّ في ذلك أن الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهودًا عضليا زائدًا عن الحاجة حين النطق بهما في الكلمة الواحدة، ومن أجل التقليل من هذا الجهد إلى الحد الأدنى، يخالف أحد الصوتين إلى مجموعة الأصوات التي سَهُلَت في الكلام كأصوات اللين وأشباهها [5] .

---

1 – دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: 384.

2 – التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص: 37.

3 – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 298.

4 – ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 291.

5– ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 212.

ويُمثّل **فَنْدرِيس Vendrys** لذلك بالكلمة اللاتينية" **Arborem أرْبُورم**" يقول: « ينحصرالتخالف، وهو الشكل المضاد للتشابه في أن يعمَلَ المتَكلِّمُ حركةً نطقيةً مرة واحدة، وكان من حقها أن تعمل مرتين، فمن الكلمة اللاتينبة Arborem (**أربُورِم**) بمعنى شجرة نشأت الكلمات الإسبانية Arbol (**أربُل**) و البروفينسية albre (**ألْبرْ**) فالذي حدث في كلتا الحالتين مع اختلاف الترتيب هو أنّ المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات التي يتطلبها انتاج الراء (**r**) بدلاً من أن يقوم بحركتين، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة » (1).

نفهم من ذلك أن المخالفة تطلق عادة على أي تغيير صوتي يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين صوتيتين، إذا كانت هذه الوحدات الصوتية متباعدة، أو تؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين.

2- لماذا المخالفة الصوتية ؟

إذا كانت المماثلة تطور يرمي إلى تسيير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضهـــا من بعض، أوادغـــامها لتحقيق الإنسجـــام الصوتي (2)، فإن **بـــرجشتراســـر Bergstrasser** يفسر حدوث المخالفة في ضوء العلّة النفسية الناتجة عن الخطأ بسبب تتابع الأصوات المتشابهة. يقول:« فأمّا التخالف، فالعلّة فيه نفسية محضة، نظيره الخطأ في النطق، فإنّا نرى الناس كثيرًا ما يُخْطِئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا اذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النَفسَ يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، و يصعب عليها إعادة تصور بعينه

1- اللغة، ص: 94.

2- الأزهري اللغوي صاحب معجم تهذيب اللغة د. سميح أبو مغيلي، ص: 89.

بعد حصوله بمدّة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، اذا أسرع الانسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة، وكثيرًا ما يتسامر الصبيان إلى نطق أمثال هذة الجمل بسرعة و بدون خطأ»[1].

وقد أرجع بعض العلماء علّة حدوث المخالفة إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المغايرة بين الأصوات، و هي بهذا عكس المماثلة التي تهدف – كما أسلفنا- إلى تيسير الجانب النطقي، و لا تلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب صوتين متجاورين، فهذا **أحمد مختار عمر** يرتكز على الجانب الدلالي في بيان أهميتها يقول: « وإن كانت ضرورية لتحقيق التوازن وتقليل فاعلية عامل المماثلة، فالعلماء ينظرون إلى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة، لأنها ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلّما أمْكَن، ويتخيلون أنه لو تُرِك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما انتهت إلى الغاء التفريق بين الفونيمات ذلك التفريق الذي لاَ غِنَى عنه للتفاهم ، وبذلك فإن عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، و لابراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية » [2].

وسواء أكانت علّة حدوث المخالفة ترجع إلى جوانب نفسية أو إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق الممايزة، فإنها الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة لأنها تهدف في منحاها إلى التقليل أو التخلص من الفروق المميزة للأصوات[3].

واللغة العربية كغيرها من اللغات تحرص على المخالفة لما تُؤَمِنُه من تنوع موسيقي محبّب تظهر معه الأصوات على حقيقتها نطقا وسَمْعًا: « من الواضح أن النظام اللغوي

1- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ص: 34.

2- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: 384.

3- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي، د. مهدي بوروبة ، ص: 243.

والإستعمال السياقي جميعًا يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين، أوبعبارة أخرى يحرصان على التخالف ويكرهان التنافر والتماثل» [1].

وإِنْ كان بعض الدارسين يذهب إلى أنّ المخالفة في العربية أقل من المماثلة، فهذه الظاهرة نادرة في اللغة العربية بالنسبة الى بعض اللغات السامية الباقية خصوصًا الأكدية والآرامية [2].

بالرغم من أن المخالفة تشغل مساحة لغوية أقل من تلك التي تملؤها المماثلة، إلاّ أن وجودها ضروري لتحقيق التوازن والتقليل من فاعلية المماثلة[3] وباعتبارعا مظهرا من مظاهر التطور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحولي يتجه نحو الأيسر والأسهل، هذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها الكثير من المحدثين، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي تحتاج إلى جهد عضلي، فيُبَدّل مع الأيّام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة [4]. وهذا ما دفع بالأستاذ **هُورْوِيتْز Hurwitz** إلى عَدّ قِسْم من الألفاظ العربية قد توَلّدَت نتيجة عامل المخالفة، هذه الألفاظ تشغل فيها الأصوات المائعة جزءاً من بنيتها التركيبية[5].

و يُوَثق هذا اللغوي رأية ببعض الشواهد التي يمكن أن تكون نتاج عامل المخالفة بين صوتين متماثلين مثل :

1- اللغة العربية معناها و مبناها، د. تمام حسان، ص: 264.

2- ينظر: التطور النحوي، براجشتراسر، ص: 35.

3 - ينظر: دراسة الصوت اللغوي ،د. أحمد مختار عمر، ص: 385.

4- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 212.

5- ينظر دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: 385.

حَجَّل ← حرْجَل ⇐ ج ج ← ر ج

جَمَّد ← جَلْمد ⇐ م م ← ل م

عَكَّب ← عَنْكَب ⇐ ك ك ← ن ك

عَقَّب ← عَرْقَب ⇐ ق ق ← ر ق

قَمَّط ← قَرْمَط ⇐ م م ← ر م

فَطَّح ← فَلْطَح ⇐ ط ط ← ل ط [1]

اعتمد **هُورْوِيتْس Hurwitz** في الشواهد التي سَاقها على علّة التضعيف الذي يعقب الأصوات المتوسطة التي – في رأيه – تمثل مَمَرًّا مَرِنا للتضعيف ومسلكا للتخلص من ثقل التماثل[2]

3- مصطلحات المخالفة في التراث اللساني العربي:

إن المخالفة- بوصفها الوجه المقابل للمماثلة- من الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها اللغويون والنحاة العرب القدامى،وعلماء الأصوات المحدثون فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة وعالجوها بتسميات مختلفة.

1- ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 291.
2- ينظر: السابق، ص: 292.

أ – عند اللغويين و النحاة العرب القدامى :

عالج القدماء ظاهرة المخالفة، وإن كانت معالجتهم لهذه الظاهرة موزعة على أبواب صرفية متنوعة، كما كانت أمثلتها متناثرة ضمن هذه الأبواب دون منهج ينتظمها، أو مصطلح محدّد يغطي حدودها، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يَعُوا دَورها، أو لم يَنْتَبهوا إلى أهميتها، بل كانوا على وَعْي تام بها، و إنْ لَمْ يَعْرِفُوها كمصطلح فقد عَرَفُوها كظاهرة صوتية تُعْرض للأصوات في السياق، فعالجوها وبتسميات مختلفة، حتى تنوعت ألفاظ وتعابير الواحد منهم في تقييد أمثلتها[1].

❖ عنـــد الخليل بن أحمد الفراهيدي :

يُعَدُّ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** من اللغويين الأوائل الذين فطنوا لهذه الظاهرة، غير أنه لم يَسْتَقر على تسمية واحدة مقيدة لها، بل راح ينعتها بجملة من التسميات منها: **المغايرة** متخذًا من فعل هذا المصدر هيئة للدلالة عليها، ومن فعل **ألبَّ** مثالا لذلك يقول: « و أمّا قولك لبّيك، انما يريدون قربا و دنوا [على معنى بعد الباب] أي قرب بعد قرب، فجعلوا بدله لَبَّيك، و يقال ألَبَّ الرجل بمكان كذا وكذا أي أقام، وكان الوجه أن تقول لَبَّبْتُكَ لأنهم شبّهوا ذلك باللّبب، فإذا اجتمع في الكلمة حرفان **غيّروا** الحرف الأخير كما قال اللّه عز و جل:(**وَقَـــدْ خَـــابَ مَـــنْ دَسَّـــاهَـــا**) [2].

1- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي د. مهدي بوروبة ص: 245.

2- سورة الشمس الآية رقم: 10.

والأصل دَسَّسَها فقالوا لَبَّيْــك، قَرُبْتُ واقَمْتُ، واذا قالوا أنا لَبٌّ فإنما يريدون قريب منك مرّة واحدة، وإذا قالوا لَبَّيْــك أرادوا أنا قريــب منك، أنا قريــب منك مرتــين قال الشاعــر :

دَعَوْت لِمَا نَا بَنِي مِشْوَار   فَلَبَّيْ فَلَبَّي يَدَي مِسْوَر[1]

و في موطن آخر يوظف عبارة :" **اجتماع حرفين من جنس واحد** " للدلالة على هذه الظاهرة يقول: « وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفا من غير ذلك الجنس، من ذلك قول الله غز و جل (**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**)[2]معناه دَسَّسَها ومثل قوله عز و جَلَّ :(**ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى**)[3] أي يَتَمَطَّط فحولت السين والطاء يَاءً »[4]

رغم أن الخليل لم يستقر على مصطلح مقيد لظاهرة المخالفة الا أنه أدرك وجودها في العربية، فقد نصَّ في الأمثلة السابقة أن العرب تُبَدّل أحد الصوتين المتماثلين ياء تحقيقا للسهولة في النطق.

❖ **عنــد سيبويه :**

لم تَفُتْ سيبوية هذه الظاهرة، كما لَمْ يَفُتْه غيرها، وعَلَّل لها **بكراهية التضعيف** في قوله: « هذا باب ما شدّ فابدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف »[5] و ذلك في

1- كتاب الجمل في النحو، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ص: 153 ، 154.
2- سورة الشمس، الآية 10.
3- سورة القيامة الآية رقم: 33.
4- السابق ص: 280.
5- كتاب سيبويه، ج 4،ص: 424.

سياق حديثه عن احلال الياء محلّ أحد المتماثلين:« و ذلك قولك :تَسَرَّيْتُ، وتَظَنَّيْتُ وتَقَصَّيْتُ من القصّة، وامْلَيْتُ، كما أن التاء في اسْتَتُوا مبدلة من اليَاء أرادوا حرفًا أخف عليهم منها، و اجلد، كما فعلوا ذلك في " اتلج " وبَدلها شاذ هنا بمترلته في سِيت، وكلّ هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد »[1].

ويمضي سيبوية في تكرار هذا المصطلح في مواضع متفرقة من كتابه من ذلك حديثه عن إحلال السين محلّ أحد المتماثلين، يقول: « و قال بعضهم، اسْتَخَذ فلان أرضًا يريد اتّخَذَ أرضا كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في اتّخَذ كما أبدلوا حيث كَثُرَت في كلامهم وكانتا تائين، فأبْدَلوا السين مكانها، كما أُبْدِلت مكانها في سِت و انما فعل هذا كراهية التضعيف »[2].

نستنتج من الأمثلة التي ساقها سيبويه أن الناطق صَعُبَ عليه التّضْعيف، فوجد في تحقيقه عسرا و مشقّة على اللسان في الارتفاع والعودة الى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية، فأبدله بأحد الأصوات المتوسطة.

❖ عنـــد المُبَـــرِّد :

يطلق المبرّد على المخالفة عبارة " **استثقال التضعيف**"، فقد نَصَّ أن قومًا من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من التاء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد[3]، ثم يَعْرِض لصور المخالفة التي يمكن أن تحدث بين صوتين متماثلين فيقلب

1 – السابق، ج 4،ص: 424.

2– السابق، ج4، ص: 484.

3– ينظر: المقتضب، المبرد، تحقيق حسن حمد مراجعة د. اميل يعقوب دار الكتب العلمية،لبنان، ط1 1410هـ 1999م، ج 1 ص: 272.

أحدهما إلى ياء قصد اجتناب ثقل التضعيف، ومن ذلك قوله : « وذلك قولهم في تَقَضّضْتُ : تقضَّيْتَ و في "امْلَلْتَ" "امْلَيْت" وكذلك "تَسَرَّيْتُ" في "تَسَرَّرْت" و الدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولك: "دِينَار" و "قِيرَاط" و الأصْل "دِنّار" و"قِرَّاط" فَأُبْدلت الياء للكسرة فَلَمّا فرّقْتَ بين المضاعفين، رجع الأصلُ فقُلْتَ "دنانير" و"قراريط" وقَرَيريط"»[1]. والعلّة الصوتية عنده في ابدال أحد المتماثلين ياء أن رفع اللسان عنه مرّة واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه، و عن الحرف الذي من مخرجه ولا فضل بينهما[2].

النَاظِر في الأمثلة التي ساقها **المبرد** يُدْرك أن العربية قد جنحت في تخلّصِها من ثقل التماثل الوارد فيها بالتماسها صوتا من الأصوات المتوسطة، ذلك أن النُطْقَ بالصوت المضَعّف يُجْهِد آلةَ التصويت لأنه يتطلّب في تحقيقه مجهودا عضليا أكبر.

❖ عنـــد ابـــن جنـــي :

على نهج الخليل يمضي ابن جني في التعبير عن ظاهرة المخالفة متخذًا من عبارة **"اجتماع حرفين من جنس واحد"** [3]، وذلك في قوله: « فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون الحَيْحَاء والعَيْعَاء: فيعَالا، ولكنهم كرهوا أن يحذفوا الياء على حد حذفهم إيّاها في: القتال و السِّباب لأنه كان يلزمهم أن يقولوا : حَحَاء و عِعَاء فيلزمهم اجتماع حرفين من

1 - السابق، ج1، ص : 272.
2- السابق، ج1، ص: 272.
3- ينظر: المنصف، ابن جني، ج 2، ص: 174.

جنس واحد في أوّل الكلمة، إلاّ أنه ترك الإنفصال من هذه الزيادة وعدل إلى الإستدلال على أن حَاحَيْت و أخوَاهَا فَعللتُ بقولهم في المصدر الحَاحَاة و العَاعَاة و الهَاهَاة »[1].

يُفْهم من قول ابن جني أن حذف الحاء والعين الثانيين إنّما تمّ لغرض التخفيف والتقليل من الجهد العضلي الذي تبذله أعضاء الفم للنطق بصوتين متماثلين متواليين، وهذا ما تسعى اليه المخالفة الصوتية.

ومن أمثلة أقواله التي يستخدم فيها عبارة **اجتماع حرفين من جنس واحد**، حديثه الذي يُبيّن فيه ابدال الياء من أحد المتماثلين متخذًا من الفعل **دَهْدَهْت** مثالا لذلك يقول:« قول بعضهم : دَهْدَهَتُ يدل على صحة ما ذهب إليه الخليل، وأصل هذه : هذي فأبدلوا الهاء من الياء، و كذلك أبدلوا الياء من الهاء في دَهْدَيْتُ » [2]

ومن قبيل المخالفة ما ذكره ابن جني من أن الناطق بصورتين متماثلين يجنح عادة إلى تعويض أحدهما بصوت أخف وأسهل نطقًا، عَادَة ما ينتمي الصوت المبدّل إلى مجموعة المخالفة : الياء والواو والميم واللام، ويسوق لذلك أمثلة يبيّن فيها استثقال العرب لتوالي صوتين متماثلين لأن في تحقيقهما جهدًا كبيرًا فمالوا الى ابدال أحدهما، ويمثل لذلك بكلمة "**حَيَوَان**" التي أصلها "**حَيَيَان**" يقول:« والحيوان أصله الحَيَيَان فقلبت الياء التي هي لام واوًا استكراهًا لتوالي الياءين ليختلف الحرفان » [3].

كما يستخدم ابن جني عبارة "**كراهية التضعيف**" للدلالة على المخالفة، و يبيِّن

1- المنصف، ابن جني، ج2، ص: 174.

2- السابق، ج2، ص: 175.

3- سر صناعة الاعراب، ابن جني، ج2 ص: 589.

من خلال الأمثلة التي يسوقها أن العرب يستثقلون التضعيف ويَرَوْنَ في تحقيقه جهدًا كبيرًا، فمالوا إلى إبدال الصوت المضعف بأحد الأصوات الصائتة لسهولتها ويُسْرها في التحقيق، ومن النصوص التي استثمر فيها هذا المصطلح قوله: « قصّيْت أظفاري في معنى قَصَّصْتُها، فهذا مثل تظَنَّيْتُ أُبْدِلت الصاد الثالثة ياء كراهية للتضعيف»[1] .

ويسوق لذلك أمثلة أخرى منها: « و من ذلك قولهم "تَظَنَّيْتُ" و انّما هي تَفَعَّلْتُ من الظنّ و أصْلُها تَظَنَّنْتُ فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف» [2]. ومن ذلك قول العرب "تقضِيِّ البازي" و هو في الأصْلِ في تركيب قضُضَ أبدلت الضاد الثالثة ياء[3].

إذا كان ابن جني قد فسر أغلب الأمثلة التي ساقها عن المخالفة الصوتية في كتابه "سرصناعة الإعراب" بكراهية التضعيف، فإنه في مواضع أخرى من كتابه الخصائص يشير إلى مَا سَمّاه بـــ "**إحالة الصنعة**" يقول: « ومن ذلك قول العرب: قصَّيْت أظْفَاري من لفظ قصَصَ وقد آل بالصنعـــة التي لفظ قصي، وكذلك قولـــه : تقضّي البازي اذا البازي كسر وهو في الأصل من تركيب قضض ثم أحالـــه ما عرض من استثقـــال تكريره إلى لفظ قضي »[4].

يُفْهم من أقوال ابن جني أن المخالفـــة الصوتيـــة تهدف إلى التقليـــل من الجهـــد العضلي بقلب أحد المتماثلين صوتا آخر، وأنّ العربي استثقل التضعيف ورأى في تحقيقـــه جهدًا كبيرًا فمال إلى إبدال الصوت المضعّف بأصوات اللين و أشباههـــا لسهولتهـــا و يسرهـــا في التحقيـــق.

1- سر صناعة الاعراب، ج 2، ص: 759.
2- السابق، ج2، ص: 757.
3- ينظر: السابق، ج2، ص: 759.
4- الخصائص، ج 2، ص: 90، 91.

❖ **عنــــد ابــــن يعيــــش :**

يستخدم ابن يعيش أوصَافًا للدلالة على المخالفة منها "**ثقل التضعيف**" و ذلك في حديثه عن إبدال أحد المتماثلين ياء، يقول: « من ذلك قولهم "أمْلَيْت" الكتاب قال الله تعالى: "فهي تُمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَاَصِيلًا " والأصل امْلَلْتُ و قال الله تعالى" و لْيُمْلِلْ الذِي عَلَيْهِ الحَق " والوجه أنها لغتان لأن تصرفهما واحد تقول أَمْلَى الكتاب يمليه املاءً و املالا فليس جعل أحدهما أصْلاً و الآخر فرعًا بأولى من العكس، و قالوا "قَصَّيت اظفاري" حكاه ابن السَكّيت في قصَّصْت أبْدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف» [1].

كما يَعْرض لصور المخالفة الأخرى التي يمكن أن تحدث بين صوتين متماثلين، فيبدل أحدهما ياء قصد تجنب ثقل التضعيف، من ذلك إبدال احدى النونات ياء في تظَنَّن و تَسَنَّنَ : «وقالوا تظَنَّيتُ و أصْلُه تظَنَّنْتُ و التَظَنّي اعمال الظَنّ و أصله التنظُّنُن فأبدلوا من احدى نوناته الياء لثقل التضعيف، وقالوا في قوله تعالى"لم يَتَسَنَّ" أصله لَمْ يَتَسَنَّنْ من قوله تعالى "من حمأ مسنون" أي متغير فأبْدل من النون الثالثة ياء » [2].

و الدلالــــة التي شحن بها عبــــارة ثقل التضعيف تُسْتَشَف من حديثــــه عن احلال اليــــاء محلّ المتماثليــــن في :

قِرّاط ← قِيَراط ⇐ رر تتحول **إلى ي ر** .

1- شرح المفصل ابن يعيش، ج10، ص: 24.

2- السابق، ج10، ص: 25.

دِبّاج ← دِيبَاج ⇐ **ب ب** تتحول إلى **ي ب** .

شِرّاز ← شِيراز ⇐ ر ر تتحول إلى **ي ر**(1)

ومن الألفاظ الأخرى المقيّدة لهذه الظاهرة التي وظفها ابن يعيش « **كراهية التضعيف** » مقتفيا في ذلك سبيل سابقيه، ومن الأمثلة التي ساقها إبدال الياء من أحد المتماثلين متخذًا من لفظ "**صَهْصَهَت**" مثالاً لذلك: « و قالوا صَهْصَيْتُ في صَهْصَهْتُ اذا قُلْت صَهْ بمعنى اسْكُتْ فالياء بدل من الهاء كراهية التضعيف» (2).

يُفْهم من أقوال ابن يعيش أن الناطق استثقَلَ التضعيف ورأى في تحقيقه جهدًا كبيرًا فمال إلى ابدال الصوت المضعّف بأصوات اللين وأشباهها لأنها لا تستلزم لانتاجها مجهودا كالذي يحتاجه الصوت المضَعّف لاصداره .

❖ **عنـــد السيــوطــي :**

يتطرق السيوطي إلى ظاهرة المخالفة معبّرًا عنها بـــ "**كراهة اجتماع الأمثال**" و يبدو هذا لديه في حديثه عن إبدال الهاء يَاء في دُهْدَهْتُ. يقول: « فمن الأوّل قالوا دَهْدَهْتُ الحجر، دَهْدَيْتُ قلبوا الهاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال. » (3) ويستمر السيوطي في تكراره لهذا الوصف في مواطن أخرى من ذلك حديثه عن قلب أحد حرفي التضعيف: « و قالوا في النسب إلى نحو شَجّ وعَمّ : شجوي وعموي بقلب الياء وَاوًا لذلك، وكذلك قالوا في نحو حَيّ، حيوي و في نحو تحية تحوي لذلك، وهُنَيْهَة أصلها هنيّة

1- شرح المفصل، ج 10، ص: 24.

2- السابق، ج10، ص: 24.

3- الأشباه و النظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص: 23.

فأبدلت الهاء من الياء كراهة لاجتماع الأمثال، والحَيَوان من مضاعف الياء وأصله حَيَيَان، قلبت الياء الثانية واو وانْ كان الواو أثقل منها كراهة اجتماع الأمثال » [1] .

ومن النصوص إلى استثمر فيها عبارة **كراهة اجتماع الأمثال** حديثه الذي علّل فيه استثقال العرب الجمع بين المثلين مما أدّى إلى حذف أحَدِهما كحذف احدى الياءين من سيّد وهيّن وليّن[2].

وكذلك حذف أحد مثلي ظَلَلْتُ و مَسَسْتُ و احْسَسْتُ [3] .

من خلال هذا الاستقراء لظاهرة المخالفة في التراث الصوتي العربي، يتبين لنا أن لغويينا القدامى لم تَفُتْهُم هذه الظاهرة، بل تابعوها بحدود متناثرة في كتبهم، مُنَظِرِين لها تارة، و دارسين لها تارة أخرى.

ب – عند اللغويين المحدثين:

تعرض **إبراهيم أنيس** إلى ظاهرة المخالفة الصوتية مستخدمًا نفس المصطلح للدلالة على أنه ترجمة للفظ "**Dissimilation**"، و هي في منظوره إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، ذلك أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي [4].

1- السابق، ج1 ص: 24.
2- السابق، ج1 ص: 24.
3- السابق، ج1،ص: 24.
4- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 212.

فالمخالفـــة في نظره مظهر من مظاهر التطـــور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحوّلي يتجـــه نحو الأسهـــل، والسبب فيها من الناحيـــة الصوتيـــة عنده هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي عند النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود يُقْلَب أحدُ الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودًا عضليا كأصوات اللين وأشباههـــا.

يُدَعّم إبراهيم أنيس تفسيره للمخالفة ببعض الأمثلة التي انتقاها من مصادر التراث اللغوي، فهو يرى أنّ ألفاظًا مثل **طَحَا، الماح، الجواب، العوس، زاح، غمس، انغمس، قيراط، دينار، قصيت، حنا** تكون قد انحدرت من بنائها المضعف تحت تأثير قانون الاقتصاد في الجهد وصيغها الأصلية كالآتي: **الطحّ، المحّ، الجبّ، عَسَّ، زحّه، غسَّ، انغَس، قرّاط ، دنّار، قصّصْت ،حنّ**(1)

ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أنه إذا كانت المماثلة تقرِّب بين الأصوات المتجاورة بأن يصبحا متماثلين، فإنّ المخالفة تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي، فتقلب أحد المتماثلين المتجاورين إلى صوت لين طويل أو إلى مايشبه أصوات اللين كاللام والنون فهذه الأصوات مسلك من المسالك التي تنتهجها العربية للتخلص من ثقل التماثل(2).

يُعَدّ **أحمد مختار عمر** من الدارسين المحدثين الذين آثروا استعمال مصطلح **المخالفة** للدلالة على أنه ترجمة للفظ **Dissimilation** أو **Différentiation**، مبيّنا أنها ظاهرة

1- ينظر: السابق، ص: 213.

2- ينظر: السابق، ص: 214.

تحدث بصورة أقل من حدوث المماثلة وهي موجودة في كلّ اللغات من ذلك كلمتي : "Marble" و"Pilgrim" اللتان كان أصل أل (L) فيهما (r) [1].

ومن الأمثلة التي ساقها من العربية إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفًا مما يفسر نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة، وإبدال الكسرة فتحة إذا جاورت ياء مد كما في كثير من العاميات العربية التي تبدِّل صيغة "**فِعِّيل**" إلى "**فَعِّيل**" مثل "**عَوِّيم** "و "**إكِّيل**" و"**حَبيب**" و"**سَهِير**" [2].

ثم يخلص إلى أن المخالفة مظهر من مظاهر التطور الصوتي تستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، و لإبراز الفونيمات في صور أكثر استقلالية، وذلك لتيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، وهي عامل مهم لإحداث التوازن بين مطلب سهولة النطق، ومطلب سهولة التفريق بين المعاني[3] .

أمّا **رمضان عبد التواب** فإنه يسير في النحو الذي سار عليه سَابِقَيْه في استعمال نفس مصطلح المخالفة[4] Dissimilation معرفا إيّاها بأنها قانون يعمد إلى صوتين متماثلين فيُغَيِّر أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة[5] مشيرا إلى أن هذه الظاهرة قد تفطن اليها قدامى اللغويين العرب، وعبّروا عنها بتسميات مختلفة منها "**كراهية التضعيف**" و"**كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد**" و"**اجتماع الأمثال مكروه**"[6] مُبَيِّنا أن السبب فيها من الناحية الصوتية هو

1- دراسة الصوت الغوي، ص 384.

2- السابق، ص: 385.

3- السابق، ص: 384.

4- ينظر: لحن العامة و التطور اللغوي، ص: 45 ، و التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 37.

5- ينظر:التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 37.

6- ينظر: لحن العامة و التطور اللغوي ، ص: 46.

أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهدًا عضليا، مثل أشباه صوت العلّة (الواو و الياء) وبعض الأصوات المتوسطة كاللام والنون والراء ويعد ذلك مظهرًا من مظاهر قانون التيسير اللغوي[1].

كما نجد المصطلح نفسه ــ أي المخالفة ــ يستعمله **عبد القادر عبد الجليل** ويتّفق مع **أحمد مختار عمر** في أن المخالفة قوّة سالبة تسعى إلى تخفيض حدّ الخلاف بين الأصوات، ولا يمكن الاستغناء عنها في اظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، وأنها ضرورية لتحقيق حالة التوازن وتقليل المدى التأثيري للمماثلة[2].

تعتبر المخالفة عنده الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة، تسعى إلى التقليل من الجهد العضلي، حيث يقلب أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين إمّا إلى صائت طويل أو إلى ما يشبهه من الأصوات كاللام و النون و الميم و في هذا اقصى مراحل التسير[3].

يتطرق **عبد العزيز مطر** إلى التغيرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف، مستعملا مصطلح **المغايرة**، وهو ترجمة للفظ **Dissimilation**، مبيّنا أنها من السياقات الصوتية التي تحدث في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغيرأحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل أو أحد الأصوات الشبيهة بها و هي اللام والراء والنون والميم[4]. وغاية هذه الظاهرة عنده هي تحقيق السهولة في النطق و تقليل الجهد العضلي، ذلك أن النظام اللغوي يسعى في تخلّصه من ثقل التضعيف، لاستخدام ظاهرة المغايرة التي

1- السابق،ص: 46.

2- ينظر: الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل، ص: 291.

3- السابق، ص: 293.

4- ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، عبد العزيز مطر، ص: 259.

تقضي بتباعد المثلين ومخالفتهما، وهذا بابدال أحداهما صوتا من السبعة المخالف بها، والمتميزة بالخفة و السهولة و في ذلك يقول:« أن النطق المضعف يتطلب مجهودًا عضليا أكبر ممّا لَوْ قلب أحد الصوتين إلى صوت لين، أو صوت من الأصوات التي برهنت الدراسة الصوتية الحديثة على وجود شبه بينها، وبَيْن أصوات اللين وهي الأصوات الأربعة السابقة (الراء و اللام و الميم و النون)» [(1)].

والظاهر من الأمثلة التي ساقها من كتب التراث أن الصوت المخالف لا يعدو أن يكون من الأصوات السبعة المذكورة كما في :

تَقَعَّر ← تَقَعْوَر ⇐ رر **تتحول إلى ور**

عَدَبّس ← عَدَنبَس ⇐ **ب ب** تتحول **إلى ن ب**

كُرّاسَة ← كُرْنَاسة ⇐ **رر** تتحول **إلى رن**

قَنّبيط ← قَرْنَبيط ⇐ **ن ن** تتحول **إلى ر ن**

مُفَطّح ← مُفَلْطَح ⇐ **ج ج** تتحول **إلى ل ط**

اِجّاص← اِنْجَاص ⇐ **ج ج** تتحول **إلى ن ج**

عَقّافة ← عَرقَافَة ⇐ **ق ق ← ر ق**[(2)]

1- السابق، ص: 261.

2- ينظر : السابق، ص: 266، 267.

ووجه الشبه بين هذه الأصوات أن مجرى الهواء يتسع مع الأصوات المائعة أكثر من اتساعه مع الأصوات الساكنة، وأنّ الأصوات المتوسطة أقرب الأصوات في الوضوح السمعي إلى أصوات الليّن، كما تتميز بالخفة والسهولة و الاعتدال في الجهد العضلي المبذول [1].

وقد تبيّن ذلك من خلال استقراء بعض معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم أنّ **الراء** وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثلاثة (الصِّحَاح و اللّسان و التاج)، ثم **النون** في اللّسان والتاج، ثم **الميم** في اللّسان و التاج، امّا **النون** فقد وردت بأعلى نسبة في الصّحاح وكان **اللام** آخرها، امّا فيما يتعلق بالقرآن الكريم فقد تبيّن أن **اللام** وردت 33022 مرة، و**النون** 2525 مرّة و**الرّاء** 11793 مرّة[2].

ومن خلال الأمثلة التي ساقها، وعلى ضوئها فَسَّر حدوث ظاهرة اللحن، يخلص عبد العزيز مطر إلى حقيقة هي أن المغايرة قرَّرَها اللغويون المحدثون وأعترفوا بأثرها في التطور الصوتي في جميع اللغات[3].

عبّر **محمـــود فهمي حجازي** هو الآخر عن المخالفـــة بمصطلح **المغايـــرة**، وبيّن أنها نقيض المماثلـــة تؤدي إلى أن تصبح الصوامت المكوّنـــة مختلفـــة بعد أن كانت مُتّفقـــة أو متقاربـــة[4]

1- ينظر :السابق، ص: 259، 267.

2- البنية اللغوية لبردة البوصيري، رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية ،د.ط 1993،ص: 59. و يراجع كذلك : دراسة احصائية لجذور معجم باستخدام الكمبيوتر، علي حلمي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت ، د.ط، ص: 113.

3- ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص: 269.

4- ينظر: مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ،1998 ص: 87.

و تتضح ظاهرة المغايرة عنده من خلال الأمثلة التي ساقها وهي :

عُنْوَان ← عُلْوَان ⇐ ن ن ← ل ن

لَعَلَّ ← لَعَنَّ ⇐ ل ل ← ل ن

كُرسَار Corsor ← كُرسَانْ ⇐ ر ر ← ر ن

في هذه الأمثلة خالفت الأصوات المتماثلة أو التي يؤدي تجاورها إلى ثقل النطق وذلك باحلال صوت آخر محّل أحد المتماثلين، فالأمثلة توضح أن الصوتين الناتجين متباعدان عن الصوتين الموجودين في الكلمة الأساسية، و لذا فالتغير الحادث مغايرة [1].

يُعَدّ **علي عبد الواحد وافي** من اللغويين المحدثين الذين آثروا استعمال مصطلح "**التباين**" للدلالة على المخالفة، يقول: « تارة يتحول صوت أحدهما إلى صوت مغاير آخر (ظاهرة **التباين** dissimilation) » [2].

والمخالفة عنده تتم بإحدى الطريقتين :

1- المخالفة بالتعويض: فيتحول الأول كما حدث في :**Orphaninas Peregrinum** التي تتحول في الفرنسية إلى: "**Orphelin Pelerin**" وأحيانا يتحول ثانيهما كما في **Cribrum** اللاتينية التي أصبحت في الفرنسية **Crible** [3].

1- السابق، ص: 87.

2- اللغة و المجتمع، د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة ،ب.ط ، ب.ت ص: 88.

3- السابق، ص: 88.

ومن الأمثلة التي ساقها ما حدث للاّم المشدّدة في اللاتينية إذ تحول صوتها الثاني إلى ياء كما في:" **Castella** " التي أصبحت" **Castilla**" و ينطق بها" **Castilya**"[1] .

2 ــ المخالفة بالحذف أو سقوط أحد الصوتين في النطق كما حدث في معظم الأصوات المشدّدة في العربية اذ تحولت في لهجات كثير من بلاد الشرقية إلى أصوات مخففة فيقال مثلا : « كَلْمي امْهَا، عَمْها، كُل بَدٌ بدلا من: كَلِّمي امّها، عمُّها، من كُل بَدٍّ » [2].

يتطرق **الطيّب البكوش** إلى التغييرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف، مستعملا مصطلح "**التباين**" الذي هو نزعة صوتين متماثلين، أومتقاربين إلى التباعد و التباين حتى يخف نطقهما[3].

والتباين عنده من الظواهــر التشكيلية التي يستلزمها النظام الصوتي ومظهــر من مظاهر التطور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحوّلي يتجه نحو الأيسر والأسهل، وتَحْدُث كثيرًا في العربيــة، وبخاصــة في معالجــة الكلمات الدخيلــة و في نطق العامّــة للكلمات العربيــة الأصل.

والظاهر من الأمثلة التي ساقها، أن الناطق التمس سبيل التباين لتجاوز ثقل التماثل وذلك بإبدال أحدهما صوتا من الأصوات المائعة مثل :

1- السابق، ص: 88.

2- السابق، ص: 88 – 89.

3- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، ص: 72.

قُبّرة ← قُنْبُرة ⇐ ب ب ← ن ب

فَقّع ← فَرْقَع ⇐ ق ق ← ر ق

خَرُّوب ← خَرْنُوب ⇐ ر ر ← ر ن

خَمّس ← خَرمَس ⇐ م م ← ر م

قَنَّب ← قَرْنَب ⇐ ن ن ← ر ن[1].

كما تتأثر الصوامت بعامل التباين، كذلك هي الصوائت، حيث تتدخل المخالفة للتخلص من الثقل، ولعلّ الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي والابتعاد عن نطق حركتين متماثلين كما في:

بَرَكات ← بِركار

أَبَاره ← إِبَاره[2]

وإذا كان أحمد مختار عمر يرتكز على الجانب الدلالي في بيان أهمية المخالفة فإن الطيّب البكوش يرى فيها قيمة تفارقية في تنوع الصيغ الفعلية كما في :

فَعِلَ ← يَفْعَل

فَعَل ← يَفْعُل أو يَفْعِل[3]

1- التصريف العربي، ص: 72.
2- السابق، ص: 73.
3- السابق، ص: 73.

نخلص من معالجة اللغويين المحدثين لظاهرة المخالفة أنهم تباينوا في تحديد مصطلحاتها، لكنهم اتفقوا على أنها الوجه المقابل للمماثلة،تسعى إلى التقليل من الجهد العضلي، وهي مظهر من مظاهر التطور يجنح إليها المتكلم لتجنب الثقل الناتج عن التضعيف، وهي بذلك إحدى نتائج السهولة التي نادى بها الكثير من اللغويين.

4- أنواع المخالفة :

تتنوع المخالفة الى تقدمية ورجعية، والتقدمية أن يوجد صوتان متشابهان فَيُؤَثرالسابق في اللّاحِق، والرجعية أن يُؤَثّر الصوت الثاني في الأول، وفي كلتا الحالتين قد يكون الصوتان محل التأثير في حالة الاتصال، و قد يكونا منفصلين بعضهما عن بعض، وقد تكون المخالفة نَحْوًا آخر إذا حصل تقليص للصوت أو الزيادة في كميته فالمخالفة كمية، وإذا لم يتِمْ تعويض الصوت المثل أو المجانس المحذوف فتكون المخالفة وقتئذ بالحذف، وفيما يلي تتبع لأنواعها بالأمثلة والشواهد.

أ– المخالفة التقدمية المتصلة :

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المتّصل، فيكون الثاني هو المخالف، وفي العربية كلمات كثيرة تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيتَحَوّل الثاني إلى صوت لين طويل ، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين من ذلك :

كرّاسة ← كُرْناسة ⇐ رر← رن

فَرَّك ← فَرْنَك[1]⇐ رر ← رن

ذرّوح[2] ← ذرنوح ⇐ رر ← رن

طَرّح [3] ← طَرمح ⇐ رر ← رم

اختارت العربية النون و الميم بديلا عن أحد عنصري التضييق فرارا من تتابع رائين في الأمثلة السابقة، لأن الناطق لهذه الكلمات يحسّ بثقل الإدغام فيها، لأن النطق بصوتين متماثلين يحتاج إلى مجهود عضلي[4].

ورغم أن الإدغام أسلوب من أساليب التسهيل كونه يختزل عمليتين في عملية واحدة فقط، إلاّ أن الناطق أراد أن يتحول من السهل إلى الأسهل عن طريق مخالفة الصوت الثاني للأوّل بقلبه بتلك الأصوات التي لا تلتزم مجهودا عضليا، كالنون في الأمثلة الثلاثة الأولى و الميم في المثال الرابع .

---

1 – ينظر المدخل إلى علم الأصوات، د.صلاح حسن حسنين، ص: 81، 82.

2 – الذُّرْنُوح و الذُّرُوح : دُوَيْبّة حمراء مُنَقَطة بسواد تطير ، و هي من السّموم ينظر القاموس المحيط الامام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م، مادة (ذ ر ح) ج 1 ص: 302.

3 – طَرّح البناء و طَرْمحه طوّله ، الطِّرموح كزنبور الطويل و كَسِّمار العالي النَّسب المشهور والطامح في الأمر،ينظر القاموس المحيط مادة (ط ر ح) ج 1، ص: 326.

4 – ينظر: الأصوات اللغوية . إبراهيم أنيس ص :216.

ومن نماذج المخالفة التقدمية المتصلة صعوبة النطق بصوتين متماثلين كما في "**تَقَعَّرَ**" فعملت المخالفة الصوتية على فك هذا الاستثقال والاستعاضة عن الصوت الثاني بواو، لما تتميز به من خفّة و سهولة في التحقيق فتصبح الصيغة كالآتي :

تَقَعَّرَ← تَقَعْور ⇐ **عع** ← **عو**

و كذلك :

حدَّقَ ← حَدْلَقَ ⇐ **دد** ← **دل**

ومن صور التخالف التقدمي المتصل ما ورد في كتب التراث فقالوا في "**خَبَّبُوا**" : "**خَبْخَبُوا**" إذ خالفوا بالباء الثانية فجعلوها خاء، و لم يجعلوها أحد الأصوات المائعة مماثلة للخاء الأولى، جاء في لسان العرب: « و خبْخَبُوا : ابْرَدُوا، خَبَّبُوا بثلاث باءات، أبدلوا من الباء الوسطى خَاء للفرق بين فَعْلَل وفَعَّل و إنما زادوا الخاء من سائر الحروف لأن في الكلمة خاءً، و هذه علّة جميع ما يشبهه من الكلمات »[1].

و قالوا في :

"**طسّ**" ← "**طست**" قال الشاعر :

لَوْ عرضت لأيْبُلِيّ قسّ   **اشْعَثَ في هَيْكَلِه مُنْدَسِّ**

حَنّ إليهها كحنين الطَسِّ [2]

1- مادة (خَبَّ)، ج5، ص: 7.

2- سر صناعة الاعراب، ابن جني، ج 1، ص 156.

و في لِصّ ← لِصْت قال الشاعر :

فتركن نَهدًا عُيَّلاً أبناؤُهَا و بَنِي كِنَانة كاللُّصُوت المُرّد (1)

ب- المخالفة التقدمية المنفصلة:

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المنفصل، فيكون الثاني هو المغاير، ومن أبرز الأمثلة عل ذلك :

مخالفة العربية بين المثلين المتباعدين في الكلمة بحذف أحدهما والتعويض عنه بصامت آخر غالبا ما يكون التعويض بأشباه الحركات (الياء والواو)، أو بأحد الأصوات المائعة و من ذلك قول العرب :" **تَلَعَّيْتُ** "وأصْلُه" **تَلَعَّعْتُ** " من اللُّعّاعة فجيء بالياء مكان العين، قال **ابن جني** : « وأخبرنا أبو علي باسناده عن يعقوب، قال: قال ابن الاعرابي : تَلَعَّيْتُ من اللعاعة، بقلة وأصل تَلَعَّيتُ تَلَعَّعْتُ فابدلوا من العين الآخرة ياء، كما قالوا تَفَضَّيْتُ و تَظَنَّيْتُ »(2).

يتمطَّى والأصل يَتَمَطَّطُ قال الله تعالى : (**ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى**)(3).

بالاضافة إلى ما سبق، فقد ذكر اللغويون من هذا الباب "**لَبَّيْك**" أيضا فالأصل فيه" **لَبَّبَكَ**" من **أَلَبَّ** بالمكان قال الخليل:« ويقال أَلَبَّ الرجل بمكان كذا وكذا أي أقام، وكان الوجه أن تقول لَبَّبْتُكَ لأنهم شبّهوا ذلك باللَّبب»(4).

1- السابق، ج1، ص: 156.

2- سر صناعة الاعراب، ج 2 ص 763.

3- سورة القيامة الآية، رقم 33.

4- كتاب الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 153.

نستنتج من هذه الأمثلة أن القدماء استثقلوا التضعيف ووجدوا في تحقيقه عُسْرًا ومشقة على اللسان، وذلك لصعوبة ارتفاعه والعودة إلى النقطة نفسها في اللّحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية فمالوا إلى ابدال الصوت المضعف بأحد الأصوات الصائتة[1].

وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفسر إعراب جمع المؤنث السالم بالكسر نيابة عن الفتح في حالة النصب، فالتحريك بالكسر في حالة النصب ليس إلاّ مخالفة صوتية مع الفتحة الطويلة قبلها[2] ، وقد احتفظت اللغة العربية بألفاظ ظهر فيها الإعراب الأصلي لجمع المؤنث السالم بالفتح في حالة النصب من ذلك قول أبي عمرو بن العلاء : « استأْصَلَ اللّه عرقَاتَهم »[3] وجاء في مجالس العلماء للزجاجي: « قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة[4] كيف تقول حفرت اراتك ؟ فقال : حفرت اراتَكَ. قال : فكيف تقول : استَأْصَلَ اللّه عرقَاتَهم أو عَرقَاتِهم ؟ قال: استأصل اللّه عرقَاتَهم فلم يعرفها أبو عمرو، و قال لأن جلدك يَا أبَا خيرة ، يقول أخطأت ، قال أبو العبّاس، و هي لغة لم تبلغ أبَا عَمْرُو»[5].

ومن بقايا الركام اللغوي التي تدل على أنّ أصل حركة نون المثنى هي الفتحة كلمة " **شتّان** " ومن ذلك قول العرب : « **شتان أخوك و أبوك** "أي هما متفرقان فهو تثنية **شَتّ** " جاء في اللسان :" الشَتّ المتفرق وتثنية شتَّان و جمعه اشْتَاتَ»[6] وإن كان السلف يفرّقون بين **شتّان** بالفتح و **شتّان** بالكسرة فيزعمون أن شتّان بالفتح يُفيد التثنية،

---

1 – ينظر : الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص: 296.

2 – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د فوزي حسن الشايب، ص: 388.

3- الخصائص، ج 1، ص: 384.

4 – هو أبو خيرة نهشل بن زيد الأعرابي المشهور.

5- ص 5.

6- لسان العرب، ابن منظور مادة (ش ت ت)، ج8، ص:20.

و لكن ليس له مفرد من لفظه قال أبو زيد : « شَتّانَ منصوب على كل حال، لأنه ليس له واحد »[1] أما تثنية شَتّ فهي شَتّانِ بكسر النون[2]، وحقيقة الأمر أن "**شَتّانِ**" متطورة عن "**شَتَّانَ**" وكلاهما يفيد التثنية ،فشَتَّانَ هي الصورة الأصلية للمثنى شَتَّانِ[3].

- ومن صور المخالفة بين الحركات، تحريك نون التوكيد الثقيلة بالكسر بعد الفتحة الطويلة وذلك في مثل قولهم : « هل تَفْعَلاَنِّ ذلك، و تَضْرِبَانِّ زيدًا »[4].

وفي القرآن الكريم نجد هذا الاستخدام قال اللّه تعالى : ﴿ **و لا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[5] بينما تكون محركة بالفتح بعد الضمة والكسرة في مثل : لتضْرُبُنَّ ، و لتضْرِبِنَّ [6].

ومن القبيل تحريك نون الأفعال الخمسة بالكسر في مثل" **يَفْعَلاَنِ** " و" **تَفْعَلاَنِ**" وذلك لأجل المخالفة مع الفتحة الطويلة قبلها، بينما بقيت مفتوحة في الأمثلــة الباقية هي:" تَفْعَلُون" "ويَفْعَلُون" و"تَفْعَلِين" وذلك لأنها وقعت بعد ضمة طويلة وكسرة طويلة وكلاهما مخالف للفتحة[7].

1- السابق ، ج8، ص: 20.
2- السابق، ج8، ص: 20.
3 - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص 390.
4 - كتاب سيبويه ج 3، ص 522 ، 523.
5- سورة يونس الآية 89.
6 - الخصائص، ج1، ص 384.
7 - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د.فوزي حسن الشايب، ص: 388.

ومن هذا القبيل ما رواه **الفرّاء** عن **أبي الجراح** قوله : « مَا مِن قوم إلاّ وقد سَمِعْنا لغاتَهم بنصب التاء، وقد ذكر الفرّاء أن أبا الجراح قد رجع عن قوله لغَاتَهم إلى لغاتِهم بالكسر»[1].

فمجيء الفتح في هذه المفردات دليل قوي على أن الأصل في جمع المؤنث السالم المنصوب أن يحرك بالفتح، و أن ما آل إليه الاستخدام اللغوي من قلب الفتحة إلى كسرة كان استجابة لتأثير المخالفة لبلوغ اليُسر في النطق والاكتفاء بالحد الأدنى من الجهد المبذول في عملية الإنتاج الصوتي[2].

ومن المخالفة الصوتية في العربية، المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين إذا كانت الأولى منهما طويلة، إذ تتحول الثانية منهما في هذه الحالة إلى كبيرة[3] ومن ذلك ما يحدث لفتحة نون المثنى التي تحولت إلى كسرة بسبب تتابع فتحتين طويلة وقصيرة، فخولف بينهما بتحويل فتحة النون إلى كسرة. و قد ذهب السّلف إلى أن الأصل في نون المثنى هو الفتحة بدليل وجود بعض الألفاظ التي تمثل الركام اللغوي للظواهر اللغوية المنبرة لقول الشاعر :

عَلَى أحْوذيِّيْنَ استقلّت عشِيَّة فمَا هي إلا لَمْحَةٌ و تَغِيبُ

ثم أعقبه ابن مالك بقوله « هكذا أنشده الفَرَّاء بالفتح، و ليس موضع ضرورة»[4]

---

1 – معاني القرآن، الفرّاء، ج2،ص:93.

2 – ينظر علم الصرف الصوتي، د عبد القادر عبد الجليل، ص: 149.

3 – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص: 390.

4– شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق عبد الرحمان السيّد، مطبعة سيل العرب، مصر، ط1، د.ت، ج1، ص:65.

و من الشواهد التي جاءت فيها نون المثنى مفتوحة قول رؤبة بن العجاج[1] :

وَهْيَ تَرَى سيِّئَها إحْسَانًا   اعْرِفُ منها الأنفَ و العَيْنَانا

و مِنْخَرَيْن أشبه ظُبْيَانَا

وعلى أساس المخالفة بين الحركات نُفَسِّرُ إبقاء حركة نون جمع المذكر السّالم فتحة في جميع الأحوال، ذلك أن نون جمع المذكر السالم تكون مسبوقة دائما و أبدًا إمّا بضمة طويلة مثل: "مسلمونَ" و إمّا بكسرة طويلة "رأيت المسلمينَ" و"مررت بالمسلمينَ" ، والذي دَعَا إلى جعل حركة نون جمع المذكر السالم فتحة أن الكسرة والفتحة كلاهما حركة مغلقة[2] والمقابل الخلافي لهما هو الفتحة المتسعة، فتحريك نون جمع المذكر السالم من أصل الوضع بالفتحة لعلّه روعي فيه تحقيق هذه المخالفة الصوتية[3].

والمخالفة بين الصوامت تكاد تعم جميع اللغات دون استثناء ففي الانكليزية نجد كلمة "marble" و هذه الكلمة فرنسية الأصل "marbre " فلمّا انتقلت إلى الانجليزية خولف بين الرائين باحلال لام مكان الراء الثانية[4] وفي الاسبانية كلمة "arbol" وتعني شجرة أصلها لاتيني "arbor" حصلت مخالفة بين الراءين باحلال لام مكان الراء الأخيرة.

1 – ديوان رؤبة ضمن مجموعة أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه و ترتيبه وليم بن الورد البروسي، ليبسيغ، 1903، ص:187 .

2 – ينظر الأصوات اللغوية . عبد القادر عبد الجليل، ص: 204، 205.

3 – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص: 391.

4– ينظر: الصوتيات، برتيل ملمبرج ، ص: 121.

ج- المخالفة الرجعية المتصلة :

وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأوّل المتصل فيكون الأول هو المخالف، و من أمثلتها مَا رُوي عن أهل العراق في القرن الثاني الهجري أهم كانوا يقولون في : « **إجّاص** " للكمثري " : " **انْجَاص** " و في " **اتْرج** " " **اترُنْج** " و في : " **اجّانَه** " " **انجانة** "»[1].

فالناظر إلى هذه الأمثلة يدرك أن العربية قد جنحت في تخلصها من ثقل التماثل الوارد فيها بالتماسها صوتا من المجموعة المائعة، لأن النطق بالصوت المضعف يجهد آلة التصويت، لأنه يتطلب في تحقيقه مجهودًا عضليا أكبر، ومن هنا آلت في مسارها التخفيفي إلى استبدال أحد المثلين صوتا مائعا لأنه لا يستلزم لإنتاجه مجهودًا كالذي يحتاجه الصوت المضعف لإصداره[2].

ففي "**إجّاص**" أثر الصوت الثاني على الأوّل فجعله يخالفه إلى نون وبالتالي التخلص من التضعيف لتصبح الحالة كالآتي :

إجّاص ← انجاص ⇐ جج ← **ن ج**

و كذلك في : اترج ←اترنج ⇐ **رر** ← **رن**

وفي : اجّانه ←انجانه ⇐ **جج** ←**ن** ج

} اختارت العربية النون و الراء بديلا عن أحد عنصري التضعيف فرار من تتابع جيمين أو رائين

1- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص: 38.

2- ظواهر التشكيل الصوتي.د. مهدي بوروبة، ص: 255.

ومن أمثلة المخالفة الرجعية المتصلة تأثير الصوت الثاني على الأول في " **إجّار** " فيجعله يخالف إلى "نون" و بالتالي التخلص من التضعيف لتصبح "**انْجار** " التي جمعت أناجير، كما وَرَد ذلك في حديث الهجرة: « استقبل الناس في المدينة النبي- صلّى اللّه عليه وسلّم - على الأناجير»[1].

كلمة "**قيراط** "و "**دينار**" ، بدلاً من "**قرّاط**" و "**دِنّار**"[2] بدليل أنها في حالة الجمع تأتي "**قراريط** " و" **دنانير** " فقد فصل بين المتماثلين، وهما على الترتيب صوت الراء ، وصوت النون بصوت الياء و ذلك للمخالفة بينهما .

وقد تكون المخالفة جنوحًا إلى الخفّة في النطق و هروبًا من ثقل اجتماع صوتين مطبقين، فقد أورد سيبويه أن العرب تبدل الضاد من **اضْطَجَع** لاما يقول : « ومثل ذلك قول بعض العرب الْطَجعَ في اضطَجَعَ أبدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج و الانحراف »[3].

ومن هذا القبيل المخالفة بين أشباه الحركات الواو و الياء في مثل "**طيّ**" و"**ليّ**" وأصلهما "طَوْي" و "لَوْي" . وقد التزمت العربية المخالفة بينهما ، لأن تتابع الواو و الياء مستثقل مكروه، يعلّل سيبويه ذلك قائلا: « وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إيّاهم، وممرّهما على ألسنتهم . فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها، كان العمل من وجه واحد و رفع اللسان من موضع

1 - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص :215 .
2 - السابق، ص 213.
3- كتاب سيبويه، ج 4، ص: 483.

واحد، أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو، لأنها أخف عليهم، لشبهها بالألف» (1).

والمسوغ الصوتي لهذه المخالفة هو أن النطق بالواو يتطلب بروز الشفتين إلى الأمام واستدارتها، وهذا يحتاج إلى جهد عضلي، كما أن الواو يرتفع معها مؤخر اللسان، بينما الياء يرتفع الجزء الأساسي من اللسان وحركة الجزء الأساسي من اللسان أخف من حركة الجزء الخلفي منه، لهذه الأسباب التزمت العربية التخلص من الواو متى اجتمعت مع الياء دون أن يفصل بينهما فاصل من حركة أو صامت و عوضت عن الواو المحذوفة بمد الياء (2).

تتأثر الواو بالكسرة التابعة لها في أول الكلمة فتبدل همزة كما هي :

وِشاح ← إشاح

وِسادة ← إسادة

وِفادة ← إفادة

فماحدث في هذه الأمثلة أن الواو التقت بالكسرة، و هو التقاء يرفضه الذوق العربي وبخاصة إذا كان في أوّل الكلمة، والتعليل الصوتي لذلك هو أن : « الواو تستثقل مَا لا يستثقل غيرها من الحروف، فإذا كان ذلك في أوّل الكلمة كان أثقل من أن يكون

1 - السابق، ج4، ص: 365.

2 - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 347.

في الحشو منها، وقد يكون أكثر ما قلب من الواوات ... ما كان مضمومًا في أوّل الكلمة ... والدّليل على أن الواو أثقل من غيرها أن قلبها إلى غيرها أكثر من قلب غيرها إليها و الدليل على أن الضمة تثقلها أنها متى كانت مضمومة جاز قلبها إلى همزة أين وقعت على الشرط الذي وضعنا، والدليل على أن أوّل الكلمة أثقل و أولى بالاعلال من الحشو أن الواو إذا كانت مكسورة في أوّل الكلمة جاز همزها كقولنا في وِسَادة : إسادة و في وِشاح إشاح ... فلما كان ذلك على ما ذكرنا ووقعت الواو مضمومة في أوّل الكلمة جاز إبدالها لما ذكرنا فقلبت همزة »[1].

و الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة في بداية الكلمة تُخالَف إلى همزة عند أهل تميم[2].

لم تتقيد العرب في معالجتها لثقل التماثل بأصوات اللين، أو الأصوات المائعة، التي اعتادت المخالفة بها، بل دَعاها ذوقها إلى الاستعانة بأصوات أخرى لتجاوز ثقل التماثل ومن ذلك استثقال العرب القران بين المتجانسين الواو و الضمة في: "**وُكْلان**"، و"**وُراث**" و"**وُجاه**" و"**وقية**" التي أصبحت " **تَكْلان** " و"**تُراث**" و" **تُجاه**" و" **تقية**"[3]. فلمّا كان بين الحركات والحروف هذه المناسبة أجروا الواو والضمة مجرى الواوين المجتمعتين فعملوا على المخالفة بينهما بابدال الواو تاء تخفيفًا للنطق وتسهيله.

1 – السيرافي النحوي ،ص 573.

2– المدخل إلى علم الأصوات ، صلاح الدين صالح حسنين، ص : 82.

3– ينظر التصريف الملوكي، ابن جني تحقيق محمد سعيد بن مصطفى النعسان ، دار المعارف للطباعة، دمشق، ط 2 ، 1390 هـ - 1970 ص :41.

وقد رَدّ عُمَر بن ثابت الثمانيني (ت 442 هـ) سبب اختيارهم التاء ههنا إلى كونها أقرب الأصوات من الواو يقول: « والسّبب في ذلك أن الواو حرف مُعْتَل، والحركة فيه تثقل ، والواو مخرجها من الشفة، ومخرج التاء من طرف اللّسان و أصول الأسنان ، فلما قارب مخرج التاء مخرج الواو وكانت التاء أجْلَدَ من الواو و أحْمَلَ للحركة قلبوا التّاء من الواو فقالوا " **تُجَاه** " و أصله " **وُجَاه** " ... و قالوا " **تُراث**" وأصله " **وُرَاث** " ... و قالوا " **تُكْلان** " وأصله " **وُكْلان**" و قالوا " **تُكْأة**" و أصلها " **وكأة** " ... و قالوا "**اتُلَجَه**" و أصله " **أَوْلجه**" »[1].

ومن قبيل المخالفة الرجعية المتصلة ما حدث لكلمتي " **سُنْبُلة** " و" **قُنْفُد** " الناتجتين عن طريق عامل المخالفة الصوتية بين الصوتين المشددين و مقارنة الكلمتين باللغات السامية يكشف ذلك فهما على الترتيب في اللغة العبرية "sĭbbolet"، "kippod" فالكلمتان السابقتان كانتا : " **سُبُّلة** "، " **قُفُّد** " بتضعيف الباء في الأولى وتضعيف الفاء في الثانية ثمّ تحولت إحدى البائين والفاءين في كل منهما نونًا وذلك للمخالفة بين الصوتين المشَدّدين[2].

د- المخالفة الرجعية المنفصلة :

و فيها يؤثر الصوت الثاني في الأول المنفصل، فيكون الأول هو المخالف، ومن صور هذا النوع مَا وَرَد في قواعد الصرف من لب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة ، و من أمثلة ذلك :

---

1 – شرح التصريف ، تأليف عمر بن ثابت الثمانيني ، تحقيق د.إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرُّشد ، الرياض، ط 1، 1419 هـ -1999 م ص: 349.

2 – ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب: ص 38.

وُواق ←أواق ⇐ وو ⇐ أو

وواصل ← أوَاصِل⇐ وو ←أو

وُوَاثق ← أواثق ⇐ وو ← أو

وواني ←أواني ⇐ وو ← أو

اختارت العربية الهمزة بديلاً عن أحـــد عنصري التضعيف فرارا من تتابع واوين.

والقاعدة الصرفية تفيد أنه يخالف بين وَاوين متى اجتمعتا في أول الكلمة وتحقيق الحركة ينشأ عنه صوت الهمزة، و ليس كلّ ذلك إلاّ نتيجة تأثير الواو الثانية على الواو السابقة لها ، لثقل التضعيف عن طريق المخالفة بينهما، و المسوغ الصوتي في إبدال العرب الواو المضمومة همزة يرجع إلى كون الواو تستثقل ما لا يستثقل غيرها من الحروف، وقد التزمت العربية المخالفة بين الواوين متى اجتمعتا في أي سياق صوتي يقول ابن جني: « وإذا التقت واوان في أوّل الكلمة لم يكن من همز الأولى بدّ، و ذلك نحو الأولى أصلها وُوْلى »[1].

وإذا كان الأقدمون من النحاة و اللغويين العرب قد قد ذهبوا إلى أن الواو الأولى أبدلت همزة، فإن بعض الدارسين المحدثين يَرى أنه لا يجوز أن نقول إن الواو أبدلت منها الهمزة في وواق← أواق و نظائرها لأنه لا توجد أية قرابة صوتية بين الواو و الهمزة من حيث المخرج ولا من حيث الصفات، فالهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس

1 - سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 98.

ولا بالمجهور[1] والواو نصف حركة شفوي مجهور[2]، فهما من حيث المخارج و الصفات متباعدان، ومن ثم لا يمكن البتة أن يبدل أحدهما بالآخر، ولكن كيف نشأت الهمزة ؟

يجيب هذا الباحث: « الهمزة ليست سوى تحقيق لحركة الواو المحذوفة كالآتي: wawakin ← awākin ← awakin فبعد سقوط الأولى من الواوين و ابقاء حركتها نشأ مقطع من نوع " ح ص " وهذا لا يجوز البتة في العربية فحققت الحركة فصارت همزة لأن المقطع في العربية لا يبدأ ألاّ بصامت »[3].

كلمة "**شمس**" في السامية الأولى : " **شمش** " كما هو الحال في الأكادية والعبريـــة و الآرامية ، و المعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم تقلب في العربية سينا، وأن هذا القلب هو من قبيل التغييرات التاريخية لصوت الشين السامية، وبتطبيق القانون التاريخي ، تصبح الكلمة العربية هي : " **سمس** " إلا أن المخالفة بين صوتي السين في الكلمة أدّى إلى تحويل الأولى شينًا [4].

---

1 - علم الأصوات، د. كمال بشر،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 288.

2 – السابق، ص: 369.

3 – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص : 340 ،341.

4– ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص: 37.

هـ- المخالفة المتباعدة :

تقع المخالفـــة المتباعـــدة في الأصوات التي يفصل بينها فاصـــل من صوت آخر غير مناظـــر[1] مثـــل :

اخْضَرْضَرَ ← اخْضَوْضَرَ

اعْشبشَبَ ← اعْشوْشَبَ

خالفت الراء الأولى في المثال الأول، والباء الأولى في المثال الثاني المنفصلتان في كلّ فعل بالصائت الانتقالي الواو، هروبا من ثقل التضعيف. والمتَفَحّص لهذين المثالين يلاحظ أن التضعيف فيهما قد شمل صوتين آخرين غير الرّاء و الباء هما " **الضاد** " في "**اخضَرْضر**" و"**الشين** " في "**اعْشَبْشَبَ**" فَلِمَ مَسّت المخالفة التضعيف في الرّاء والباء، وخَلَّت سبيله في الضاد والشين و تضعيفهما أثقل من تضعيف سابقيهما ؟

لوخصّت المخالفة الضاد في "**اخضَرْضَر**" و تركت الرّاء، بإبدال أحد الضادين إلى أحد الأصوات المائعة لأجتمع لدينا الأشباه مع وجود الرّاء مكرّرة، و نكون بذلك قد عدنا إلى مَا فررنا منه، من حيث أنّ اجتماع الأشباه فيه ثقل على اللّسان، شأنه في ذلك شأن التضعيف فالتُجِئَ إلى مخالفة التضعيف في الرّاء. أمّا شأن " الشين " في "اعْشَبْشَبَ" فالسبب في ابقاء تضعيفها ومخالفة تضعيف" الباء " هو وقوع الباء الانفجارية داخل سلسلة من الأصوات الاحتكاكية ممّا يعرقل حركتها الانسيابية، ويُوقِف جريان الصوت

1- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 297.

في وسطها، فَعُمِد بالتالي إلى مخالفة " الباء " الثانية بأحد الأصوات الذي يستمر معه المدّ الصوتي ويجانس مجاوريه، إراحة للجهاز الصوتي واقتصادا في الطاقة.

و- المخالفة الكمية :

غالبًا ما تكون بين المقاطع الصوتية، ومن أمثلتها ما يحدث لضمير المفرد الغائب، من تقصير حركته في اللغة العربية بعد القطع الطويل وذلك لمخالفة الكمية بين المقطع لكي لا يتوالى مقطعان طويلان يصعب نطقهما :

لَهُو ← لَهُ

بِهى ← بِه

لَكِ ← لَكِي[1]

لما كان المقطع السابق لمقطع الهاء من النوع الطويل، كرهت العرب بآخر يساوية في الطول ، فعملت على المخالفة الكمية بينهما تيسيرًا للنطق.

و ممّا ساقه اللغويون القدامى من أمثلة دليل على أن الهاء أصلها الضم و بعدها الواو[2]منها: « ضَرَبَهُو زيْدُ ، وعَلَيْهَا مَال ، ولَدَيْهُو رَجل »[3]. ونَسَبَ سيبويه هذا الاستخدام لأهل الحجاز يقول: « وأهل الحجاز يقولون مَرَرْت بِهُو قبل، ولَدَيْهُو مَال ويقرئون : (**فَخَسَفْنَا بِهُو و بِدَارِهُو الأرض**)[4]»[5] و يُعَلّل سبب تخفيض كمية المقطع أو حذف الواو والياء قائلاً : « لأن الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء

1- الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 297.
2 -ينظر كتاب سيبويه ،ج.4، ص.195.
3- السابق،ج4، ص: 189
4- سورة القصص الآية 81.
5- كتاب سيبويه ،ج4، ص: 195.

والواو، تشبههما في المـــدّ ، وهي أختهما، فلمّا اجتمعت حروف متشابهـــة حذفوا، وهو أحسن وأكثـــر»[1].

ز- المخالفة بالحذف :

وفيها يحذف صوت أو أكثر من البنيـــة اللغويـــة بدون تعويض بصوت آخر أو يتحوّل مقطعـــان صوتيـــان إلى مقطع واحد، فإذا ما توالى في العربيـــة مقطعان صوامتهما متماثلـــة في أوّل الكلمـــة أو في وسطها، أو في آخرهـــا، فإنه كثيرًا ما يكتفي بواحـــد منهما[2].

ولئن كانت ظاهرة توالي الأمثال تلتقي مع المخالفة في مقصودهما العام فليس من التجوّز أو التعسّف عد ظاهرة توالي الأمثال نوعًا من المخالفة، يقول **برجشتراسر bergstrasser** : « ومن الترخيم ما هو جنس التخالف، وهو حذف أحد المقطعين متتاليين أولهما حرفان مثلان أو شبهان» [3].

إن المخالفة بحذف أحد المثلين المتتابعين في الكلمة سلوك عام وظاهرة عرفتها كثير من اللغات ولا تقتصر على العربية فقط، « ففي الفصيلة السامية أمثلة كثيرة لها مثال ذلك ārya في اللغة السريانية بمعنى ليث أصلها āryāyā »[4] و كلمة Derbeamte بمعنى الموظف في الألمانية أصلها Derbeamtete[5] ومن أبرز الأمثلة على المخالفة بحذف أحد

1- السابق، ج4، ص: 189.

2 - ينظر : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص: 300.

3- التطور النحوي، ص: 70.

4- بحوث و مقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، ص 55.

5 - السابق، ص: 55.

المثلين المتتابعين في أول الكلمة، حذف إحدى الهمزتين في مضارع الثلاثي المزيد بالهمزة أي في مضارع " **أَفْعل** " نحو " **أَكْرم**" و" **أَخْرج** " فالمضارع منه " **أُأَكْرَم** " و" **أُأَخْرج** " ، فهنا اجتمعت همزتان : همزة المضارعة و همزة " **أفْعل**" فعمدت العربية إلى المخالفة بينهما اقتصادًا في الجهد العضلي عن طريق حذف إحداهما و هي الهمزة الثانيـــة من "**أُأَفْعل** " نظرا للوظيفة اللغوية التي تؤديها همزة المضارعة ومن ثم أصبح الفعلان "**أكْرِمُ** " و"**أُخْرِجُ**"[1]، والتزام العربية حذف إحدى الهمزتين راجع إلى ثقل تتابعهما يقول سيبويه: « فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا »[2].

كما أن العربية قد تتخلص من تتابع صامتين متماثلين في وسط الكلمة طلبا للخفة من ذلك : ظلتْ و الأصل فيها ظَلِلْتَ : تتابعت لامان فحذفت الأولى و من ثم قيل ظلت وظِلْتَ و منه قوله تعـــالى :(فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) [3] . و قولـــه : (وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) [4] و مما جاء منه في الشعر قول الشاعـــر[5]:

فَظَلْتَ لَدَى البَيْتِ العَتِيق أخِيلُهُ   و مِطْوَاى مشْتَاقان لَه أرقان

ومما التزمت العربية حذفه فرارا من تتابع الأمثال، حذف نون الأفعال الخمسة عند توكيدها بنون التوكيد و ذلك نحو" **لتضربَانِّ**" و "**لتخرجَانِّ**" و الأصل "**لتضربانِ+نِّ**"

1- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص :300.

2 - كتاب سيبويه، ج3 ص:549.

3- سورة الواقعة الآية 65.

4 - سورة طه الآية رقم 97.

5 - ابن جني، الخصائص، ج1، ص : 128.

و"**لتخرجانِ+نِّ**" فمع التوكيد تتابع نونان قصيرة وطويلة ومن حيث الوظيفة اللغوية ثلاث نونات ولهذا فرّقَ بينها بحذف نون الأفعال الخمسة للاقتصاد في الجهد يقول سيبويه: « وإذا كان فعل الاثنين مرفوعًا وأدخلت النون الثقيلة حذفت نون الاثنين لاجتماع النونات »[1] و كذلك الحال بالنسبة لتفعَلُون و تَفْعَلِين أيضًا عند توكيدها بنون التوكيد الخفيفة أوالثقيلة إذ تحذف نون الفعل بسبب تتابع النونات تقول **لتضربُنَّ** زيدًا والأصل **لتضربوننَّ** و**لتضرِبنّ** زيدًا و الأصل **لتضرِبينَنَّ** فخولف بين النونين بحذف نون الفعل فصارت الصيغ **لتضربونّ** و**لتضربينّ** فنشأ مقطع طويل من نوع "**ص ح ح ص**" وتخلصا من هذا المقطع اختزلت الحركة الطويلة فتحول بذلك إلى مقطع متوسط مغلق "**ص ح ص**" فصار الفعلان **لتضرُنّ** ، و **لتضرِبنّ**[2]، يقول سيبويه « إذا كان فعل الجمع مرفوعا ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع و ذلك قولك لتفعلُنَّ ذلك و لتذهَبُنَّ لأنه اجتمعت فيه ثلاثة نونات فحذفوها استثقالا»[3].

وقد ذهب المبرّد إلى أن النون حذفت لكي تكون نظيرا للفتح في الفعل المسند الواحد يقول : « فإذا ثنيت أو جمعت أو خاطبت مؤنثا فإن نظير الفتح في الواحد حذف النون مما ذكرت لك، تقول للمرأة هل تضربِنَّ زيدًا ؟ و لا تضْرِبَنَّ عمرًا ، فتكون النون محذوفة التي كانت في تضربين ألا ترى أنك إذا قلت : لن تَضْرِب يا فتى ، قلت للمرأة إذا خاطبتها: لن تضربي وكذلك: " **لن تَضْرِبا**"، و" **لن تَضْرِبُوا** " للاثنين و الجماعة فحذف

1- كتاب سيبويه، ج 3، ص: 519.

2 – ينظر : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص : 319.

3 - الكتاب، ج 3، ص :513.

النون نظير للفتحة في الواحد و ذهبت الياء في قولك : اضربنّ زيدًا لالتقاء الساكنين، وكذلك تذهب الواو في الجماعة إذا قلت " اضربُنَّ " زيدًا، و هَلْ تَخرُجُنَّ إلى زيد فهذا نظير ما ذكرت لك»[1].

و قد عَدّ اللغويون مثل هذا الحذف من باب الجنوح إلى الخفة و اختصار الجهد العضلي ذلك أن الانتقال من الفتح إلى الكسر في" **لَنْ يَضْرِبَان**" و الانتقال من الضم إلى الفتح في " **لن يضربُونَ**" و من الكسر إلى الفتح في " **لن تضربِينَ**" مستثقل في النطق، فاستعصى عن هذا الثقل بحذف النون فتصير "**لن تضْرِبَا**" و "**لن تَضْرِبُوا**" و "**لن تضْرِبِي**" لأن ما ورد في كتب التراث في حال توالي مقاطع متماثلة أو متجانسة فالأغلب فيه هو حذف أحد الأمثال في حال وجود مقطعين وحذف مثلين في حال وجود ثلاثة مقاطع، وهم حين حذفوا ذلك إنما حذفوه استثقالا لتوالي الأمثال جنوحا إلى إلى الخفة واختصارا للجهد العضلي، و مثل هذا الحذف لا يزيد على كونه مخالفة صوتية بين الأمثال المتتابعة وهو ما يؤيده ابن عقيل « الفعل المؤكد بالنون إذا اتصل به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة حرك ما قبل الألف بالفتح وما قبل الواو بالضم و ما قبل الياء بالكسر ويحذف الضمير إذا كان واو أو ياء ويبقى إن كان ألفًا فتقول يا زيدان هل تضربان ؟ ويا زيدون هل تضربونن وهل تضربينن فحذفت النون لتوالي الأمثال ، ثم حذفت الواو والياء لالتقاء الساكنين فصار هل تضربن وهل تضربن ولم تحذف الألف لخفتها فصار: هل

1- المقضب، دار الكتب العلمية، ج 3، ص: 16.

تضربان وبقيت الضمة دالة على الواو و الكسرة دالة على الياء » [1].

إنّ الأمثلة التي سُقْناها حول ظاهرة المخالفة في التراث اللساني العربي تُبَيِّن لنا أنّ العربي في نطقه يميل الى تَلَمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج الى جهد عضلي، ذلك أنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي عند النطق بهما في كلمة واحدة، فيجْنَح الى تغيير أحدهما بصوت آخر يغلب أن يَكون من أصوات اللين الطويلة أو من الأصوات المتوسطة، وبذلك يُمْكن عدّ ظاهرة المخالفة إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها الكثير من اللغويين المحدثين.

1 – شرح ابن عقيل على ألفية مالك. تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، ط 2، د ت، ج2 ، ص: 315.

الفصل السادس

ظواهر المخالفة في منطوق ندرومة

المخالفة بوصفها أثرا لقانون الاقتصاد في الجهد العضلي ظاهرة صوتية تشيع في اللهجات العامية، وتنحصر مظاهرها في الأصوات المتماثلة والمتقاربة، وتتم بين الصوامت، وبين الصوائت وبينهما معا، وفيما يلي تفصيل الحديث عن ذلك.

1- المخالفة التقدمية:

مخالفة العامية بين المثلين المتتابعين في الكلمة بحذف أحدهما والتعويض عنه بصامت آخر غالبا ما يكون الياء في منطوق ندرومة قولهم في ذلك:

قَصِّيتْ لْفَرْعَ مَشَّجْرَة	قَصِّيتْ في قَصَّيْت	←	ص ص ← ص ى
دَسِّيتْ ادْرَاهَمْ فَلْخَزْنَة	دَسِّيتْ فِي دسَّسْتُ	←	س س ← س ي
امْلِيْتْ عْلَّيْهْ شعْرْ	امْلِيْتْ في امْلَّلْتُ	←	ل ل ← ل ي
عَيِّيتْ لْوَنْدْ لْيمَّاه	عَيِّيتْ مَن عَبَّبْتُ	←	ب ب ← ب ي
مَدِّيتْ لْطَفَلْ يَاكُلْ	مَدِّيتْ في مَدَّدْتُ	←	د د ← د ي
حَطِّيتْ لْقَدْرَة عْلَى النَّارْ	حَطِّيتْ في حَطَّطْتُ	←	ط ط ← ط ي
شَدِّيتْ لْحَبَلْ	شَدِّيتْ في شَدَّدْتُ	←	د د ← د ي
عَسِّيتْ لْبَارَحْ	عَسِّيتْ في عَسَّسْتُ	←	س س ← س ي
رَدِّيتْ اطْعَامْ يْفُورْ	رَدِّيتْ في رَدَّدْتْ	←	د د ← د ي

الذي حدث هنا في هذه الأمثلة أن العامية خالفت بين المثلين المتتابعين بحذف أحدهما والتعويض عنه بصامت آخر هو الياء، لأن النّاطِق لهذه الكلمات يحِسُّ بالثقل الناتج عن توالي صوتين متماثلين، ففي " **قَصِّييتْ** " اجتمع صوتان متماثلان (**ص ص**)، فتحول الصوت الثاني تحت تأثير ثقل اجتماع صوتين متماثلين إلى (**ص ي**)، فانتقل بذلك الناطق من السهل الى الأسهل عن طريق مخالفة الصوت الثاني للأول بقلبه أحد الأصوات التي لا تستلزم مجهودا عضليا وهو الياء.

ومِمّا يُؤَيّد هذا التخالف الموجود في العامية ما ذكره **ابن جني** مِنْ أنَّ " **تَلَعَّيْتُ** " أصلها" **تَلَعَّعْتُ**"، فأبدلت من العين الثانية ياء[1].

ومثـــل ذلك ما ذكره **ابن الشجري:** « وقد حَكَى الفرَّاء قَصِّييتْ اظْفَارِي يريدون قصَّصْت »[2].

وفي كلمـــة " **دَسِّيتْ** " و" **عَسِّيتْ** " الأصل فيها **دَسَّسْتُ** و**عَسَّسْتُ** قـــال الله تعـــالى:(**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**)[3] معناهـــا دَسَّسَها، قال **الفَرّاء:** «ونرى – والله أعلم – أن دَسَّاها من دَسَّسْتُ بُدِّلَتْ بعض سيناها ياء، كما قالوا تَظَنَّيْتُ من الظَن، وتَقَضَّيْتُ يريدون تقَضَّضْتُ من تَقَضُّضْ البازي، وخَرَجْتُ اَتَلَعَّى: التمس اللَّماع أرعاه، والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو، من ذلك ما ذكرنا لك وسمعت بعض بني عقيل ينشد:

1- ينظر: سر صناعة الإعراب، ج 2، ص: 763.

2- الأمالي الشجرية، ابن الشجري، ج 1، ص: 389.

3- سورة الشمس الآية رقم 10.

يَشْبُو بِهَا نَشْجَانُه من النشيج

يريد يشُبُّ: يظهر، يقال: الخمار الأسود يشُب لَوْن البيضَاء فجعلها واوًا» [1].

كذلك كانت تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفا من غير ذلك الجنس: فحوَّلت هنا السين ياء تجنبا للثقل الذي يحدث عن تماثل السينين وتحقيقا للسهولة في النطق والتقليل من الجهد العضلي.

هذا التخالف هو إحدى نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة، التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام الأصوات الصعبة في لغته بنظائرها السهلة [2].

وفي "امْلَيْتُ عَلَيْه اشعْر": الأصل في امْلَيْتُ، امْلَلْتُ قال الله تعالى: (وَلْيُمْلِلْ الذي عليه الحق وليَتَقِ الله رَبَّهُ، ولا يَبْخَسْ منه شيئًا)[3]. وقال في موضع آخر: (وقالوا أساطير الأولين اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأصِيلًا)[4] والآية الأولى جاءت على لغة أهل الحجاز وبني أسد، أما الثانية فهي لغة بني تميم [5].

وقد ذهب النحّاس إلى أن ذلك مُطّرِد عند التميميين ليس في هذه الكلمة وحسب، وإنما يطرد ذلك عندهم في كل مَثَلَيْن إذا اجتمعا في كلمة واحدة يقول:

1- معاني القرآن، الفرّاء، طبعة دار الكتب العلمية، ج3، ص: 157.

2- سبق أن أشرنا إلى ذلك في الصفحة 62 من هذا البحث

3 - سورة البقرة، الآية رقم 282.

4 - سورة الفرقان الآية رقم 5.

5 - ينظر أثر القوانين في بناء الكلمة، د.فوزي حسن الشايب، ص:351.

«وكذلك يفعلون – أي بنو تميم – في الحرفيــن إذا اجتمعــا وكانا مثليــن، مثل قَصِّيتْ اظْفــارِي»[1].

والتعليل الصوتي لهذا التغاير أن التضعيف مستثقل، وأن رفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه فيه مشقه وعسر، وتجنبا للثقل الناتج عن التضعيف، وتحقيقا للسهولة في النطق والتقليل من الجهد العضلي أُبْدِلَت الياء من الصوت الثاني لَئلا يلتقي حرفان من جنس واحد وكان ذلك أخف[2].

والتزام العربية الفصحى ولهجاتها العامية حذف أحد الصوتين المتماثلين راجع إلى ثقل تتابعها، وقد نَصّ السلف على كُرْه العرب لتكرير الصوامت لأنّ على اللسان كُلْفَةً شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه يقول سيبويه: « اعلم أن التضعيف ثقيل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد»[3].

ومن الشواهد التي تؤكد ما نذهب إليه، أن العرب كانت تبَدّل أحد الصوتين المتماثلين ياء ما جاء في كتاب الابدال لابن السكيت(ت244هـ): « قال أبو عبيدة العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء فيقولون: تَظَنّيت وإنما هو تظَنّنْت وقال العجاج تَقَضَّى البَازي إذا البَازي كسر وإنما هو تَقَضَّضَ من الانقضاض ورجل مُلَبٍّ وإنما هو من أَلْبَبْتُ أي أَقَمْت»[4].

1- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تفسير دار الكتب المصرية،ج 1، ص: 159.
2- ينظر: المقتضب، المبرد، طبعة دار الكتب العلمية، ج 1 ص 227.
3- كتاب سيبويه، ج 4: ص 417.
4- كتاب الإبدال، ص 133.

كما يلجأ العامة في منطقة ندرومة وضواحيها إلى المخالفة بالحذف والتعويض فنسمعهم يقولون:

فْلاَنْ تْخَلْبَطْ مَنْ رَاسَهْ ←خَلْبَطْ من خَلَّطْ[1] ← ل ل ← ل ب

لاَيْلَكْ غيرْ اطْلاَمَس ← طَلْمَسْ من طَلَّسْ ← ل ل ← ل م

اَدَرّاز[2] صْنَعْ لِي شَرْمِيطو أو بُوشْرَاوَطْ

وهو نـوع مـن الفـراش

شرمَط من شرط ← ر ر ← ر م

نعتقد أن بناء فَعْفَلَ قد نشأ بفعل اختزال المشدد في "فَعَّل" مثل: زلَّل ودَمَّم وحثت والتعويض عن الجزء المختزل بصوت مماثل للفاء فالأصل في:

طَلْمَس ← طَلَّس

وفي: شَرْمَط ← شرَّط

ذكر الأنباري أن الكوفيين ذهبوا إلى أن كلا من " **دَمْكَك** " و" **صَمحَح** " ناشيء في الأصل عن " **دمَكَّك** " و " **صَمحّح** " بثلاثة أمثال من حيث الوظيفة اللغوية،

1- خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطًا وخلّطه فاختلط مزجه واختلط وخالط الشيء مخالطة و خلاطا... وخليط و خُلّيطي أي أوباش يجتمعون مختلطون وفي حديث أبي سعيد كنّا نرزق تمر الجمع على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و هو الخلط من التمرأي المختلط من أنواع شتّى.

لسان العرب ابن منظور، مادة(خ ل ط) ج5، ص: 127.

2- اَدَرّاز: الخيّاط ورد في لسان العرب الدّرز واحد دروز الثوب و نحوه و هو فارسي معرّب وجمعه دروز، وبنو دَرْز الخيّاطون والحاكة.

مادة (خ ل ط)، ج 5، ص: 244.

ولعسر النطق أبدل من الوسطى ميما مماثلة للعين فصارت " **دَمْكَمكا** " و"**صَمْحَمحا** "[1]
وكل ما جاء على هذا البناء وعلى بناء " **فَعْفَلَ** " الأصل فيه التشديد ثم اختزل المشدد وعوض عن الجزء المشدد بصوت مماثل للفاء في "فَعْفَل" ومماثل للعين في " **فَعْلَل** " وهذان البناءان يدلان دلالة واضحة على أن المخالفة بالتعويض في العربية الفصحى ولهجاتها العامية لا تقتصر على أشباه الحركـــات والأصوات المتوسطـــة فحسب، وإنما هو جائـــز في أصوات العربيـــة كلّها.

يفترض "**هوروتس S. HURWITZ**" في أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشكل الأصوات المتوسطة جزء من بنيتها التركيبية يمكن أن تكون نتاج عامل المخالفة بين صوتين متماثلين كما في الكلمات التالية:

حَجَّل حَرْجل ←ج ج ← رج

جَمَّد جلمد ← م م ← ل م

عكَّب عنكب ← ك ك ← ن ك

عَقَّب عرقب ← ق ق ← ر ق

قَمَّط قرمط ← م م ← ر م

فطَّح فنطح ← ط ط ← ن ط [2]

---

1 – الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط3، 1955، ص: 113.

2– ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: 384 ، 385.

و إلى هذا ذهب مصطفى جواد أيضا عندما رأى أنّ "احْرَنْجَم" أصله " احْرَجَمّ " و " فَرْنَص" أصله " فَرّص " و " اقْعَنْسَسَ " أصله " اقْعَسّس " [1].

وطريقة العامة في تخليق الرباعي تلقي الضوء على طريقة الفصحى أيضا في هذا المجال مما يجعلنا نذهب بأن كثيرا من الرباعي قد نشأ عن هذا الطريق فالنون في" **عنكب**" و في " **فنطح** " و الراء في" **عرقب** " و في " **قرمط** " و اللام في " **جلمد** " لم تَزِدْ مباشرة كما قد يُظن لأوّل وهلة، وإنّما هي تعويض عن محذوف، ذلك أنّ الأصوات المائعة يكثر إستخدامها لتحقيق عنصر المخالفة.

2 – المخالفـة الرجعيـة:

تقـــول العامـــة: اطْفُلْ خَرْبَشْ لْوَرْقَة

فالتطور الحاصل هنا في هذه المخالفة هو إبدال حرف الباء من الميم لأنهما حرفان شفويان يشبهان الحروف اللينة [2].

ويمكن تفسير تطور هذه اللفظة من الفعل "**خَمَّش**" نحو:

خَمَش[3] ⟵ خَمَّش ⟵ خَرْمش ⟵ خَرْبش

م م ⟵ ر م ⟵ ر ب

1- المباحث اللغوية في العراق، د. جواد مصطفى، القاهرة، 1955، ص:19،18.

2 – ينظر الأخطاء اللغوية الشائعة وأثرها في تطور اللغة، ماجد الصايغ، ص: 73.

3- خَمَشَ يَخْمِشُ خَمْشًا وخُموشًا وخمّشه والخموش الخدوش،قال الفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب يخاطب امرأته:

هاشم جدنا فإنْ كُنْتِ غَضْبَى فاملئي وجْهَكِ الجَميلَ خُدُوشًا

لسان العرب، ابن منظور، مادة (خ م ش) ج5 ص: 127.

فالفعل الثلاثي هو "**خَمَش**" ومنه الخَمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل في "**خَرْبَش**"، وقع لقوم في خَربش وخِرباش أي اختلاط وصخب والخربشة افساد العمل والكتاب ونحوه، ومنه يقال: كتب كتابا مخربشا، وكتاب مخربش مفسد، عن الليث وفي حديث بعضهم عن زيد بن أخزم الطائي قال: سمعت ابن داود يقول كان كتاب سفيان مخربشا أي فاسدا والخربشة والخرمشة الافساد والتشويش(1).

ثم تطور الى "**خَرْمَش**" ضُعّفَت عينه لغاية التكثير فأصبح خَمّش وذلك بإبدال الراء الحرف الذلقي المائع من الحرف المضعف الميم وفق ظاهرة التغاير، ثم أبدلت الميم بالباء لأنهما حرفان شفويان يشبهان الحروف اللينة فأصبح الفعل "**خَرْبَش**" والمعنى الجامع بين هذه الأفعال هو الإفساد والتشويش، لأن العامَّة تستعمل خربش بمعنى شوّش وأفسد والصواب هو خرمش لأن خرمش العمل والكتاب أفسده وشوّهه(2).

من نمـــاذج المخالفـــة الرجعيـــة بين أشبـــاه الحركـــات الواو والياء في منطـــوق ندرومـــة قولهم:

يَعْطِيك كَيَّة لْلِي تَكْوِيكْ ← كَيَّة في كوية ← و ي

عْطَ لْلَبابْ لِيَّة ← لِيَّة في لَوْيَة ← وي

الذي دعا إلى المخالفة بين الواو والياء هو الثقل الناتج من التجاور المباشر للصوتين لأن تتابعهما مستثقل مكروه، فحذفت الواو، إذ يتطلب نطقها بروز الشفتين إلى

1- السابق، مادة (خ رب ش)، ج5، ص: 37 ، 38.

2 – متن اللغة، أحمد رضا العاملي، مادة (خ ر م)، ج2، ص 264.

الأمام واستدارتهما[1] وهذا يحتاج إلى جهد عضلي لأن حين النطق به يتذبذب الوتران الصوتيان، كما أن الواو يرتفع معها مؤخر اللسان بينما الياء يرتفع الجزء الأمامي منه [2]، وحركة الجزء الأمامي من اللسان أخف من حركة الجزء الخلفي منه، والغاية من ذلك توخي السرعة في النطق لأن الانتقال السريع للسان من حالة تصعد مؤخرته واستعلائه مع الواو إلى حالة تصعد مقدمة مع الياء حتى يدفع بالعملية النطقية نحو الحركة والسرعة.

لهذه الأسباب التزمت العامية التخلص من الواو متى اجتمعت مع الياء، دون أن يفصل بينهما فاصل من حركة أو صامت وعوضت عن الواو المحذوفة بمد الياء لتصبح البنية السطحية عن طريق إخفاء الساكن الأول في الثاني حتى ينبو اللسان عنهما نبوة واحدة وتزول الوقفة التي كانت في الأول لو لم تدعمه في الآخر: "كْويتَه كيًّا" و"لْوِيَت لِياًّ ".

وقد ذهب السلف إلى أن الواو قلبت ياء هنا، ويعلّل سيبويه ذلك قائلا: « وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما، وممرهما على ألسنتهم فلما كانت الواو ليس بينهما وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها، وكان العمل من وجه واحد رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف»[3].

---

1 - ينظر الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص: 157.

2 - ينظر: السابق، ص :157 ، 176.

3 - كتاب سيبويه، ج4 ،ص :365.

ويدعم ابن جني قول أستاذه سيبويه:« وأعلم أن الواو ومتى وقعت قبلها ياء ساكنة قلبت الواو ياء، وكذلك إنْ وقعت الواو ساكنة قبل الياء، فالأول نحو "سَيِّدْ" و"مَيِّتْ" والثاني نحو: "لِيَّة" و"طَيَّة"» (1).

وإنْ كان بعض الدارسين المحدثين يخالف ما علّله سيبويه وابن جني ذلك أن الواو لم تقلب إلى ياء وإنما حذفت وعوض عنها بمد الياء قبلها أو بعدها، وحجته في ذلك أنه لا يوجد تقارب بين الواو والياء من حيث المخارج، فالواو شفوية والياء غارية(2) فهما متباعدان من حيث المخارج، ومن ثم لا يصح البتة أن يقال بأن الواو قلبت ياء أو العكس والذي حدث هو مخالفة صوتية(3).

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني ،ج2، ص :735.

2- ينظر: الأصوات اللغوية، حسام البهنساوي، ص: 63، 76.

3- ينظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 348.

3- المخالفة بالحذف:

إذا ما توالى في العربية مقطعان صوامتهما متماثلة في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، فإنّه كثيرا ما يكتفي بواحد منها، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان المقطعان في بداية الكلمة.

ومن صور المخالفة بحذف أحد المقطعين المتماثلين في أول الكلمة حذف التاء في بداية صيغة "تَتْفَعَّلْ" و"تَتْفَاعَلْ" و"تَتْفَعْلَلْ"من ذلك قولهم:

تَذَكَّرْ عَامْ لُبُونْ ←—— تَذَكَّرْ بدلاً من تَتَذَكَّرْ.

رَاكْ تَظَّاهَرْ بَلِّي مْرِيضْ ←—— تَظَاهَر في تَتَظاهَر.

والتزام العامية حذف إحدى المقطعين المتماثلين راجع إلى ثقل تتابعهما، لأن نطقهما متتابعين ثقيل على اللسان، واختلاف الحروف أخف من ذلك، وأن الناطق بصوتين متماثلين يجد صعوبة، إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه [1].

وفي كل اللغات يجد الناطق صعوبة في نطق صوتين متماثلين يقول بروكلمان Brockelman :« إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصامتة متماثلة، أو متشابهة جِدًّا الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنه يكتفي بواحد منهما بسبب الارتباط الذهني بينهما» [2].

1- ينظر: كتاب سيبويه ،ج4، ص: 417، وكذلك شرح الشافية، الرضى الإسترباذي، ج3، ص:238.

2- فقه اللغات السامية، بروكلمان، ترجمة د.رمضان عبد التواب الرياض، 1977 ،ص: 79.

ويعد برجشتراسر هذه الظاهرة من الترخيم وهي جنس من التخالف[1].

وحذف إحدى المقطعين المتماثلين لا يقتصر على العامية، فالشواهد على مثل هذا الحذف كثيرة في مصادر التراث العربي.

ذكر رمضـــان عبد التواب أن هذه الظاهرة شائعة في القرآن الكريم، فقد وردت فيـــه مثلا كلمة "**تذّكّرُون**" سبعة عشر مرة (17) بالحذف في مقابل " **تَتَذَكَّرُون** " ثلاث (03) مرات بلا حذف [2].

ففيه: (لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونْ)[3]

وفيه:(فَلَوْ لاَ تَذَّكَّرُونْ)[4]

وفيه: (أَفَلاَ تَذَكَّرُونْ)[5]

ومن هذا القبيل الفعل "**تَصَدَّى**" في قوله تعالى:(فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) [6] فالأصل في هذا الفعل هو "**تتصدّد**" قال ابو حيان :« و أصله تصدَّد من الصّدد، بخف الصاد، وأصله يتصدّى فحذف، أدغم التاء في الصاد، وأبو جعفر تُصَدّى بضم التاء وتخفيف الصاد، أي يصدك حرصك على إسلامه » [7] ومنها التّصْدِية الأصل فيها التّصْددة من

1- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ص: 70.

2 - بحوث ومقالات في اللغة العربية، د.رمضان عبد التواب، ص :28.

3 - سورة الأنعام الآية رقم 152، وسورة الأعراف الآية رقم 57، وسورة النحل الآية رقم 90.

4 - سورة الواقعة الآية رقم 62.

5- سورة هود الآية رقم 24، سورة يونس الآية رقم 03.

6- سورة عبس الآية رقم 06.

7- البحر المحيط، ج10، ص: 425.

صددت قال الله تعالى: (ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)[1] قال ابن قتيبة معلّقا على هذه الآية « قال أبو عبيدة المكاء الصفير، والتصدية التصفيق ورفع الأصوات، وأصله من صددت أصدّ ومنه قوله تعالى(اذا قومك منه يصدّون) [2] أي يضجون ويعجون فجعل إحدى الدالين ياء»[3].

وكذلك تَربَّصُون في قوله تعالى: (قل هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين)[4] فالأصل في هذا الفعل تتربصون، مثله تناصرون في قوله تعالى: (مالكم لا تناصرون)[5].

ومثل ذلك قراءة من قرأ: (فبم تبشّرون) [6] قال الأخفش : « وقد قرأ بعض القرّاء " **فَبِمَ تُبَشِّرُنِ** " أراد **تُبَشِّرونَنِي** فأذهب إحدى النونين إستثقالا لاجتماعهما كما قال: ما **أحست** منهم أحدا فالقوا إحدى السينين استثقالا فهذا أجدر أنْ يستثقل لأنهما جميعا متحركتان» [7].

وحُجّة من خفف النون وفتحها أنّه عُدِّي الفعل فصار " **تُبَشِرُونَنِي**" ثم حذف النون الثانية استخفافا لاجتماع المثلين، فاتصلت الياء بنون الرفع فانكسرت النون ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها[8].

1- سورة الأنفال الآية رقم 35.
2- سورة الزخرف الآية رقم: 57.
3- أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م، ص: 276.
4 - سورة التوبة الآية رقم 52.
5 - سورة الصافات الآية رقم 25.
6- سورة الحجر الآية رقم: 54..
7- معاني القرآن، ج1، ص: 235.
8- معجم القراءات،د. عبد اللطيف الخطيب، ج4، ص: 564.

وقد قرأها ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي" تُبَشِّرُونَ " بفتح النون، وحجتهم أنّه لم يُعدِّ الفعل إلى مفعول، فأتى بالنون التي هي علامة الرفع مفتوحة على أصلها كنون يقومون ويخرجون[1].

ومن صور المخالفة بالحذف في آخر الكلمة، حذف نون الأفعال الخمسة عند اتصالها بنون الوقاية قبل ياء المتكلم، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة وذلك فرارًا من تتابع المثلين، فمن ذلك "**تخوفيني**" في قول الشاعر [2]:

مُلَاق لا أباك تُخَوفِينِي   أ بالمَوْتِ الّذي لا بُدّ أنّي

و الأصل تُخَوفِينَنِي .

و من ذلك قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي[3](ت 21 هـ) :

يَسُوء الفَالِيَات إذا فَلَيْنِي   تَرَاه كَالثّغام يُعَلّ مِسْكَ

و الأصل فَلَيْنَنِي .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سيبويه لا يُسَمّي هذا النوع بكراهية توالي الأمثال بل يُدْرِجُه ضمن باب " أحوال الحروف التي قبل النون الخفيفة و الثقيلة "[4] حيث يعتبر أن

1- السابق، ج4، ص: 564.
2 – الخصائص، ج 1، ص :345.
3- كتاب سيبويه ج 3، ص:520.وكذلك: المنصف ج 2 ، ص: 337.
4- ينظر:كتاب سيبويه، ج 3، ص: 518.

توالي نونين مما يستثقل في النطق، وهو ما ذكره في حذف نون الرفع في نوني التوكيد الخفيفــة و الثقيلــة[1].

ومَسْألــة أيّ النونين تحذف الأولى أو الثانيــة مدار خِلَاف بين العلماء فَصّلَه السيوطي فقال: « واختلف أيَّ النونين المحذوفــة، فقال المبرّد هي نون الوقايــة لأن الأولى ضمير فاعل، فلا يحذف، وهذا هو المختار عندي، ورجّحَه ابن جني والخضراوي وأبو حيّان وغيرهم، وحكى صاحب البسيط الاتفاق عليه، وقال سيبويه هي نون الإناث واختاره ابن مالك قياسًا على تأمروني: قال أبو حيان وهو قياس عَلَيَّ مختلف فيه»[2].

وإن كان مذهب ابن جني هو الأرجح لأن نون الرفع أصل ونون الوقاية فرع ولأنه جيء بها لِتَقِي الفعل من الكسر ولا مانع أن تحرك نون الرفع بالكسر لأنها ليست حرف الاعراب فيكره فيها الكسر على حد تعبيره و يظهر ذلك حين علّقَ على البيت السابق « يريد فَلَيْنَنِي فحذف النون الأخيرة كما حذفها من " تخوفِيَنِي " و كانت الآخرة أولى بذلك في " تخوفيني " لأن الأولى علم الرفع، والثانية إنما كانت جيء بها في الواحد ليَسْلَم حرف الاعراب من الكسر، ويقع الكَسْر عليها فَتُرِكت في الجمع على حدّ ما كانت عليه في الواحد، فلمّا اضطر في الجمع حرّك النون التي هي علم الرفع بالكسر، و لم يمتنع من ذلك لأنها ليست حرف الاعراب فيكره فيها الكسر» [3].

ونحن لا يهمنا أن تكون المحذوفة هذه أو تلك، فالمهم أن عملية الحذف كانت بسبب تتابع مثلين و هو ما تكرهه العربية فخالفت بينهما بالحذف .

1- ينظر: السابق، ج 3، ص 520.
2 - همع الهوامع السيوطي، ج1، ص: 65.
3- المنصف، ج،2 ص 338.

ومن أمثلة هذه الظاهرة في الشعر ما ورد في كتاب العين:

«وتَهَرَّعَتْ الرماح إليه إذا قبلت شوارع قال: عند الكَرِيهَةِ والرماح تَهْرَع »[1]

أراد تتَهَرَّع ومنه قول الشاعر حاتم الطائي[2]:

تَحلم عَلَى الأدنين واستَبْقِ وُدَّهُم ولَنْ تستطيع الحلم حتى تَحلَّمَا

ومثلها "تَغَوَّل": في قول الشاعر[3]:

فَيَوْمًا يُوافِيِنِي الهَوى غَيرَ مَاضِي وَيَوْمًا تُرَى منهن غولاً تَغوَّل

الناظرإلى هذه الأمثلة يدرك أن القدماء استثقلوا تتابع صوتين متماثلين ووجدوا في تحقيقهما عسرا ومشقة على اللسان وذلك لصعوبة ارتفاعه والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته، فمالوا إلى حذف الصوت المضعف وإبداله بأحد الأصوات التي يغلب أن تكون من الأصوات المتوسطة، مما يجعلنا نتأكد من إدراك لُغَوِيِنَا القدماء لظاهرة المخالفة، وجنوحهم مقابل ذلك إلى مبدأ السهولة والتيسير للتخلص من ثقل التضعيف.

وقد إختلف النحاة واللغويون حول التاء المحذوفة أهي الأولى أم الثانية، وحاولوا إقامة الأدلة النظرية على وجهات نظرهم، ولقد لخص الرضي الاستراباذي ذلك قائلا:

1- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج1، ص: 105.

2- كتاب سبويه ،ج4، ص: 71.

3 - المنصف، ابن جني ،ج2 ،ص: 80.

« إذا كان في أول مضارع "**تفعل**" و"**تفاعل**" تاء فيجتمع تاءات جاز لك أن تخففهما وأن لا تخففهما، والتخفيف بشيئين حذف إحداهما والإدغام، والحذف أكثر، فإذا حذفت فمذهب سيبويه أن المحذوفة هي الثانية لأن الثقل منها نشأ، ولأن حروف المضارعة زيدت على تاء تفعل لتكون علامة، والطارئ يزيل الثابت إذا كره إجتماعهما .... وقال الكوفيون المحذوفة هي الأولى وجوز بعضهم الأمرين»[1].

وفي كتاب الحجة لابن خالويه أنّ الفرّاء ذهب إلى أن المحذوفة إحداهما بغير تعيينها [2].

ونحن من جانبنا نأخذ برأي الفرّاء، أي أن المحذوف إحداهما دون تعيين لأن حركة التاءين واحدة، والدلالة على المضارع تدل عليه صيغة الفعل، فالمضارع مرفوع، والماضي مبني على الفتح.

من صور المخالفة بين المتقاربات، حذف النون في قولهم:

"**مَلاَّن**" بَدَلاً مِن الآن

"**برَّاشَدْ** " بَدَلاً من بَنِي رَاشَدْ

وتفسير هذه الظاهــرة صوتيــا هو أن الأصـــل في " **مَلاَّن** " هو " **مِنَ الآن** " وفي الوصـــل يتشكل مقطــع طويـــل من آخــر " **مِنْ** " وأول " **الآن** " وهو المقطــع " **نَالْ** " (ص ح ح ص)

---

1 - شرح الشافية، ج3 ،ص: 290.

2- الحجــة في القراءات السبــع للإمام ابن خالويــه، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم ، مؤسســة الرسالة، ط5، 1410هـ – 1990م ،ص:84.

الذي حصل أنه اختزلت الحركة الطويلة من هذا المقطع فتحول من مقطع طويل إلى مقطع متوسط فخولف بين المتقاربين.

وقـــد وردت هـــذه الظاهـــرة في كتب التـــراث، فحذفت النـــون في قولهـــم " **بَلْعَنْبَرْ** " و" **بَلْعَجْلاَنْ** " و" **بَلْهَجِيمْ** "، و" **بَلْحَارِثْ** " في "بني العنبر"، و"بني العجلان" و"بني الهجم"، و"بني الحارث" ونسبها اللغويون إلى زبيد وختعم[1].

ومما جاء على هذه اللهجة قـــول الشاعـــر[2]:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني   لا ملعتيك ولا اخوالي العوق

يريد: مِنَ العَتِيك.

وقـــول الشاعـــر[3]:

كأنهما مِلْآن لَمْ يَتَغيّرَا   وقَدْ مَرّ للدّارَيْن مِنْ بَعْدِنَا عَصْر

ومثل ذلك قـــول الشاعـــر[4]:

ألَا أبْلِغْ بَنِي عَوْفٍ رَسُولًا   فمَا مِ الآن في الطّيْر اعْتِذَارُ.

1- ينظر اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص :702.

2 - السابق ص: 702.

3- السابق، ص: 702.

4- لسان العرب، ابن منظور، مادة (م ن ن)، ج14، ص: 134.

وكذلك قــول الشاعــر[1]:

عاهد اللهَ إنْ نَجا مِلْمَنَايَا   ليَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيًّا [2]

ويعَلّل **المبرد** هذا النوع من المخالفة قائلا:« وقوله "**مِلْمَنَايَا**" يريد: مِنَ المَنَايَا ولكنّه حذف النون لقرب مخرجها من اللام، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ، فيحذف أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون، إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة، فيقولون في "بَنِي الحَرث" و"بَنِي العَنْبَر" وما أشبه ذلك: "بَلْحَرث" و"بَلْعَنْبَر" و"بَلْهُجَيْم"، كما يقولون عَلْما بنو فلان فيحذفون إحدى اللامين»[3]

أمّا ابن الشجري فقد علّل حذف النون هاهنا بما يسمّيه كراهية إجتماع المتقاربين يقول: « فأمّا قولهم في بني الحرث وبني الهجم وبني العنبر، بلحرث وبلهجيم وبلعنبر فإنّهم حذفوا الياء من بني لسكونها وسكون لام التعريف، ثمّ استخفوا حذف النون كراهة لإجتماع المتقاربين كما كرهوا اجتماع المثلين» [4].

يذهب أحد الدارسين المحدثين أنّ هؤلاء النّاس أسقطوا الحركة كلّية من النون في "**بني**"، فأدى ذلك إلى وقوع النون ساكنة قبل اللام وهذا لايكون البتة في العربية، فتخلصوا منه بحذف النون، وهذا هو الذي نراه ونعتقده في هذه الظاهرة، لأنّه لو كان حذف النون

---

1 - الكامل للمبرد، مكتبة دار المعارف، بيروت، ج2، ص: 260.

2- العرب تنسب إلى الحرم فيقولون: حِرْمِيٌّ و حُرْمِيٌّ على قولهم حُرمة البيت وحِرْمة البيت وقال النابغة الذبياني:

مِنْ قول حُرْمية قَالَتْ وَقَدْ رحَلُوا   هَلْ فِي مُخيفكُمْ مَنْ يَشتَرِي أدَمَا.

لسان العرب، ابن منظور، ج2،ص: 261.

2- الكامل ، ج2، ص: 261.

3- الأمالي الشجرية، ج1، ص: 386.

لأجل إلتقاء المتقاربين، لكان أولى أن يحذفوا النون في مثل "بني النجار" فيقولوا: "**بنّجار**" لأنّ المخالفة بين الأمثال أولى، ولكنّ هذا لم يأت عنهم، فهذا ما يؤكد لنا أنّ هؤلاء النّاس أسقطوا الحركة كلّية في مثل "بلعنبر" وأخواتها، ولم يسقطوها في "**بني النجار**" ونحوها ، لأن هذا سينشأ عنه تتابع صوتين متماثلين: طويل وقصير[1].

ونسمع من حديث النّاس "**بَلّسْمَر**" و"**بَلّحْمَر**" و "**بَلّطْرَش**" بتشديد اللام، فقد يكون هؤلاء قد ماثلوا بين النون واللام بعدها، لأنّ النون الساكنة لا تقع قبل اللام، فإمّا تحذف كما فعل العرب قديما في "**بلعنبر**" و"**بلهجيم**"، و إمّا أن تماثل للّام بعدها، وهذا ما حصل في "**بلّسمر**" و"**بلّحمر**" و "**بلّطرش**".

1- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص: 328.

4- المخـالفـة بالتعـويـض:

تعمد العامية إلى المخالفة بالحذف والتعويض من ذلك قولهم:

َعْجُوزْ رَاهِ تْحَلْحَلْ اطْعَامْ.

اطْفَلْ تْكَرْكَبْ مْعَ جُرْف.

كما يقولون: كُرْكَارْ تْبَنْ وكُرْكَارْ تْرابْ.

في هذه الأمثلة نرى أن التعويض بالمخالفة لم يقتصر على أشباه الحركات والأصوات المتوسطة، وإنما حدث مع أصوات أخرى، ففي " **حَلْحَلْ** " و" **كَرْكَبْ** " و" **كَرْكَرْ** " اختُزِل المشدّدُ وعُوّضَ عنه بصوت مماثل للفاء فتحول من " **فَعَّلْ** " إلى " **فَعْفَلْ** ".

وهذه الظاهرة وإن كانت موجودة في العامية، فإن إمتدادها وجذورها يعودان إلى الفحصى، وقد إختلف السلف حول نشـأة مثل:" **زَلْـزَلَ** " و" **دَمْـدَمَ** " في الأفعال، و" **صَلْصَالْ** " و" **صَّمْصَامة** " في الأسماء، وقد وضّح لنا الفَرّاء نشأة بناء " **فَعْفَل** " وطريقة تَوَلّده من بناء " **فَعّل** " بقوله:« والعرب تردد الآم في التضعيف فيقال كَرْكرت، الرجل يريدون أَتَيْت فلانا، فَبَشْبَشَ بي من البشاشة وإنما فعلوا ذلك كراهية إجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد»[1].

1- معاني القرآن ، الفراء ، دار الكتب العلمية، ج3، ص:23.

ويوضح ابن السكيت طريقة توليد " **صَرْصَر** " قائلا:« ويقال للبرد صرّ، وقولهم ريح صرصر فيها قولان، أصلها صرّر من الصرّ فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل، وكذلك قوله عز وجل (**فَكُبْكِبُوا فِيهَا**) [1] أصلها فكبّبوا ويقال تجَفْجَف الثوب أصلها تجفّف»[2].

كما يقدم لنا ابن قتيبة أمثلة أخرى تؤكد " **كَرْكَر** " و" **كَبْكَبَ** " وأمثالهما ثلاثية لا رباعية فيذكر لنا: « تَكَمْكَمَ الرَّجُل من الكُمَّةِ وهي القَلَنْسُوَة والأصل تَكَمَّمَ، وتَمَلْمَلَ على فراشه والأصل تَمَلّلَ من المَلّة وهي الرَّمَاد الحَار، قال الشاعر:

بَاتَتْ تُكَرْكِرُه الجَنُوبُ.

وأصله " تُكَرِّرُهُ " من التكرير، وقول الفرزدق:

و يُخْلِفْنَ مَا ظَنّ الغَيُورُ المُشَفْشَفُ

هو من شَفَّتْهُ الغَيْرَة وشفَّهُ الحزن وأصله: المُشَفَّفُ»[3]

وقد ذهب الكوفيون والبغداديون إلى أن هذا البناء في الأسماء والأفعال ثلاثي أصله " **فعّل**" ثم احتزل المشدد وعوض عنه بصوت مماثل للفاء، وتابع أبو بكر بن السري السراج البغداديين في أن الحاء الثابتة في "**حَثْحَثَ** " بدل من ثاء وأنم أصله حثث وكذلك ثرة وثرثارة الأصل فيها ثرّارة أبدل من الراء الثانية ثاء فقالوا ثرثارة [4].

1- سورة الشعراء، الآية رقم 94.
2- إصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط3 ، القاهرة، 1970، ص : 319.
3- أدب الكاتب، ص:483.
4 - ينظر الخصائص، ابن جني، ج2، ص 54 ،55.

وقد أنكر ابن جني أن يكون أصل " **فَعْفَل** " هو " **فَعَّل** " وحجته في ذلك أنه لا يجوز الإبدال إلا فيما تقاربت مخارجه من الأصوات يقـــول: « هذا وإن كان عندنا غلط لإبدال الحرف مما ليس من مخرجـــه ولا مقاربا في المخرج له، فإنـــه شق آخر من القول ولم يَدّع أبو بكر فيه تكرير الفاء وإنما هي عين أبدلت إلى لفظ الفاء، فأما أن يدّعي أنها فاء مكررة فلا» [1].

ويدعم ابن جني تعليله لفعل "**حَثْحَثَ** " متخذا من بيت تَأَبّط شَرّا مثالا لذلك يقول: « فأما قول من قال في قول تأبّط شرا:

كَأَنّمَا حَثْحَثُوا حُصًّا قوادمه   أو أمّ خِشف بذِي شَثٍّ وطِبَّاق

أنه أراد: حَـــثَّـــثُـــوا، فابدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، وإنما ذهب إلى هذا البغداديون، وأبو بكر معهم أيضا، وسألت أبا علي عن فساده فقال: العلّة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء، والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه.

فأما الحاء فبعيدة من التاء، وبينهما تفاوت يمنع من قبل إحداهما إلى أختها، وقال وإنما حَثْحَثَ أصل رباعي، وحَـــثَّـــت أصل ثلاثي فليس واحد منهما من لفظ صاحبه

1- السابق، ج2، ص: 55.

إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة، فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما وهذا هو حقيقة مذهبنا»[1].

نعتقد أن هذا العمل حذف وتعويض، أو هو إبدال بالمعنى اللغوي العام لا الصرفي، ذلك أن الإبدال الصرفي لا يجوز إلا فيما تدانت مخارجه من الأصوات، وهذا هو مراد الكوفيين، وإن كان جني قد تمسك بحرفية الكلمة، ثم بنى عليها أحكامه رفقة أستاذه، ولهذا نجد الزبيدي يؤيد وجهة نظر الكوفيين في هذه المسألة:« وقول الكوفيين أولى عندي لأن الاشتقاق يصحبه والقياس نسيب به»[2].

ومن ثم فليس بناء "حَثْحَثَ" و"زَلْزَلَ" و"دَمْدَمَ" من مضاعف الرباعي ذلك أن اللحمة المعنوية واحدة وظاهرة ظهورا قويا بين حَثْحَثَ وحثَّت وأمثالهما.

وقــد ذهب المستشرقــون إلى أن الأصل في " كَوْكَب " هو " كَبْكَب " "Kabkeb " [3] إنه تولدت من هذا الأصل السامي القديم مختلف الصيغ في الساميات فكان في الأكدية: " Kakkabu " وفي العبرية " Kokab " وفي السريانية " Kawkba " وفي الحبشية " Kokab " وفي العربية " كوكب ".

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج 1 ،ص: 180.

2- لحن العامة للزبيدي، ص: 124.

3- فقه اللغات السامية، بروكلمان، ص 74.

ويعتقد بعض الدارسين أن الصيغة الأكدية " Kakkabu " هي الأصل الذي صدرت عنه صيغة " Kabkab " خاصة وأن الأكديين أقدم الجماعات السامية وأقربها رحما بالسامية الأصلية، ومن صيغة " Kabkab " جاءت صيغة كوكب العربية [1].

من صور المخالفة بالحذف والتعويض باللام قولهم:

غْنَم ← غْلَم ←ن ← ل

فَنْجَانْ ← فَنْجَالْ ← ن ← ل

التقت النون والميم في " **غْنَمْ** " وكلا الصوتين أنفي فاتجه مجرى النون إلى الفم طلبا لنوع من المخالفة بين الصوتين المتحدين في المجرى، الصوت المناظر للنون من أصوات الفم هو اللام فنطق بالنون لاما [2].

وكذلك في " **فَنْجَان** " حيث قلبت النون لامًا.

وظاهرة إبدال الأصوات اللثوية النون واللام قد حدثت بوجه خاص في الألفاظ الأجنبية التي دخلت في اللهجة مثل:

"كَبْرَانْ " أي Caporal وهو العَرِيف

1- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د.فوزي حسن الشايب،ص: 364 ، 365.

2- ينظر: لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، د.عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر ،1981، ص: 76.

و"مَارْشَانْ " أي مَارِشَال Maréchal

وعندما استخدم سكان المنطقة هذه الكلمات في حديثهم أجبروها على القواعد الصوتية فقالوا "كَسْرُون" في" Casserole "[1].

ومن أمثلة إبدال اللام بالنون ما جاء في قول أبي يوسف يعقوب بن السكيت: «لَابل ولَابن، وإسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين، وإسرائيل وإسرافيل وإسرافين وإسرائيل وإسرائين.

وأنشد الفراء:

قَدْ جَرَتْ الطَّيْرُ أيَّامنِينا قالَتْ: وكُنْتُ رَجُلاً فطينَا

هذا ورب البيت إسْرَائِينَا

وشَرَاجِين وشَرَاحِيل، وجِبْرَائِيل وجبْرَائِين »[2]

وهناك أمثلة أخرى للمخالفة بالحذف والتعويض بصامت آخر من أمثلة ذلك:

" **لَقَامْ دْيَالَكْ** "، أي "لَقَبُكَ"

قد ورد مثل هذه المخالفة في التراث من ذلك قولهـــم:

" **البنام** " في البنـــات قـــال الشاعـــر:

1- le dialecte arabe parlé de Tlemcen , wiliam Marcais, edition erneste le roux, paris, 1902, P : 21 – 22.

2-كتاب الإبدال، ابن السكيت، ص: 68.

يَاهَالْ ذَاتْ المَنْطِقْ التَّمْتَامْ وكَفّك المُخَضَّبِ البَنَامِ [1]

ومن أمثلـــة المخالفـــة بالتعويض بين الصوائت في منطوق ندرومـــة تأثيـــر الكسرة المنقلبة عن الفتحة على الواو التالية لها فتحول إلى ياء في مثل قولهـــم:

مُولُودْ ← مِيلُودْ ← و ← ي

والتأثير الصوتي لهذه المخالفة هو جنوح اللسان نحو الكسر، فانقلبت الفتحة إلى كسرة وأصبحت الكلمة " **مِوْلود** " فنشأ عن ذلك تنافر صوتي لعدم انسجام الكسرة مع الواو الساكنة فتدخل عامل المخالفة بإبدال الواو ياء لتجانس الكسرة السابقة لها، وتحول المقطع المتوسط المغلق " **مِوْ** " (ص ح ص) إلى مقطع متوسط مفتوح " **مِي**" (ص ح ح).

ونفس الظاهرة يمكن تفسيرها في كلمات مثـــل:

" **زُولِيخَا** " المنقلبة على ألسنة بعض الناس إلى " **زِيلُوخَا** " حيث إتجه اللسان من وضع الضم إلى الكسر، وفي هذا يبحث اللسان عن أيسر الطرق للنطق ويظهر أن ترك واو المد إلي الآخر التي انقلبت عن ياء المد وذلك حتى لا يبدأ بالصعب بينهما، فانتقل من مؤخرة الفم إلى مقدمته.

وعلى أساس المخالفة بين الصوائت نفسّر ذلك التناوب الواسع النطاق بين أصوات اللين في منطوق ندرومة من ذلك:

المخالفة بين الضمة والفتحة حيث تبدل الضمة فتحة في قولهـــم:

دُنْيَا ← دَنْيَا

1- شرح المفصل، ابن يعيش ،ج 10 ، ص: 33.

مَسْلِمْ ←—— مَسْلَم

قُنْدُولْ ←—— قَنْدول

قَنْفُدْ ←—— قَنْفُوْد باشباع ضمة الفاء

المخالفـــة بين الكسرة و الفتحـــة:

مِحْنَة ←—— مَحْنَة

خِدْمَة ←—— خَدْمَة

دَاخِل ←—— دَاخَل

حَكْمَة ←—— حَكْمَة

صِحَّة ←—— صَحَّة

قِطْ ←—— قَـــطْ

المخالفـــة بين الضمـــة والفتحـــة، حيث تبدل الضمـــة فتحـــة في قولهـــم:

مُرْ ←—— مَرْ

وقد أشار علماء اللغة إلى مثل هذه المخالفة، يقول ابن الجوزي:« اعلم أن غَلْط العامة يتنوع، فتارة يضمون المكسور، وتارة يكسرون المضموم، تارة يمدون المقصور

وتارة يخففون المشدد، وتارة يزيدون في الكلمة، وتارة ينقصون منها، وتارة يضعونها في غير موضعها إلى غير ذلك من الأقسام»[1].

لا شك أنّ اللهجات العامية تعمد إلى المخالفة بين الأمثال المتتابعة من الصوائت لتُؤمن تنوعا موسيقيا بجعل النطق سهلا والإسماع أكثر وضوحا، وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفسِّر قراءة عبد الله بن مسعود (**مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا**)[2] بفتح العين وكذلك:(**أَوْلَىٰ بِهَا صَلِيًّا**)[3] بفتح الصاد[4].

حدثت مماثلة بين الفاء وحركة العين تحت تأثير حركة المقطع المنبور فيهما وهو "تِي" في "**عُتِيّا**" و "**لِي**" في "**صُلِيّا**" ومن ثمّ صارا "**عَتِيا**" و "**صَلِيا**" ففتحـــة الفاء في كـــل من المثالـــين إنّما هو للمخالفـــة الصوتيـــة كي يتخلّص من تتابـــع الكسرات و الياء المشددة بعدهـــا[5].

وإن كان القرّاء قد إختلفوا في قراءة "**عتِيّا** "و" **بكِيًّا** " و" **صلِيًّا** " و" **جثِيًّا** " في كسر أوائلها وضمّها فقد قرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو وابن عامر وعاصم في رواية ابي

1- تقويم اللسان، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق وتقديم د عبد العزيز مطر، دار المعرفة، ط1، القاهرة، ص 74.

2- سورة مريم الآية رقم: 8.

3- سورة مريم الآية رقم: 70.

4- المحتسب ابن جني، ج2، ص: 39.

5- التيسير في القراءات السبع، الداني أبو عمرو، حيدر أباد، الدكن، الهند،1316هـــ، ص: 106.

بكر يضم أوائل هذه الحروف كلّها، وحفص عن عاصم بكسرأوائل هذه الحروف كلّها إلّا بُكيّا فإنّه يضمّ أوّلـــه[1].

وحرص العربية الفصحى ولهجاتها العامية على المخالفة بين الحركات يتضح بكل جلاء من خلال الكلمات المعرّبة التالية:

"**مُصْحَف**" فهذه حبشية الأصل وهي في الحبشية "مَصْحَف" **Mashaf** [2]

"**مِشْكَاة**": الأصل فيها مَشْكَاة فهذه الكلمة حبشية وأصلها هو **Maskot** [3] فلمّا دخلت إلى العربية خولف بين حركة الميم والحركة الطويلة التي تليها بكسر الميم.

"**مِنْبَر**" أصلها " مَنْبَر" ذلك أنّها في الحبشية **Manber** [4] بفتح الميم فخولف بين الفتحتين المتتابعتين بكسر الميم.

5- المخـالفـة بين المقاطـع الصوتيـة:

بعض المقاطـــع القصيـــرة المفتوحـــة تتحول في منطـــوق ندرومـــة إلى مقاطـــع طويلـــة مفتوحـــة مثـــل:

عِنَبْ ←── عِينَبْ

حِمَّص ←── حِيمَص

1- السبعة في القراءات ابن مجاهد، ص: 407.
2- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ص: 217، 218.
3- السابق، ص: 218.
4- السابق، ص: 217.

رَجُل ←—— رَاجَل

فالبنية المقطعية للمقاطع الأولى من الكلمات الثلاثة هي "عِ " (ص ح) و"**حِ**" ص ح، و "**رَ**" (ص ح) تحولت إلى مقاطع متوسطة مفتوحة "**عِي**" ←—— ص ح ح.

" **حِي** "←——ص ح ح، و " **رَا** " ←—— ص ح ح

كما تخالف الحركة في المقطع القصير المفتوح فتتحول إلى صامت مشكلة بذلك مقطع طويل بحركـــة طويلـــة، كما في قولهـــم:

انْتُومانْ اسَابْقِينْ واحْن الّاحْقِينْ.

رَاهُم مَاجْيِينْ غَدًّا.

انْهَارْ و هُومَان قَاعْدِيينْ.

هَادْ انَّاسْ صَالْحِينْ رَاهُمْ طَالْبِينْ ضِيفْ رَبِّي.

فالبنية المقطعية لِ"**سَابْ** " و" **لاَحْ** " و" **مَاجْ** " و" **قَاعْ** "و "**صالْ**" و"**طَالْ**" أصبحت تتشكل من (ص ح ح ص) حيث حدثت عملية اختزال مقطعين "**سَابِ**" و" **لاَحِ** " و"**مَاجِ**" و"**قَاعِ**" و "**صالِ**" و"**طَالْ**" (ص ح ح) و(ص ح) إلى مقطع واحد فقط يتشكل من (ص ح ح ص).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة اللسانية في رحاب المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية من خلال منطوق **ندرومة**، توصلنا إلى جملة من النتائج نورد أهمها فيما يلي:

1- تعني الازدواجية اللغوية "**Diglossie**" وجود نمطين لغويين يسيران جنبا إلى جنب، باعتبار أن لكل أمة لغتين، واحدة يتحلى بها العامة في خطاباتهم ومعاملاتهم اليومية والثانية يتحلى بها الخاصة في المحافل الرسمية، هذه الازدواجية طبيعية، تكاد تكون موجودة في أغلب لغات العالم، وهي على درجات متفاوتة.

2- لعل الناظر إلى أمر اللهجات العامية المختلفة في البلاد العربية يجد أنها لا تشكل لغات مستقلة، لكنها تتفاعل مع الفصحى، فبينهما تآنس وتآلف وتجانس، فالوضع اللغوي بين هذين الوجهين هو وضع تمازج وتفاعل يؤدي في العديد من الأحيان إلى استعمالات لغوية تمزج الفصحى بالعامية.

3- إن وجود اللهجات العامية في نظر الكثير من الباحثين أحد وجوه تطور وتحديث للفصحى، هذا الوضع يملي على المشتغلين في حقل اللسانيات بمختلف فروعها ومستوياتها أن يتفهموا هذه الازدواجية، ويحسنوا استثمار الزخم اللغوي الموجود في العامية إغناء للفصحى ليس إلّا.

4- حين قبل اللغويون مصطلح "**القوانين الصوتية**" تحدثوا عنها في صورة اتجاهات وميول تحكم الأنظمة الصوتية وترصدها وتسجلها ليس غير، فقد لاحظوا كثرة الأمثلة التي تتحقق فيها ظاهرة من الظواهر الصوتية، فوضعوها في صيغة من الصيغ أو في معادلة من المعادلات، دون أن يضمنوا قوانينهم هذه الحتمية التي يتضمنها القانون في علم الفيزياء والكيمياء و الرياضيات وغير ذلك.

5- تخضع اللغة بفصحاها و عامياتها إلى تغيرات صوتية تتحكم فيها جملة من العوامل، كالبيئة الجغرافية و الحالة النفسية للمتكلم واختلاف أعضاء النطق من جيل إلى جيل باختلاف البيئات، بالإضافة إلى عامل الاقتصاد في المجهود العضلي، و تلمس أيسر السبل وأسهلها للتخلص من الأصوات الصعبة.

6- إن الدرس الصوتي العربي درس أصيل، ولاشك أن تكون ظاهرة المماثلة والمخالفة، من أصل ما تناوله القدامى و المحدثون من ظواهر صوتية، قانونا يحكم تجاور الأصوات وتأثيرها و تأثرها فيما بينها.

7- إن الدراسة المستفيضة لظاهرة المماثلة والمخالفة من قبل علماء اللغة – القدامى منهم و المحدثين – تَنِّمُ عن وجود حقيقة جوهرية تتمثل في خضوع الفصحى وعامياتها لقوانين صوتية دقيقة تحكم المنطوق دون المكتوب.

8- بيّنا في هذه الرسالة أن القوانين الصوتية خاصة قانون الأقوى، وقانون الاقتصاد في الجهد يعملان جنبا إلى جنب في بعض الظواهر الصوتية، وأن المماثلة والمخالفة بين الأصوات هما وليدا عمل هذين القانونين.

9- لم يخص اللغويون والنحاة العرب القدامى ظاهرة المماثلة و المخالفة بمصطلح مقيد لهما، بل جاءت مظاهرهما موزعة على أبواب متفرقة وبتسميات متباينة، كالمضارعة والمشاكلة والمجانسة و المغايرة بالنسبة للمماثلة، والمغايرة وثقل التضعيف واستثقاله وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد وغيرها بالنسبة للمخالفة.

10- هذا التعدد والتنوع في المصطلحات لظاهرة المماثلة والمخالفة لا يعني غياب فكرة المصطلح، أو عدم نضجها لدى اللغويين العرب القدامى، بل العكس من ذلك فقد اختاروا أكثر الألفاظ استغراقا للمعاني المراد التعبير عنها لتفسير الكثير من

المسائل اللغوية، كما أن تخصيصهم أكثر من مصطلح لظاهرة صوتية لا يعني أن أحد المصطلحات متطور عن الآخر أو أدق منه، بل لقد سيقت جميعها لأداء المعنى.

11- يجب أن ندرك حقيقة جوهرية هي أن معالجة لغويينا القدامى لظاهرة المماثلة والمخالفة لا تبتعد كثيرا عن الدراسات التي قيد بها اللسانيون المحدثون هاتين الظاهرتين، و يحق لنا أن نقول أن أسلافنا سبقوا هؤلاء المحدثين في ابتكار نظرية التماثل، ونظرية التخالف، وكشف أسرار التفاعل بين الأصوات المتجاورة، فعلينا أن نستثمر هذه الجهود الرائدة، ونحسن توظيفها في ضوء المنهج اللساني الحديث.

12- إن ظاهرة المماثلة والمخالفة في منطوق **ندرومة** ليست فقط ظاهرتين صوتيتين تحققان الانسجام بين الأصوات، وتحافظان على مبدأ تيسير النطق، بل إنهما قد تكونان وسيلتين تعبيريتين أيضا الغرض منهما تحقيق السهولة والتيسير في النطق من ذلك:

أ- تخفيف الهمـــزة، لأن في تحقيقهـــا عمليـــة تحتاج إلى جهد عضلي، وهذه ظاهرة عامة لا تقتصر على منطوق ندرومة، فهي تكاد تكون عامة في اللهجات العربيـــة الحديثـــة.

ب- إندثار الأصوات اللثوية (ث، ظ، ذ) و تحولها إلى أصوات قريبة منها في المخرج وهي التـــاء والطـــاء والـــدال، وهذا الإبـــدال هو سائـــد كذلك في معظم اللهجات العامية.

ج- تحول بعض الأصوات من صفة الجهر إلى الهمس كما هو الحال لصوت الدال الذي ينطق دالا، وكذلك صوت الباء الذي يتحول إلى نظيره المهموس وهو صوت "ب".

د- كما تتحول بعض الأصوات في منطوق **ندرومة** من صفة الهمس إلى الجهر كنطق السين زايا بتأثير الراء المجهورة، ونطق القاف قافا في بعض الحالات.

هـ- انكماش الأصوات المركبة، حيث يتحول الصوت المركب المكوّن من الحركة والصوت الساكن إلى صوت مُمَال، سواء أكان الصوت المركب يتكون من الفتحة والواو (aw) أو الفتحة والياء(ay) .

13- الحالة الأكثر شهرة لأثر الحركات في الصوامت في منطوق **ندرومة** وضواحيها خاصة منطوق الغزوات والسواحلية هي ظاهرة " **التحنيك**" أو "**التغوير**" **palatilization** حيث يتقدم صوت الكاف من أقصى اللسان على وسطه، فيصبح أدنى حنكي مصادفا مخرج الشين، فينطق إمّا " **شينا** " أو " **تش** " بحسب موقع الحركة في الكلمة.

ووجود هذه الظاهرة يجعلنا نؤمن من أنّ اللهجات الجزائرية العامية لم تأت من فراغ، فهي ولا شك امتداد للهجات عربية قديمة، و يجعلنا نعتقد كذلك أنّ كثيرا من الظواهر الصوتية لها جذور في العربية الفصحى و لهجاتها، فتماثل الأصوات المتجاورة وتغاير الأصوات المتماثلة في هذا المنطوق حقيقتان لغويتان لهما أثرهما في التغير الصوتي، وأنّ هذا التغير له امتداداته و جذوره في الفصحى، اعترف به و قرره علماء الأصوات.

14- قد يخرج منطوق **ندرومة** عن القاعدة الصوتية التي تقول إنّ الصوت الأثقل يُقلب إلى الأخف، فقد يحدث العكس في بعض الحالات، من ذلك مماثلة الحاء للخاء مماثلة تامة، وهذا التأثير الرجعي بين صوت حلقي وحلقي آخر أدخل منه له ما يفسره في المنطقة التي يغلب على سكانها طابع البداوة، والبدو يميلون في نطقهم إلى الحروف المفخمة التي لها رنة في الآذان مما يلائم طباعهم وخشونتهم.

15- بالرغم من أن المخالفة تشغل مساحة لغوية أقل من تلك التي تشغلها المماثلة في منطوق **ندرومة**، إلا أن وجودها ضروري لتحقيق التوازن والتقليل من فاعلية المماثلة، بوصفها أثرا لقانون الاقتصاد في الجهد العضلي، يعمد إليها المتكلم للتفريق بين الأمثال و المتقاربات.

16- ليس الهـــدف من هذه الدراســـة هو إحياء العاميـــة أو الاهتمـــام بها على حساب الفصحى، و إنما الهـــدف هو إحياء العربيـــة الصحيحـــة وذلك بذِكر اللفظ العامي ورَدّه إلى نصابه من الصحـــة، وبيان ما أحدثـــه اللسان العامي من تحريفات لأصوات العربيـــة الفصحى.

وبعد فإني آمل أنْ أكون بهذا اللون من الدرس قد أضفت جديدا وكشفت عن تأصيل ظاهرة المماثلـــة والمخالفـــة في الفصحى، وأنْ أكون قد جلوت هاتين الظاهرتين في العاميـــة الجزائريـــة.

وختاما أسأل الله عزّ وجلّ أنْ يلهمني السداد والتوفيق، وأقول كما قال الشاعر:

وإنْ تجِدْ عَيْبًا فَسَدّ الخَلَلا ... فَجَلّ منْ لا فِيه عَيْبٌ وعَلَا.

الفهرس العام للبحث

1- فهرس الآيات القرآنية:

"وأسبغ عليكم نعمه"	19	لقمان	139
"سِرَاط"	6	الفاتحة	139
"وَإِنْ كُنْتُم جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا"	6	المائدة	142
" فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ "	108	التوبة	143
" لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ"	49	القلم	143
"وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ"	13	غافر	143
" قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُم"	18	يس	143
"قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ"	47	النمل	143
"لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ و لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ "	29	ص	143
"يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم"	12	الصف	143
"بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"	16	الأعلى	145
"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يَا بَنِي آدَم"	60	يس	169
"وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً، وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْماً مُبِينًا"	110 111 112	النساء	176
"أَن رَآهُ اسْتَغْنَى"	7	العلق	176
" بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم"	14	المطففين	179
"قُلْ رَبِّـي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم "	22	الكهف	179
"وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"	114	طه	179
"قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتبعوني يُحْبِبْكُم اللهُ و يَغْفِرْ لَكُم ذنوبكم"	31	آل عمران	184
"وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم"	04	الكافرون	185

"لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَ الأَنْصَارِ "	117	التوبة	185
"وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ"	5	الصف	185
"اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ"	38	التوبة	187
"وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ"	269	البقرة	187
"وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى"	03 04	عبس	187
"اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ"	47	النمل	187
"لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِن رَبِّهِ"	49	القلم	187
"وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ"	13	غافر	187
"قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ"	18	يس	187
"قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ"	33	البقرة	191
" لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ "	4	الروم	191
"إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا"	12	الشمس	191
"لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ"	22	الغاشية	200
"وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ"	02	الرعد	200
"صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"	06	الفاتحة	200
"وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً"	87	النساء	202
" وَ مَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً"	35	الأنفال	202 275
" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ اعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ"	94	الحجر	202
"مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَ لَكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ"	111	يوسف	202
"وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا "	10	الشمس	223 264
"ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى"	33	القيامة	224 243
"وَ لاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ"	89	يونس	245

" فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ"	65	الواقعة	258
" وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا "	97	طه	258
"وَلْيُمْلِلْ الذي عليه الحق وليَتقِ الله رَبَّهُ، ولا يَبْخَسْ منه شيئًا"	282	البقرة	265
"وقالوا أساطير الأولين اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأصِيلًا"	5	الفرقان	265
" لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونْ"	152 57 90	الأنعام الأعراف النحل	274
" فَلَوْ لا تَذَكَّرُونْ"	62	الواقعة	274
"أفَلا تَذَكَّرُونْ"	24 03	هود يونس	274
"فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى"	06	عبس	274
"اذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ"	57	الزخرف	275
"قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونْ بنا إلَّا إحدى الحسنيين"	52	التوبة	275
"مَالَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ"	25	الصافات	275

2- فهرس الأبيات الشعرية :

البيـــت	الشعـــــري	الصفحة
سَالت هُذَيْل رَسُولَ الله فاحِشَةً	ضَلّت هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ و لَمْ تُصب	161
فَدَعْ ذا و لكن هتُّعين مُتيما	على ضوء برق آخر بالليل ناصب	145
و فِي كُلِّ حَيٍّ قَد خَبَّط بنِعمَة	فحقٌّ لشأسٍ من نَدَاك ذَنُوبُ	156
بَدَا بأبي ثم " اثّنَى " بِبَنِي أبِي	وثَلّثَ بالأدنين ثقف المخالب	141
عَلَى أحْوذَيَّيْنَ استقلت عَشِيَّةً	فَمَا هِي إلا لَمْحَةٌ و تَغِيبُ	246
و لك يا غراب حَيّد عَن طيريجِي	و أريد أشرب مَيَّه بالبَريجِي	46
فَقُلت لصَاحِبِي لا تَحْبسانِي	بِنَزْعِ أصُولِه و اجْدَزَّ شيحا	126
فتركن نَهْدًا عُيَّلاً أبناؤُهَا	و بَنِي كِنَانة كاللُّصُوتِ المُرّد	243
و النيـــــبّ أن تعرمني رمّة خلقا	بَعْدَ المَمَاتِ فاني كنت اتّئِرُ	141
وَدَعْ ذَا الهَوَى قَبْلَ القِلَى تَرْكُ ذِي الهَوَى مَتِينُ القُوَى خَيْرٌ مِنَ الصُّرْمِ مُزْدَرِي		72
دَعَوْت لِمَا نَا بَنِي مِسْوَار	فَلَبَّيْ فَلَبَّي يَدَي مِسْوَرِ	224
كأنهما ملان لم يتغيرا	وقد مر للدارين من بعدنا عصر	280
ألا ابلغ بني عوف رسولا	فما ملان في الطير اعتذار	280
لَوْ عرضت لأيْبُلِيّ قسّ	اشْعَثَ فِي هَيْكَلِه مُنْدَسٌّ	242
عَلَيَّ فيمَا ابْتَغِي أبْغِيشِ وتطِّي وُدٌّ بَنِي أبِيشِ وإنْ نَأيْت جَعَلت تُدْنِيشِ حَتَّى تَنِقّى كَنَقِيقِ الدِّيشِ	بَيْضَاءَ تُرْضِينِي ولا تُرْضِيش إذَا دَنَوْتِ جَعَلت تُنْئِيشِ وإنْ تَكَلّمْتِ حَثَتْ فِي فِيش	212
راحَتْ بمسلمة البغَال عَشِيه	فارعى فزارة لاَ هَنَاكَ المرتع	162
إني امرؤ حنظلي حين تنسبني	لا ملعتيك ولا اخوالي العوق	280

3- فهرس الأمثال الشعبية:

	المثل الشعبي	الصفحة
حرف الهمزة	أَنَا بَتّمْرَة لَفُمُّو وهُوَ بَلْعُودْ لَعَيْنِي	179
حرف الباء	لْبَابْ لَمَحْلُولَه دّخَلْ اسّبَعْ و لْغُولَة	189-180
	لَبْعِيدْ عْلَ ازّازَه يَسّمّى عَاقَل	181
	بَرْزَانَة تَمْبَاع اصّوفَه	189
	بُوسْ لْكَلْبْ ممفمّه تَقْضِ حَاجْتَك مَنّه	192
	لَبْلَادْ كِـ تَخْلَى يَعْمْرًا زَغْطُوط	208
حرف التاء	تَكْبَر لَبْصَلَه و تَرْجَع لأصله	165
حرف الجيم	اجّار قْبَلْ اذّار	180
	اجْمَل مَا يَمْضَغْش فَصّوق	198
حرف الحاء	لْحَرْ بَلْهَمْزَة و لَبَرْهُوش بَدّبْزَة	180
حرف الخاء	خْطَاكْ لَغَرْس فِي مَارَس	163
	لَخَمّاسْ يَا عَاصِي رّاص يَا لِلِي مَخَلّ وْلَادَك و تَخْدَم عْلَ وْلَاد نّاس	165
	خُبْزَة عَشْرَة مَا طَيّب وِيلَ طَابَت تَحْتَرَق	208
حرف الدال	دِيرْ الْخَيْر و نْسَاهْ دِيرْ الشّرْ و عَقّلْ عْلِيهْ	205
	دِير رّايْ لِلِي يَبْكّيكْ	159
	دِيب حْلَال، دِيبْ حْرَام تَرْك حْسَن	159
	ادّخَنْ و لَا طَافْيه	189
	دِ يَلْقِ رَايْ انَّاسْ مَا يَتْجَبْرْشْ فَايَنْ يَلْقِ ذْيَالُو	207

4- فـهـرس الأعـلام :

5- فهرس الموضوعات :